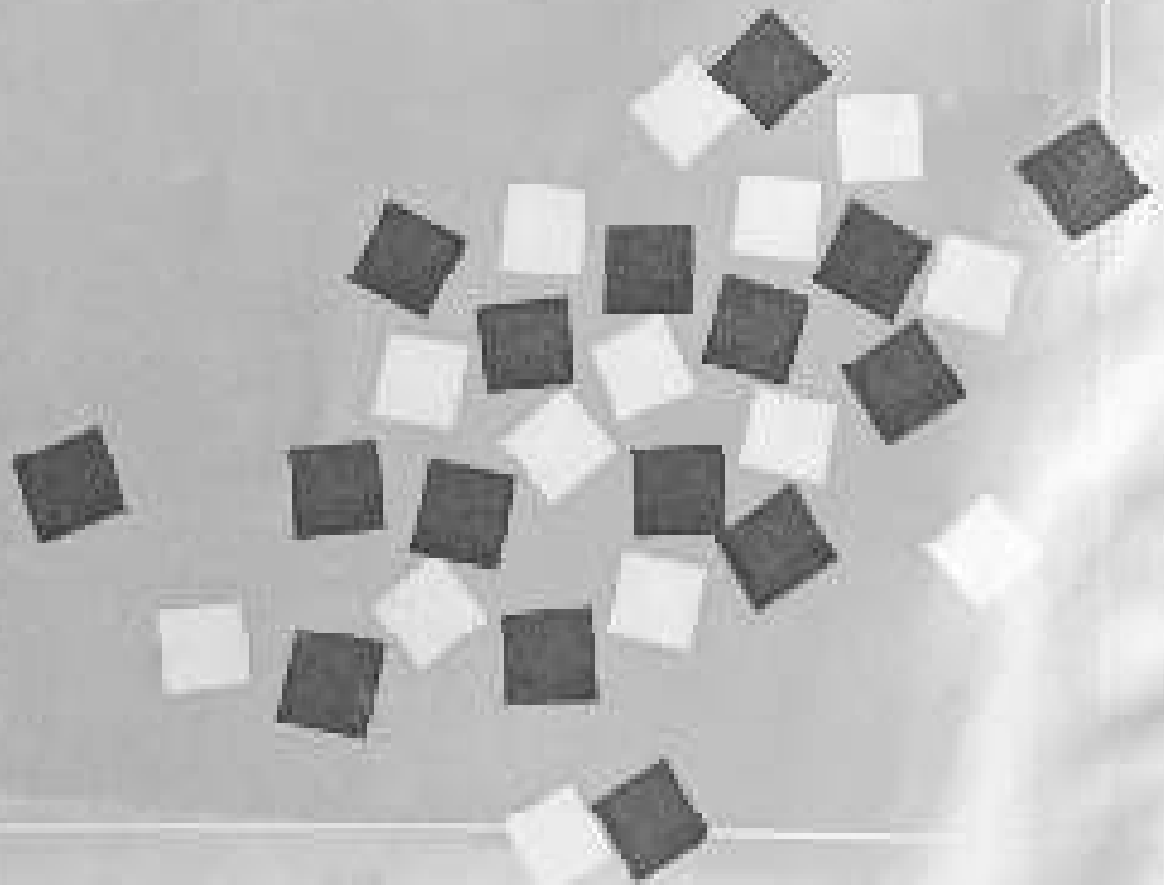




مجلة كلية الآداب



١٣٨٨ هـ
١٩٦٨ م

المجلد الثاني

مجلة كلية الآداب

تحت إشراف

والدكتور في الأبحاث الأدبية في مختلف

فروع الدراسات الإنسانية

تكون للدراسات والأبحاث

كلية الآداب

الجامعة اللبنانية - بيروت

المجلة لا تقبل من أي نوع من أنواع التعديلات أو
التغييرات أو الإضافات بعد النشر
الجميع يحوز على حق النشر في المجلة
التي هي - بدورها - لا تقبل من أي نوع من
التعديلات أو التغييرات

شماره: ٨٠ - ٨١ - ٨٢

مجلة
كلية الآداب



الجامعة الليبية

مجلة
كلية الآداب

رئيس التحرير
الدكتور مختار مصطفى بوزرد

مدير التحرير
الدكتور عبد الرحمن بدوي

السكك الشافعي

١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م

فهرس المحتل

ص

تقديم : الدكتور مختار مصطفى نور ٧

مقالات باللغة العربية

- ١ - د. لراحم تدمي : « تيركيديس » ٩
- ٢ - د. حسان محفور : « مدن الامارات في العصر الكبري » ... ١٥
- ٣ - د. عبد الرحمن بلعوي : « الفلسفة التوريثية في المصادر العربية » ٩٩
- ٤ - عبد الله مكنون : « الشيخ أحمد زروق » دليل مصراته ... ١٢٩
- ٥ - هان لكناك : « الثقافة البنية والرجعة والشر » ... ١٦٥
- ٦ - د. نوري جعفر : « آراء في شعر بليعة الأمانة عبد الشافي والعلامة ١٩٣
- ٧ - د. عبد الرحمن بلوي : « نقد الكتب ٢٣٥
- ٨ - أخبار علمية : المؤتمر التاريخي : ليبيا عبر العصور - مشروع تعاون الصبي بين جامعة ليبيا وجامعة لندن - لقاء عن المشروع المشترك لدراسة العقائد في العلم موسم بالمحاضرات العامة في كلية الآداب - ملخص بحث تحليلات لربة وعلائها بالاستغلات نوراني في - هل الرج ... ٢٤٩

ملاحظات يدور اللفظ العربية

2.

- ١ - د. جبرلة يراك : « المركز التجاري لمصراته : شكله ووظيفته » 9
- ٢ - د. منظر مصطفى برود : « تحليل لزينة وعملاته بالاستغلال الزراعي في سهل المرج في بركة » ... 42
- ٣ - الامتاز فرنسكو جبريلي : « المزارعات الحديثة في المزارع الإسلامي في إيطاليا » ... 71
- ٤ - « الملكية الزراعية والتغير الاقتصادي في طرابلس » ... 86

تقديم

يسر كلية الآداب أن تقدم إلى السادة الباحثين والمهتمين بالعلوم الإنسانية المجلد الثاني من « مجلة كلية الآداب » ، ورغم أن الفترة الرسمية مطابقة لما بين المجلد الأول والثاني فإنني أؤكد أن هذا الانقطاع ناجم عن أسباب بخارجة عن ارادة الكلية .

ولذا نؤمن بأن الجامعة ليست مجرد مكان لاتقاء المعاصرات وإنما هي مؤسسة لهمهام في الأبحاث والدراسات الاجتماعية خاصة وأن في عالم قريب وسائل المواصلات بين أجزائه وأصبح وحدة واحدة بالإضافة إلى التقدم التكنولوجي جعلت الشئ ينهدد حالنا اليوم .

وليسنا اليوم نشهد تطوراً وتنوعاً اجتماعياً واقتصادياً : حيثاً يلزمه تقدم في المجال العلمي الأمر الذي دفع بالكلية إلى الانهماك في هذا الميدان بفتح عوالم البحوث العلمية ومحاولة إبراز أصناف العلماء الذين وجهوا اهتماماً خاصاً إلى ليبيا ، وذلك بالنسح المجال لهم للانخراط في مجلة تصدر في ليبيا وفي مؤتمرات تدعدهم هنا للعرض .

ونقدد بألأ الكثرة في العمل في هذه أبحاث مشتركة على الصعيدين

الوطني والدولي تتناول دراسات من طائفة معينة من الهيئة العلمية حتى
يمكن أن تبرز التنمية الاجتماعية والاقتصادية على أسس علمية سليمة .
لذلك أرجو أن تكون هذه المجلة ملتقى للمهتمين بالشؤون العلمية عامة
والإسلامية خاصة .

والمجلة تصدر سنوية «موقعا» ، ونرجو أن يكون في الوسع إصدار
أسبق من هذه في العام .

كما أرجو أن تكون هذه المجلة حجرة الزاوية في مجال البحوث العلمية
في العلوم الإنسانية وأن تسهم في نهضة ليبيا الثقافية التي أرمي دعائها
رأسي النهضة العلمية مولانا الملك المعظم حفظه الله .

وكلنا أمل في أن ينظم صدورها حتى تقوم بدورها في البحث العلمي .

والله ولي التوفيق .

دكتور مختار مصطفى بورو

عميد الكلية

توكيديديس

للكونواهم نصيحي
الكتابة بكتابة الآداب بكتابة اليدوية

لم يكن الاخرين ثون من سجنو أحداث الماضي وان كانوا هم الذين
خلقوا التاريخ بالحقن التي يفهم المحدثون ، ولم يكن توكيديديس
(Thukydides) أول المؤرخين الاخرين ولا كان أول من سمى
تاريخهم المعاصر على الإطلاق . وبدلوا كلمة *historia* الاغريقية
كان أملاً البحث في قواعد الطبيعة . وبين أن هكايوس (Hecataeus)
التي (نسبة إلى مدينة ملطية أو « ميخوس » الأيرانية على شاطئ
الأنابول) كان أول من نقل البحث : من ميدان الطبيعة بوجه عام
إلى ميدان واحد بعينه وهو العلم الشأوني : آفاتييه ومكانه . وكان حصل
« كايوس » في أواخر القرن السادس وأواس الثلثين قبل الميلاد -
مرحلة هامة في القضاء على ما كان مألوفاً عند الاخرين من رواية أحداث
الماضي بكل ما تتضمنه من قصص وأساطير وناقض واضطراب ، وفي
نشأة التاريخ الذي يجمع المعلومات المبررة من أهم العلم ويمررها بعد

عنها وتجميعها قدر المستطاع^١.

وقد خطت هذه الخطوة هرودوتوس : وهو الذي انقضى أثر هكتايوس في تناول الاقاليم والشعوب بالدراسة باعتبار أنها جميعاً تؤولف و- سنة واحدة ، غير أن هرودوتوس وجه جل اهتمامه إلى دراسة الشعوب ، ويستهل هرودوتوس « تاريخه » - وهو يقع في تسعة كتب - بقوله انه يهدف إلى كتابة تاريخ الصراع بين الاغريق والفرس . وقد مهد مقدمة هذا الصراع منذ بداية الثورة الأيونية في عام ٥٠٠ - ٤٩٩ ق. م. حتى فشل غزوة اجزركس في عام ٤٨٠ - ٤٧٩ ق. م. باستعراض منشأ الصراع بين الشرق والغرب ووصف قيام الامبراطورية الفارسية وكذلك قيام أكبر دولتين افريقيين : أثينا واسبرطة . ومن اليسر على من يتصفح « تاريخ » هرودوتوس أن يبين :

أولاً - ان ما كتبه هرودوتوس بوصفه تاريخاً للصراع بين الاغريق والفرس عبارة في واقع الأمر عن تاريخ الشرق الأدنى .

ثانياً - انه يتخلل هذا التاريخ استطلاعات كثيرة قد تطول أحياناً وقد تقصر أحياناً أخرى ، وهي تصور حوض وصف البلاد وأهلها .

ثالثاً - انه يتضمن السائد من المعلومات أو المعتقدات عن الرقائع القارية أو البحرية بل عن العالم بوجه عام على نحو ما كانت معروفة لدى الاغريق حينئذ .

(١) - سابق .

POWELL L., Early Indian Historians, Ch. 2 (Ibid., pp. 100-8); CHRY, M. and HANDBURY, L.H., THE THURTEEN IN THE GREEK AND ROMAN WORLD, 1913, p. 100; ROSE, H. J. Handbook of Greek Literature, 1896, pp. 710-1, Strabo, III, The Story That Was Greece, 1880, p. 104.

رابعاً - إن هذا التاريخ يتناول عدداً كبيراً من الموضوعات الخاصة ،
ويستمد مادته من مصادر مختلفة : وثائق تظهر بجمع بين
المصادر المسجلة والمعتقدات الشعبية والروايات المنقولة وأخيراً
الشعر الشعبي .

ولا جدال في أن هروودونوس بذلك جليلاً في تحقيق ما تاهى إليه
من المعلومات ، بليل أنه كثيراً ما تخلفنا في التاريخ ، هذه القصة
ويقول الناس ذلك ولكني لأصدقهم ، وحيثما كان يدق عليه تيقن
وجه الحقيقة فجدد يقول : ما كنت لأدري ما قد تكون الحقيقة : فإني
أدري الحقيقة على نحو ما رويت في . بيد أنه كان لا يرى شيئاً لهذا
منقطة ما يصل إليها ، حله من النبوءات التي كانت تحصل عن مواضع
الوحي المعروفة حتى لو كان فاعولها يتم بجلاء من زيفها ، وإذا كان
جزء العبارة كثيراً على الرصيف : طامه كان أقل قنوة على الصخرة بين
الفتل والسبت من المعلومات في السبات صخرة ، وحل السبل اللقيت وحل
نهم كنه الأحداث البنية وأبعدنا في أكثر الأحيان .

ولقد أوديت مسحة هروودونوس أدنى بيعة في حراً في اللغات
الأوروبية الحديثة من تطور على مدلول الكلمات المتحيزة عن الأفريقية
من تكتب mythos ، فهذه الكلمة متماثلة في الأفريقية قصة قد
تكون حقيقية وقد لا تكون ، أما كلمة mylla في اللغات الأوروبية
الحديثة فتعني أسطورة ، وكلمة أسطورة تعني ضعفاً قصة غير حقيقية .
ولا كان التاريخ ، هروودونوس بعض قصصاً كثيرة ، لقد وصف
هذا التاريخ بأنه محشو بالأساطير ، ووصف هروودونوس بأنه مبالغ أو
كاذب ، لم روية ثلثا بطوره الأمل في أن يخلع تراءه أو سامعه
بالهوية قصتها في خدمة به أولئك الذين استمد منهم معلوماته . بيد أنه
من الأهداف لروودونوس أن نسل أن البحث حديث قد أثبت أن

التي هي التاريخية المعروفة : تاريخه مختلف ، لا من كتاب إلى كتاب ، لم يصب إلى من فقرة إلى فقرة وجملة إلى جملة بل من سطر إلى سطر ، ولذلك فإن الجمع في الحكم على هذا التاريخ يكون ضرباً من المجازفة غير المقبولة علمياً .

وأما من الخط ما يوثق على هرودوتوس فيه إلى تفسير الأحداث بعاملين رئيسيين : أحدهما العواطف والرياسات الشخصية وبوجه خاص دور المرأة : والآخر الإرادة الإلهية ، أو هذين العاملين معاً حتى ليسوا على حد قول البعض وكأنه قد جعل شعوره : البحث عن المرأة ولا تغفل الله (Cherchez la femme et n'oubliez pas le dieu) غير أنه يجب الإشارة هنا إلى أن كثرة الصيغ هرودوتوس إلى تفسير الأحداث بصفات الآلهة في تحرير مصائر البشر يعكس بخلاف النظرة الاغريقية إلى حياة الناس ، فقد كانوا يعتبرون مصائر الأفراد والمجتمعات بخلاف تحقيق العدل الإلهي . فالإرادة الإلهية في سفرهم ذاتية العمل سواء للاندفاع من أوتوا قدراً وإلزاماً من الخط السعيد والرفاهية البالغة فسلطهم القور والصلف ، أم لتحقيق العدالة الأبدية بمعاقبة المسيئين على ما ارتكبوا من شرور وآثام . وإن هذه المعتقدات التي تلقاها في كل تصور لحياتهم سكتاً بارزاً في تاريخ هرودوتوس يمثل ذلك الذي تحك في أترابها الاغريقية . وقصة كل من كرويسوس وبوليكراتس ونيسز وإركيبلاوس الثالث وعقوبه طرادنة على نحو ما أوردها هرودوتوس عبر على ذلك .

ومن الواضح أن هرودوتوس اتخذ من كتابة التاريخ على حفا الكسر ومحاولة لثت قواعد الأخلاقي انفاضلة ، ولذلك فإنه يجوز اتهام هرودوتوس بتحرير أحداثه تحتها ليخرج منها يتخذى لخلقها ويجعلها مشوقة وأفضل كراً في النفس . وبطبيعة الحال ليس هذا الضرب من التأييد تاريخياً .

فلو ربح يجب أن يجرى الدقة قبل كل شيء ، وإن يتجنب الناس
 باستقائي ، وإن كان له أن يفسرها كما يرمى له ، بيد أنه إذا كان
 « تاريخ » هرودوتوس يتضمن الكثير مما لا يمكن اعتباره تاريخاً جدياً ،
 فإنه ليس معنى ذلك أنه يمكن اعتباره كل هذا التاريخ غير جدي ،
 بل يجب أن نحكم على كل لغة بل كل عبارة فيه رقياً بقيمتها
 الذاتية^(١) .

وجعله يقول إن هرودوتوس كان كاتباً موضوعياً ، واضح الألف ،
 ذكي التواضع ، طلي الدقة ، شغوفاً بتسجيل الطريف والغريب ، عادلاً
 في الوصف ، قديراً على صياغة ما يسمعه من القصص بأسلوب غلب
 فياضه بمتائر بانتهاء السماع فاستعوز عليه وبترج منه الأصحاب انتراجاً ،
 لكن هرودوتوس لم يربح قدراً كاملاً من الدقة ابتداءً بل دقة انتدابيل وتواريخ
 الأحداث وتحليل الأخير وقصدها وانفردت بين الحقائق والأساطير ، وبرغم
 ذلك كله فإنه خلق نمطاً مألوفاً في تاريخ الإنسان والحضارة ، فهو
 كما وصفه فيثرون^(٢) ، « أبو التاريخ » ، لأنه أول من سألج للتاريخ
 لا بوصفه مجموعة حكايات شائعة عن الآلهة والشر وإنما بوصفه موضوع
 بحث علمي ، ولأنه هو الذي خلق فلسفة التاريخ ، وإن كانت فلسفته
 بدائية ترجع أسسها لاكتشاف المسئلة بين أواسط الناس في عصره .

...

(١) راجع

Goheen, A. H., *Herodotus*, Loeb Class Lib., 1904-5, 2 vols.; Myers, J. L.,
Herodotus, Father of History, 1952, pp. 170; Meier, Erwin, 1951
Herodotus, C.A.B., vol. 9, 1952, pp. 208 ff. (E.H.E. pp. 694-10); Bernard,
 A., *Greek Civilization*, trans. by A. Coates 1944, 1952, pp. 120 ff. Meier,
 A. L., *The Greek Historians*, pp. 1-31; Vagstad, E., *Order and History*,
 H. H. E. pp. 11 ff., 202 ff. *Classical World* 1950, 1951.

Coates, A. L., pp. 1, 3, 1, (٢)

وحيث كان هروذنوس العجوز بصقل «تاريخه» : كان العالم الاغريقي يستقبل عصرًا جديدًا من الصراخ يطلب مؤرخًا تدب فيه روح ذلك العصر الذي اشتهر فيه لتعليم إلى حد أن كل مواطن أثيني كان يصنع الترميز والكتابات ، وبذلك ، فيه الثقافة مستوى لم يعرفه العالم القديم من قبل ، والواقع أن نجوة واسعة كانت تفصل هروذنوس عن الجبل الذي يقف حول بريكس - هي نجوة أحدثها الثقافة التي نشرها أعلام المصنفين . ويرغم أن فلاجيل توكيدجوراس وبيروناجوراس كانوا يجادلون تبادلًا واسعًا في مبادئهم وأفكارهم ، فإن كان يحسب مبدأ مشترك يقول بأن التفكير يجب أن يكون جليًا واضحًا وأن قوة العقل هي أسس القوى وأصلها تحرر . ومن ثمة إذا لم تكن تفصيل إلا سنوات للال بين اليوم الذي انتهى له هروذنوس من تصنيف «تاريخه» واليوم الذي بدأ فيه توكيدجوراس كتابة «تاريخه» ، فإن هناك ذاقًا حلالًا ورويًا شامعًا بين هذين المؤرخين سواء في طريقة التفكير وفي طريقة كتابة التاريخ . ذلك أن المؤرخ الأثيني توكيدجوراس كان من بين أبناء الجيل الجديد الذين تأثروا ببر مملكة الاشلة الذين من أعلام التفكير .

وقد رحلت إلينا من العصور القديمة ثلاثة تواريخ لحق توكيدجوراس ويستوقف النظر على الفور أن هذه التواريخ تضارب مع بعضها بعضًا حول تفاصيل حياة مؤرخنا ، فهي لا تثبت عادة إلا شيئًا يعتمد على ما أورده توكيدجوراس من إشارات عامة إلى شخصه في مؤلفه . ويمكن الحصول على معلومات إضافية عن حياة توكيدجوراس من طرائف متفرقة

(Harris, *Greek History and Greek Literature*, p. 374)

أ. يقول أحد علماء التواريخ أن مقالة هروذنوس تلك كانت حسب شرح وادان في عالم هروجنس ، من «تاريخ الخرس» . وبعد أن توكيدجوراس كان يعيش في القرن الخامس للميلاد ، وصاحب التاريخ الذي تأثر به هروذنوس . وكان هروجنس هو الذي نشر فكرة موجزة عن حياة توكيدجوراس ، فساهم القرن الذي تولى كتابته في ذلك بعض الشيء .

في سبب عدم من الكتاب تقديمه المتأخرين مثل ديونيسيوس أفليكرواسي¹ وبلوتارخ² ورومانوس³. ومع ذلك طاله ليست لدينا حقائق يمكن الوثوق بها عن حياة توكيديس إلا القليل الذي نستمد من مؤلفه حيث يقول إنه في ألوورس (Olors)⁴ ، وأنه بدأ في جمع المادة اللازمة مؤلفه عند بداية الحرب البيلوبونيسية⁵ ، وأنه عاش طوال الحرب متبعاً هراها بضايه شديده يفتنى له الحصول على معلومات دقيقة وكان له من ذلك ما يمكنه من تكوين آراء واضحة⁶ ، وأنه مرض بالطاعون⁷ (وهو الذي اجتاح أثينا في عام 430 ق. م.) ، وأنه كان أحد القائلين الذين انتخبهم الأثينيون لقيادة حملة في كورنثيا⁸ - حيث كان لديه رخيص باستغلال بعض منابع⁹ ، ذلك فضل في افتاد مدينة أفسيدليس من الوقوع في قبضة القائد الأمبراطري برسيداس¹⁰ ، فقرر الأثينيون قتل توكيديس (في عام 404 ق. م.) وبقي في المنفى عشرين عاماً وبذلك أتاحت له فرصة التعرف على كافة أسواق الغربين المتحاربين¹¹.

أما باقي معلوماتنا عن توكيديس فإنها تعتمد إلى حد كبير على الاستبطان : وإذا كان بعضها يكاد أن يكون مؤكداً فإن الأمر ليس كذلك فيما يخص البعض الآخر . ويجب هنا تسمية توكيديس¹² أمراً يدر شذلاً وهو أن قرار قتل توكيديس كان بناء على اقتراح كلبيون وكان غثالة في ألوج مطوية وقوله بوصفه من أنساب الساسة الأثينيين . وحصل كذلك أن المهمة التي وجهت إليه كانت الخيانة على نحو ما يذكر

(1) Phil. Hist. by Phil. Historia Indiana: The Second Letter to Archelaus (Rp. Arrol.)

(2) Phil. Chronos. 17.

(4) 17, 114, 4

(7) II, 48, 2.

(10) IV, 104.

(8) I, 1, 1.

(9) 19, 104, 4

(11) V, 26, 2.

(3) Philon. I, 1, 32.

(6) V, 21, 1.

(5) IV, 108, 1

(12) § 48

مركيبيوس^١ ، والحقبة الذي كتب تاريخ حياة ثوكيديدس ولا تعرف
 اسمه^٢ ، وهو ما يبدو أنه تم عند عبارة اريستوفانس في رواية
 الكوميديا^٣ . ولم يبق منك مرة واحدة من الباحثين المحققين بل
 إخلاص ثوكيديدس لوحته^٤ ، لكنه ما أنصر ما كانت التهم فكان هؤلاء
 في ألبا ولا سيما قائم براند الوفيق^٥ ، والواقع أن فشل ثوكيديدس في
 اتخاذ أفيوليس يجب أن يجعل تبعته لا يبنون أنفسهم لأهم بالألأ من
 أخذ ترميمات كتابه بحدود من تراثا أنهم تحركت قانس في مثل براحة
 بوميديس^٦ . وكان أحد اقواء الأسرطين^٧ - شغلوا بشؤون حداث غير
 بوفقة عند يونيا^٨ . ولا كان ثوكيديدس يشك أن مواطنيه سيركيون
 دونهم بحدوثهم قليا أصحابهم هزيمة ويتولون تقديمهم بالحداد دون تحري
 الأكساب الحقيقة^٩ ، هذا آثر عام لسوءه لوحته^{١٠} . وعندما قرر الأثينيون
 عني ثوكيديدس لم يذ حل اثبات هذا القرار في التاريخه دون أن
 يوقف عمله للظوم عن نفسه أو بواحدة المسؤولين عما حدث^{١١} . وبعد
 أنه بدأ مسير من القرار عني ثوكيديدس جتأ كبراً من وقته في
 القفل من مكان إلى آخر ردياً وراء جميع المعلومات عن سير الحرب^{١٢} .
 ومعرفته الوثيقة بالأماكن التي بضعها في أثناء الحادث عن حيلة حيثية
 تسمى بأنه علم الضرورة كتاب بين الأماكن التي زارها^{١٣} . وبعد ذلك
 بوسيدس بأن قرار استدع ثوكيديدس من المنفى كان بدار على الاقتراح
 الذي تقدم به البوابل الأكسي لونيديس^{١٤} ، ويرجح أنه كان ابن
 بركس^{١٥} . مثل ثوكيديدس في قيادة حملة تراثا (عام ٤٢٤ ق^{١٦}) .

[1] 1, 25

[2] 2, 2

[3] *Ant.*, *Sup.*, 204

[4] *Plut.*, *Life of Dem.*, 20, 2; *Plut.*, *Life of Dem.*, 20, 2; *Plut.*, *Life of Dem.*, 20, 2

[5] *Selected History of History*, Vol. 1, Part 1, 102; *Plut.*, *Life of Dem.*, 20, 2; *Plut.*, *Life of Dem.*, 20, 2

[6] *Plut.*, *Life of Dem.*, 20, 2

[7] *Plut.*, *Life of Dem.*, 20, 2; *Plut.*, *Life of Dem.*, 20, 2; *Plut.*, *Life of Dem.*, 20, 2

وقد كان اسم والد نوكيديدس يقال اسم أمير تراقي كان يدعى أيضاً
 أولوروس ، وكانت هجسبيولي (Hagesipyle) ابنة هذا الأمير
 قد تزوجت فرعون الأثينى المشهور ميلياس والد فرعون الأثينى كيمون ،
 بعدما بلوتارخ بأن مبرة نوكيديدس كانت توجد في إحدى ضواحي
 أثينا بالقرب من مقدوني عشرين الرعيين^١ . وإذا صح ما يرويه
 مركليوس من أن والدة نوكيديدس كانت تدعى هجسبيولي على والدة
 كيمون ، ومن أن أسرة نوكرايس^٢ ، ذلك منهم شعباً سكني
 هولي (Boagrii) بتراليا^٣ - وبذلك ذلك ما يرويه بلوتارخ
 من أنه بنى بعض سلال بعض ملوك الذهب في تراقيا - فإنه لا يبعد
 أن والد نوكيديدس كان أحد الملوك منهم الأمير التراقي أولوروس
 وأن نوكيديدس كان من ذوى قريش كيمون وإن كان أحدهم من هذا
 فرعيين وهو من جيل^٤ . وإذا كنا لا نستطيع من عباراته بلوتارخ
 البهمة^٥ هل ورث نوكيديدس الملوك التراقية : فإن مركليوس يقول
 صراحة بأنها كانت ملكاً تزوجته^٦ .

والتضارب مصادرة حول تاريخ ميلاد نوكيديدس ، ذلك أن مركليوس
 يقول إنه عندما توفي نوكيديدس كان قد نهب على الحسين من عمره^٧ .
 وهذا لا يتفق مع ما لورده أولريوس جليوس^٨ (Aulus Gellius)
 نقلاً عن سيده تدعى بافيللا عشت في عصر نيرون (٥٤ - ٩٨ م)
 وشغلت بالقرأة والبحث ويبدو أن نمار قرأتها فجمعت لغواً كبيراً
 من العلوم ونشرتها (Synmiata historika hypomnemata) وقد
 قتل أولريوس بطرس من بافيللا أنه عند بداية الحرب البلوبونيزية

(١) Plut., Cim., IV.

(٢) ١٢١ ١ ٢

(٣) Plut., Cim., III.

(٤) Plut., Cim., IV.

(٥) Marcell., 13.

(٦) Marcell., 14.

(٧) A. Gell., Noct. Atticæ, XV, 23.

كان الزوج الموثق بديفوس يبلغ الخامسة والستين سنة مسروراً
ومروراً بولس ثلاثاً والحسين وتوكيديس الأربعين ، ومعنى ذلك أن
يكون توكيديس له ثمان السبعين سنة وقتاً ، ولا يساعد على ترجيح
أحد هذين المفسرين على الآخر ما يورد توكيديس نفسه من أنه بدأ
في جميع عادة نازعة عند بداية الحرب⁽¹⁾ ، وكان له من السن ما يترك
من تكبر في آراءه الخبيثة⁽²⁾ . ولذا فذلك يرى بعض الباحثين أن توكيديس
ولد حوالي عام ٤٦٠ ق.م. على حين أن البعض الآخر يرون أنه ولد
حوالي عام ٤٤٠ . والواقع أنه من الصعب في ضوء معلوماتنا الحالية تحصيل
أحد هذين الرأيين على الآخر .

وتؤكد المصادر القديمة أن توكيديس توفي فجأة ، ويبدو أن بدء
ذلك انشهاداً غريباً فجأة على نحو ما ستبينه فيما بعد ، ولا يُعرف على
وجه اليقين إذا كان توكيديس قد صرعه لمن أراد قتلاً أم أن تولى
عقبه موضع بزل به وقضى عليه ، ذلك أنه بلوغه عتاك بأنه من
في مكانه غراً ، إذ قلنا⁽³⁾ : فيما يقول بلوسانياس أنه قتل في ذلك
المرحلة إن كلاً⁽⁴⁾ . على حين أن مركليوس يقول بأنه موضع عتب
عودته من المعركة وتولى في ثبات⁽⁵⁾ حيث دعى⁽⁶⁾ . ولعل هذا هو الأرجح
بمايلي فرونتيني الذي يصر أنه أضافها إلى النص بعد عام ٤١٠ ق.م. وسواء
ألقى توكيديس ربه قتيلاً أم مريضاً ، وسواء أحدث ذلك في تراقيا أم
في أيها ثم في الطريق إليها ، فإن قول : اني قتيبت من وطني لمسة
عشرين عاماً بعد ما بولبت الحياة في سترابولس⁽⁷⁾ ، ينادي على أنه
عشر على ما بعد انشهاد هذا قتيلاً . وكل ما يمكن الذهاب إليه هو لفظ

(1) ١, ٦٦ (2) ٧, 28, 8

(3) Phil. Cim. IV (4) Plut. 1, 28, 9 (5) Marcell. 20.

(6) Cf. Cluver. Thracicae. 3rd ed. Tarsus. p. 300A.

(7) ٧, 28, 8.

في هذا الصدد هو أن ثوكيديدس لوثي حوالي عام ٤١٠ ق. م. ^(١)
ولا نعرف شيئاً عن ثوكيديدس في حياته إلا القصة الطريفة التي
رودها نكتير من الكتاب المقدس ^(٢) ، وفحواها أن ثوكيديدس عندما
كان لا يزال صغيراً وسمع هرودوتوس وهو ينظر على الناس جزءاً من
الطريق في أوليسيا أثناء ما سمع إلى حد أنه يكنى لفرط تأثره ،
وعندئذ قال هرودوتوس غاملاً والد ثوكيديدس : « أولودوس أن عقل
ابنك يتأجج بحب المعرفة » . بيد أن لوكيانوس لا يشير إلى ذلك وهو
يصف ما كان يراه هرودوتوس في أوليسيا من أثر قوي في الناس ^(٣) .
وعلى كل حال فإنه إذا كان ثوكيديدس لم يسمع إلى هرودوتوس في
أوليسيا ، فلا بد من أن يكون قد عرفه فيما بعد في أثينا . وأما فترة
شباب ثوكيديدس ومهنة رجولة فقد كانت معاصرة لوقت الذي كانت
فيه أثينا وفترة أخرى في عطاء الرجال من أمثال بريكس وبروتاجوراس
وموطوكليس وبوريديمس وأريستوفانس ، والخطيب اثينيون ، والمثاقين
فدياس وبوليخنوتوس واكتينوم وكاليكراتس . ولا جدال في أن الحياة
في هذه فترة بكل هؤلاء الأعلام ، والافتقار من ثمار عمل هذه الفترات
الواقعة : غير ما يفسر لنصوص عبقرية ثوكيديدس وإزدهارها ، وإزاء
وجود بعض وجوه الشبه بين أسلوب ثوكيديدس وأسلوب اثينيون قبل
إن ثوكيديدس تخلص من هذه التلميح القوية ، وهو الذي أثناء
مؤرخته في أعظمه بقدرة الخطابة ، كما قيل أيضاً أن ثوكيديدس
درس الفلسفة على انكلاجوراس ^(٤) .

ولا أدل على مكانة ثوكيديدس عند القدماء من قول لوكيانوس إن

(١) Cf. Clavier-Schmidt, *Gesch. gr. Literatur*, I, pp. 431-2.

Smith, op. cit., p. 241.

(٢) Suidas s.v. *argun*; Thucydides, *Phidias*, III, 63; Marcel., 64.

(٣) Lucian, *Thucyd.*, 1.

(٤) Marcel., 33; *Vind. Acad.*, 353 f.

دوسمين عقل بنما ياد د تاريخ : نوکيليدس ثنائي مرات ، فلا عجب
 ان قد حاول قليد وانخل عنه كترون من المؤرخين المتأخرين مثل بيرون
 كامپوس وجيلسوس وريونوس وروكوبيوس وناکيوس ، نوکيليدس
 واما عجب المحققين نوکيليدس فانه لا جد له وحسبنا ان ما كوني كان
 يجره اعظم المؤرخين على الاستدلال ، وان يكون سبوات ميل ذهب
 الى حد انه ياد ليل وصف النكة التي صادفها ثنائي في حذاء اعظم
 على ثري في لب لغات كات

والان سنسور من اولاً في بجزر الموضوعات التي ناولها نوکيليدس
 في «تاريخ» قبل ان ننقل الى الحديث عن طريقته في التثبت وطلبه
 في البحث والصادر التي استند منها على ما لا يبرهنه ويمرانه ثم
 برده على بعض بجزر

نوکيليدس هو صاحب تاريخ الحرب البونونية ، تلك الحرب
 القروس التي انتهت فيها انما حلفائها من فلتة : واسبعة ، اخط
 اقل البونون (شبه جزيرة البون) وحلفائهم من ناحية اخرى ، ومن
 ثم كان هذه الحرب ضمت كل العالم الاغريقي تقريباً ، بل ان القروس
 استمر لها اسبوعاً كذا ، ثم في انما بعد ان كانت سبعة وعشرين
 عاماً (منذ عام ١٣٦ حتى عام ١٠٤ في م. ق.) ، وانما استمر مؤرخها
 مؤلفه بفرده ان نوکيليدس لا يكتفي كتب تاريخ الحرب التي اشترك فيها
 البونونيين مع الاكرين ، وانما هذا ليس حاداً على الطريقة
 الحسام لا يفتاده ان هذه الحرب ستكون اعظم من اي حرب سابقة

(1) Leake, *Asia Minor*, 182.

(2) *Smith's* op. cit. pp. XV, XVI.

وانعاده بأن القويين كما في أوج قوتها الحرة ولا يقي الآخرين لن
يقلوا بمنزلة عن الصراع دون الانضمام إلى جانب أو كسر ، ذلك أنه
لم يبق لأمة واحدة ، ان أثارت عواطف الآخرين إلى هذا الحد ، بل
إن قد شاركهم في ذلك كثير من الأجانب ، ويمكن القول بأن آثار
هذه الحرب قد امتدت إلى العالم أجمع ، وبسبب انقضاء الزمن لا يمكن
إحراز بطابع الأحداث التي سبقت هذه الحرب سواء مباشرة أو بالأسد
بعيد ، لكنه استناداً إلى الألة التي في راسي أوثق بها بعد الأعمال في
فلسفه بين لي أن لسرد القارة لم تكن عظمة سواء في أوروبا أو
في أية ناحية أخرى من نواحيها . ١٠

وبعد أن يقدم توكيلينس لتاريخ الحرب البلغونية مقدمة موجزة
لتاريخ بلاد الآخرين منذ عصر مينوس ملك كريت حتى الحروب
البارسية . ١١ . بقلم هيئة ليشتل منج الموزين السابقين ، ومن بينهم
بطبيعة الحال هرودوتوس ، دون أن يذكر اسم واحد من أولئك
المؤرخين ، وهم الذين بالنسبة إليهم اسم لا يفرقون بين لغت والسمين
ويطلقون كثيراً إلى مصطلح الروايات القديمة سواء عن أوطانهم أو عن
الأرضين الأخرى دون تمحيصها أو الاستناد على أسس ، الألة المسكدة
لوصول إلى نتائج يستضيفها البعض ، ويرد ذلك إلى أنهم يستعملون نسبة
الذين يثنى عليهم ما كانوا ، كما هو قائم لنوع بحري الخيفة تحرياً دقيقاً
لديهم قصة مرادفة قد لا تصرب السمعين ولكنها ترسي في ذهن من
صورة صحيحة لأحداث وقعت في الماضي ومذكور في المستقبل ، وتكون
هذه القصة تراثاً شالداً يفيد من الناس جيلاً بعد جيل ، لا قصة حربية
تسبح ثم تنسى . ١٢ . وهكذا عاد تيمس بحوله تعالى : « أما تريد فيذهب

[1] ١١

[2] ١٢ - ١٣

[3] ١٤ - ١٥ - ١٦

جنداء وأما ١٠ يقع الثاني فيذكر في الأرض . ٥

وبعد أن يعرض توكيديس على هذا النحو منهجه في البحث ونموذجه من تحري الحقيقة ، يتناول كتاب الحرب ويفرق بين سببها الحقيقي وبين المزايدات التي أفضت إليها مباشرة ١ ، ثم يستطرد إلى وصف بحر عمود أثينا وما انتهى إليه ذلك من إشاعة الخزع بين خصومها ٢ .
وبعض من سبب الأمر ذلك في كتابه الأول وهو الذي ينتهي عند تطور العلاقات الدبلوماسية بين القرينين ٣ .

وتتناول كتابه الثاني والثالث والرابع وجزء من الخامس قصة الحرب في مرحلتها الأولى : وهي التي عرفت بحرب - نزاع - وانتهت بصلح زيس (Ziss) في عام ٤٢١ ق.م. ووصول هذه المرحلة كانت خطة السيطرة : وهي أقوى دولة الحريقة بريد ٤ مقصورة على غزو أثينا وقت الحصول على كل دعم والحكيم بادلتهم الأثينيين على التمتع في سيطرة بريد عامة : ومحاولة بدد تدور الشقاق بين رعايا الأمبراطورية الأثينية . ولما عطلت أثينا ، وهي أقوى دولة الحريقة بحرية ، فلما كانت تفشي شجوب الشعبك بوا مع الأسبرطيين ولتضيق ثيابا عصبان سبي رعاياها دون حروقة وبذلك تم جود للسيطرة على طرفا التجارة الغربية وتخريب ضواطلي البلوانيز .

وفي بنية الكتاب الخامس يعرض توكيديس الفترة التي أعقبت صلح نيقياس وما سادها من قلق واضطراب وما قام به القرينين في حملتها الجديدة لا Sparta . فقال : وفي الكتاب السادس والسادس يروي مؤرخنا قصة الحصة الكبرى التي أمثلها الأثينيون إلى صقلية في عام ٤١٥ ق.م.

(1) 1. 32 - 68.

(2) 1. 88-117.

(3) 1. 118 - 140.

اعتقاداً منهم أن أسيرة لا تظهر في بلاد الآخرين وأن النصر الحاسم لا يحرز إلا بالسيطرة المطلقة على البحار . ومن أجل هذا كان يجب إدراج المدن الاستراتيجية في إيطاليا ومستقبلية في الإمبراطورية الألمانية ، وذلك تخلق في وجود الميونيزين كافة الأسواق ويحرمون المورد الباقى الذي كانوا يحصلون منه على الفصح . وتوكيدىس يعطى صورة حية لهذه الحملة المشكورة وما لبني عليها من أدنى تبار وما صاحبها من مخاضات البلاء وعدم الكفاية والفتنة والفتن بما أفضى إياها هزيمة مكررة في البحر وفي البر على السواء في عام ٤١٣ ق. م. ولكى يتفاد الخلع والاضطراب في غرس الأثينيين .

وفي الكتاب الثامن - وهو يؤلف الجزء الأخير من تاريخ الحرب الميونيزية - يشرح توكيدىس الآثار التي نمت حتى هزيمة ثيبا في مدينتها والحدث القدرى الذي نشب في ثيبا في عام ٤١١ ق. م. وجزءاً من حرب دكليا : ولم يتح له القدر ليتم تاريخ الحرب منذ عام ٤١١ حتى نهايتها في عام ٣٨٦ ق. م. ، بل ليتم الحملة الميونيزية في الكتاب الثامن . فلا يجب أنه قيل إن توكيدىس توفي ولقاه في يده^١ . وهذا يفسر السبب في أن مستوى الكتاب الثامن دون مستوى الكتب السبعة الأخرى . لأن الأجل لم يمتد تموزنا حتى يراجع الكتاب الثامن ويمنطقه .

ومما يعجز عن تصديقه تاريخ الحملة حول موتى الكتاب الثامن . والله قول توكيدىس أنه د على ذلك بالفقرة التالية : « ومعظم البعض أن الكتاب الثامن مؤلف وليس من تأليف توكيدىس ، وينسب البعض إلى أنه من تأليف ابنه على حين يقول البعض الآخر إنه من تأليف اجزنفسون

(1) Strabo, op. cit., p. 186.

(Xenophon)^١ . ورداً على هذه المزاعم تقول إنه من الواضح أن ليس من تأليف ابنته لأنه ليس في مقدور المرأة أن ترقى إلى مثل هذا المستوى الفني الرفيع . ولو أنها كانت موهوبة إلى هذا الحد لا كتبت بخطاب شخصيتها ولما اكتفت بتأليف الكتاب الثامن ولتركت مؤلفات أخرى كثيرة تكشف عن حبسها . وينهض الأسلوب دليلاً ناطقاً مدوياً على أن الكتاب الثامن ليس من تأليف آخر تفوق غاليلون شامع بين الأسلوب الوسيط والأسلوب الرفيع . وهو ليس كذلك من عمل ثيروبوموس^٢ (Theopompus) كما يزعم البعض ، لأنه فيها يبدو ولا سيما في رأي الراسخين في العلم أنه من تأليف توكيديديس نفسه لكنه لم يرأبج ويشتق ، إذ أنه عبارة عن مسودة وبه أجزاء كثيرة بجملة وكان يمكن تسبك والامتناع اليه . وذلك بكل القوا بأن العرض ركوك لأنه فيها يبدو كمن وهو مريض . وعادة عندما يعجز الجسم وعن تضعف كذلك القدرة على التفكير^٣ .

ويؤكد الرقي اليوم بأن الكتاب الثامن من تأليف توكيديديس لأن هذا الكتاب يصمم بكل المقاص التي تسم بها الكتب السعة اللهم إلا أنها استثنياً عدم استخدام الخطب لتصوير الأحداث أو الآراء أو للشاعر

١ كان إيراثون مؤرخاً أثينياً ، وله في ذلك الأسير من القرن الخامس وثمانى إلى سرون ٢٩١ ق.م. تأليف بها كتاب تاريخ الإغريق (Hellenica) مسودة لوجه توكيديديس في عام ١١١ من مؤلفاته مكتوبة في عام ٣٩٢ ق.م. وهذا التاريخ يقع في سبعة كتب لكنه يختلف من جرين وديسون : يشكك أولغا القطار الأخير من الحرب الباليونينيه وحاولت فيه صاحب مكتب توكيديديس مع ذلك كثير في الأسلوب والشفرة على المصنف والتصوير . أما المزمع الثاني فقد أصبح نجماً مختلفاً مع اتجاه المعروف عن صاحبه .

٢ جاء التاريخ ثيروبوموس في جزيرة سيروس حوالي عام ١٥٥ ق.م. ويرد في البداية إلى أن أنشأ إبيطراط في عام ١٥٥ ق.م. ومن بين مؤلفاته تاريخ الإغريق (Hellenical history) وهو استمرار لتاريخ توكيديديس من عام ٤١١ حتى مؤلفه كتيبيوس في عام ١٩٥ ق.م. (١٩٥) لا يرى إلى مستوى .

٣ Buch. op. cit. IV, pp. 120-121

على نحو ما سكتته فيما بعد ، إنه أن الفدائر لم تهمل توكيديديس
لجميع الكتاب الثامن وبدخل عليه من التعديلات والتحسينات
ما يضعه في مسود الكتاب الثامن .¹

ويمكن أن نحسم ما كتبه توكيديديس من الحرب البلوونيزية إلى ثمانية
كتاب على نحو ما نراه اليوم كان من أصل علماء الإسكندرية في العصر
الغريسي . أما في الأصل فإن الكتاب كان يتألف من خمسة أجزاء
وهي : (أ) المقدمة وهي التي أصبحت نزلت الكتاب الأول ،
(ب) الجزء الذي يتناول السنوات العشر الأولى من الحرب وهو ما
يتكون من الكتاب الثاني والثالث والرابع وكذلك الخامس حتى نهاية
الفصل الخامس والعشرين ، (ج) الجزء الذي يتناول الفترة منذ فقد
صالح نيقاس حتى حملة صقلية ، وهذا يشكل باقي الكتاب السادس ،
(د) وصف حملة صقلية ، وهو ما يتكون من الكتابين السادس
والسابع ، (هـ) وصف نتائج هزيمة أثينا في صقلية وأحداث ثورة
411 في أثينا وجزء من سرب ديمتري ، وهو ما يتكون من الكتاب
الثامن .

وقد تختلف آراء الباحثين حول الطريقة التي تتبعها توكيديديس في
تأليف تاريخه² . ولعل أدنى هذه الآراء إلى الصحة هو أن توكيديديس
أخذ منذ بداية الحرب بجميع الحوادث وأنها وبسجل ما يعين له من آراء
ثم انتهر طرحة الحدود السيمي الذي أعقب صالح نيقاس في عام 411
ليكتب المسودة الأولى لتاريخ الحرب في منها العشر الأولى . وعندما
استمرت الحرب بحملة صقلية حاول توكيديديس طرحته في التأليف من
حيث جميع المادة وتنويع الآراء في أثناء القتال ، واستمر على ذلك إلى

(1) Gruhl, op. cit. pp. 167-2.

(2) Boswell, *Thucydides as Historian*, London, 1945, p. 11 et.

إن وضعت الحرب أوزارها ثم راجع ما كتبه عن الفترة الأولى من الحرب : فقد ضمنه الكثير من نموه الكبير في المشكلة التي مر بها .
 ومنشور إلى ذلك بما بعد تمكينا عرض مناسبة . وحسبنا هنا لتدليل على هذه الاتصالات في أثناء المراجعة ذكر بعض الأمثلة التي تم عن الاتصالات بعد هزيمة لينين في النهاية . ويتضح ذلك بجلالة مثلاً في الفصل الخامس والستين من الكتاب الثاني حيث يتبدع مزاجه بريكنس وبعد نظره وسكينة سيانته لتحقيق النصر في الحرب . بالبرام خطة دفاعية مع العناية بشؤون الأسرار . وتجنب السعي وراء بسط سيطرة لينين في أثناء الحرب أو الإلزام على أي عمل يكون من شأنه تعريض كيان الدولة للمخاطر ، بيد أنه عندما قضى بريكنس يجب ضرب الأرمينيون بكل ذلك مرسى الحائط تمت تأثير زعماء مرجح من سيطرت عليهم الأطماع الشخصية فقاتلوا وطلبهم وسلفهم إلى التهلكة ١ . وإشارات توكيديس الشهيدة في الكتاب الرابع ٢ إلى الحملة الأينية الكبرى ضد موقعية مثل آخر لا أضاف مؤرخنا إلى مودعه صلما تعد في مراجعتها بعد انتهاء الحرب .

ومن الواضح كذلك أنه في أثناء المراجعة أضاف إلى حاشية الفصل الخامس والعشرين من الكتاب السادس تلك الفترة التي تروي كيف أنه لم يكن مقصراً لصالح نقياس أن يدوم لعدم رضاه الطرفين من ذلك الصلح مما أفضى إلى نشوب الحرب ثانية بعد ست سنوات وعشره ظهور من « ربيع عند المصباح » ٣ . وبعد ذلك استأنف توكيديس الكتابة من حيث تولف مبعثاً بالفصل السادس والعشرين من الكتاب الخامس . والتدليل على ذلك أنه استهل هذا الفصل بقوله :

١ راجع الفصل الثاني ، الفصل ١٠٠ ، بربريدس الثاني ، الفصل ١٠٠ ، راجع الفصل ١٠٠ .

٢ IV, 68-69.

٣ V, 26, 2.

١- توكيد بنس الأجنبي نفسه استمر في تاريخ الحرب حتى سقوط
الامبراطورية الكينية واستيلاء الأسرطيين وحلفائهم على يبرايوس والأسوار
الطويلة^١ . مسجلاً^٢ الأحداث بحسب ترتيبها الزمني الذي أرخه بفصلي
تصنيف والثناء في كل عام .^٣ ويعتبر البعض هذه الحالة مقدمة
ثانية للدلالة على أنه كان في نية توكيد بنس إحياء تاريخ الحرب البلويونيزية
في جزين ثم عبر رأيه^٤ . بيد أنه لو كان هذا الرأي صحيحاً لحذف
مؤرخنا هذه الجملة عندما استقر رأيه على استمرار هذا التاريخ في جرم
واحد . ولعل الأدنى إلى الحقيقة هو أن توكيد بنس لم يقصد بهذه المقدمة
إلا تأكيد فكرته بأنه وقد شهد بنفسه الحرب من لوطا إلى آخرها ،
وأنك كتبه تاريخها بعد تولده من ذلك عندما أصبحت ثيران القتال
ثانية ، يعتقد أن هذه الحرب ، برغم تعدد مبادئها وحلوق جهدها وما
تخلل ذلك من فترة هدوء نسبي عقب صلح نيقياس ، لم تكن إلا حروباً
متصلة بما في ذلك الفترة التي أعقبت الصلح ، فهي وإن خمد القتال
فيها لم تتمد المظاهرات أو تولد الاتحادات أو يسترد كل فريق كادته الأمان
إلى نفس شروط الصلح بردها إلى أربابها^٥ .

[illegible]

V. 211

— 24 —

Wirth, F.W., Beiträge zur Erklärung des Thallusbaus

1. *Journal of the American Medical Association*, 2005, 293, 265-269.

مؤرخنا أنه سمع نفسه يمدحها واستثنى معلوماته من الجنس الآخر عن
 مدحها ، ثم يخفي فيقول إنه لم يصف شيئاً ثم يرد نفسه أو يعرف
 خبره من مصادر مختلفة ويحسبه تحسباً دقيقاً . وهو ينهي إلى أن
 ذلك كان صواباً شائعاً لأن الذين شاهدوا حادثاً بعينه كانوا يخطئون فيما
 بينهم في رواية ما شهدوه تبعاً لمقدار ما تذكره أو مقدار ما لهم حاجة
 أو أخرى : لكنه قلنا بوضوح عن مصادر معلوماته التي يؤكد لنا أنه
 عسبها تحسباً دقيقاً . ومن ثم إما أن نؤيد ثقتنا ونقبلها وإما أن نضيق
 عليه بهذه اللغة ونرفضها . وبين أن الأجبال المماثلة لم تحسب ثقتها منراً ،
 فقد سلط البحث العلمي الحديث بكل ما توافر له من الوسائل على ما
 كتبه توكيديس وأليه :

أولاً : أن توكيديس طبق لسلوك البحث العلمي على دراسة أحداث
 عصره الحسام ، وهي التي قامت على ما له إلى مستكبرين معاصرين :
 وبذلك جهلاً صادقاً ليتحرى صحة أحداث الحرب البلبونية
 وتواريخها ، ويروي الحقيقة خير متأثر بالعواطف الجامحة
 والصالح الحضارية .

ثانياً : أنه إذا كنا نستزيد صلباً من فترة حلف الحرب بفضل ما عُثر
 عليه من نقوش : وما وصل إلينا من كوميديات أريستوفانس ،
 وما نطالعه في الكتاب المتأخرين ويوجه خاص ما كتبه بلوتارخ
 عن سيرة حياة بريكليس ونيقياس والتكبيادس (Alcibiades)
 وليساندروس : وأنه إذا كانت رسالة أرسطر عن دستور أثينا
 بمقتضاها الوافية من النصوص الرسمية لا تستكمل برواية
 توكيديس من ثورة عام 411 : فإن تاريخ توكيديس

(1) 1, 28, 1

(2) 1, 22, 2

(3) 1, 22, 2

(4) Acad. Quest. Athol., 58-59

لا يزال أوفى وأعظم مرجع من تاريخ السنوات من ٤٣٢ إلى ٤١١ ق. م. وأنه لا يقل عن ذلك أهمية لما يخص نصف القرن الذي سبق اندلاع حبيب الحرب البلوبونيزية : وذلك برغم ما يتخلله من عاء الخلقبة من لغزات كثيرة كما في غنى من حدها بالانجاء إلى مصادر أخرى من بينهم هروودوتوس لمر أن توكيديدس لم يقتصد في استخدام سجلات الدولة الأكرية الجارة بهذه الحجة^١.

ثانياً : إن المصادر التي استند منها توكيديدس معلوماته لشكبة موجز تاريخ الانغريش الرابع هي أفضل ما توصل اليه بعد ذلك وتحيين المؤلفات مؤرخي القرن الخامس اليكبرين مثل هروودوتوس والطيخوس السراقوسي وهلاتيقوس .

ثالثاً : إن أهم ما كان أي مؤرخ قديم ينوء به عند تناول أحداث الماضي هو الاقتصار إلى تاريخ دقيق لمجوات . وإن في عهد توكيديدس لم تكن مشكلة الوصول إلى مقياس دقيق للزمن قد حلت بعد ، بل إن الانغريش لم يفتوا إلى استخدام الخلفات الأولمبية في التاريخ إلا بعد الحرب البلوبونيزية بفلاة أربع القراء ، أي في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد : إن هلاتيقوس كان المؤرخ الوحيد الذي حاول التغلب على مشكلة قياس الزمن بوضع نظام لتاريخ الأكثي^٢ . وإذا كان توكيديدس قد كلف من عدم سلامة هذا النظام^٣ ، فإنه لم يدار، فصحة أو تحسبه . وقد كان توكيديدس على وشك الانتهاء إلى إكمال

(1) Herodotus, v, pp. 322-3.

(2) Strabo, op. cit., p. 205; Herodotus, op. cit., pp. 322-3.

(3) I, 27, 2.

جيل ، وهو تأريخ الحوادث بسنوي حكام أينا ، عندما أدرج بداية الحرب بالعام الذي كان فيه بيثودوروس (Pythodoros) ارغونا في أثينا^١ ، لكنه أخضع هذه المرحضة بعدم استمراره في ذلك واختارته بتحديد نقطة الابتداء على هذا النحو وليس في السنوات التالية للحرب إلى منها الأول ، والنجاة داخل هذا الاطار إلى أيسر السبل وأقربها إلى القطرة في التاريخ وهي طريقة المزارع القديم في الاعتماد على تقويم القصور^٢ : الصيف للقبائل والشتاء لمسياسة ، وذلك بدلاً من استخدام شهر السنة الأتيكية وأيامها . ولعله قد أثر تلك الطريقة البدائية في تأريخ الحوادث سنوياً على نظام التقويم الأتيكي لبعد هذا النظام عن التكاليف فضلاً عن أنه لم يكن شائعاً في كل بلاد الإغريق حيث كان يوقع انتشار للاوة كتابه . وبطبيعة الحال لم يكن مسبوفاً تطبيق طريقة توكيديدس في التاريخ على الفترة الواقعة بين انسحاب الفرس من أوروبا وإتيام الحرب البلوبونيزية ، ولذلك فإن تاريخ هذه الفترة بالنسبة إلى تاريخ الحرب البلوبونيزية يلتزم افتقاراً شديداً إلى التواريخ والنقطة في تاريخ الأحداث . ورغم ما نقصف به طريقة توكيديدس في التاريخ من نقص ومصور عامة صاحبه فضل كبير على المحققين في إعادة تأريخ كل حوادث الوبخ الأخرى القديم ، وذلك لأن شكل الأسار الذي صنعه المحققون لتواريخ هذه الأحداث وتحقق منه التاريخ يعتمدان على ما سجله توكيديدس عن كسوف الشمس وكسوف القمر في سني الحرب البلوبونيزية^٣ .

(1) II, 2, 1.

(2) V, 30, 2-3.

(3) *Macan, C.A.H.*, V, p. 503.

وبما تهاون ملاحظته أن الكتاب الخامس لا توجد فيه إلا جملة وليس
قصيرة لقائد الأسبرطي بربسيوس^١ وحوار طويل بين أهل جزيرة
ملوس (Melos) والمضراء الأثينيين^٢ ، على حين أنه توجد فيه
نصوص غرضها معاداة^٣ . وأما الكتاب الخامس فإنه لا توجد فيه خطاب
على الإطلاق على حين أنه توجد فيه نصوص ثلاث معاديات^٤ .

ويغزى لنا المؤرخ الأثيني ثوكيديس القول بأن ثوكيديس قرر الاستغناء
عن استخدام الخطاب في الكتاب الخامس لأننا كما أنها قصدت لتضليل
الملك بيري^٥ ، وهذا رأي غير مقبول . وعلى حين يرى بعض
الباحثين المحدثين أن النظرة أي جزء من « تاريخ » ثوكيديس إلى الخطب
دلالة على عدم الاكتمال^٦ ، لا يستبعد البعض الآخر أن ثوكيديس قد
يجرب طريقة جديدة في تأليف عندما حذف الكتابين الخامس والسادس
فاستبدل بالخطب سبوس^٧ لروثي^٨ . وليس الأرجح أن يكون
ثوكيديس قد اختار لمعالجة كل جزء من الحرب حسب الموقر وأكثرت
موادته لتصوير الأحداث : وإن كان هذا لا يعني أن القدر لم يهله حتى
يراجع النصف الثاني من الكتاب الخامس (الجزء ح) ويتم الكتاب (الجزء
الجزء ح) ويقوم بمراجعته ، ويعطي هذين الجزئين شكلهما النهائي .

ولنا في حاجة إلى التوقف طويلاً عند أسلوب ثوكيديس ، فالكل
يؤمنون على أنه سرمد التاريخ بأسلوب وحيث يجمع بين جمال الأدب
ترقيم ودقة العلم لغتي ، مع حرصه على أن يردح أكثر قدر من
المدى في أقل قدر من الكلمات ، إلى حد أنه في بعض الأحيان تؤدي
كلمة واحدة عمل جملة ، وأحياناً تقوم جملة واحدة مقام فقرة بأكملها .

(١) V, 1. (٢) V, 15-115. (٣) V, 14-15, 23-24, 47, 77, 79.
(٤) VIII, 23, 25, 68. (٥) Hist. Nat. Thucyd. 19.
(٦) Zuck, op. cit. IV, pp. 187-8.
(٧) Mark-Gregg, Hist. Thucydides, in Oxford Class. Dict. 1937 pp. 148A.

وقد جدد ذلك بعض النقاد القدماء^١ إلى مواضعه على هذا الجبل إلى
الآن لا يزال شديد واضحا للمعاصرين المقلين.

ويجوز أن توكيد بليس الفصل في حق التاريخ السياسي^٢ . حقا أن
الحروب القديمة كانت أهم ما هدف هيرودوتوس إلى معالجته في مؤلفه
لكنه لم يكن في مقدوره أن يكون مؤرخا سياسيا ، فهو لم يكن ، بل كان
أو غيرها بل إنه لم يشهد شيئا من الحياة السياسية في مقطع رأسه
هليكارسوس ، تلك الحياة الاسيوية الحديثة ، لقد كان يحكمها طاغية
يخضع لسادة اغاربية ، ولم يكن من شأن ذلك اثرة وجود تلك اللون
من الحياة السياسية الذي كان مألوفاً في مدينة أثينية حرة^٣ ، وعندما
لحق هذا اللون من الحياة في أثينا لم يشارك فيه ، وإنما توكيد بليس لأنه
كان أحد سواشي أثينا برعكس رعي التي كان نشاط السياسي فيها
غريب الحياة ، لا عجب أنه جعل طبيعة الدولة المشكلة الرئيسية في
مؤلفه .

وقد سلك القول أن توكيد بليس بدأ تاريخه ، بجريز التاريخ الاغريقي
من عهد ميديوس حتى الحروب البغربية ، وهذا الموجز يكشف عن قواعده
في الحكم على الحقائق التاريخية وفي تفسير الأهمية التي يعلقها على أحداث
عصره . فهو يعتقد أن تاريخ الاغريق القدر خير هام لأن ظروف الحياة
تتبدل - وقد حدثت دون الاستقراء وفلاحة الأرض فلاحة منظمة
وتجميع رؤوس الأموال ، وقيام مدن كبيرة ووجود لهم ذلك من مقومات
الحضارة الحديثة - لم تكن تسمح بإنشاء أي تنظيم سياسي وحيد الأركان
لو بنمو القوة على نطاق واسع . وإن هذا الموجز الجليل في دلالته على
وجهة نظر توكيد بليس التاريخية ، فهو بطرح جانبته على الروايات التاريخية

(١) Dion. Hal. Thersed. 2d Ed. Morrell. 14.

(2) Jaeger, W. Paedria. Study of Greek Culture. Eng. trans. by E. Vieu,
1938, p. 120.

(3) Voegelin, op. cit. pp 333-4.

التي لا يمكن أن تكون إلا نتيجة لظروف تاريخية ، ويستلزم بها التواضع ، هي مجموعة من الآراء تستند إلى نظرية ثابتة في العلاقة المنطقية بين التقدم الثقافي والتقدم الاقتصادي . ولا كان ينظر إلى الماضي بعيني لسياسي الذي يهمل في القرن السادس قبل الميلاد ، فإنه لا يمكن إلا في القوة ، ولا يرى في البراءة الذاتية والتطور الاقتصادي والثقافة العقلية إلا الأصول الضرورية لقوة . وهو إذ يصور ذلك الماضي البعيد بخطوط عريضة اقتصادية وسياسية يوضح عن نظره إلى أحداث عصره .

ولكنه إذا جاز القول بأن أحداث العصور القديمة في تاريخ الآخرين يوجد عام لم يبلغ من الأهمية ما بلغت الحرب البلوونيزية ، فإنه لا يجوز قول ذلك عن الحروب الفارسية ، إلا إذا كان هدف توكيديديس هو الاقتران من أهمية كافة أحداث الماضي ليبرز أهمية موضوع « تاريخه » ، وهذا لا يتفق مع ما تضمنت به آراؤه ، ولكنه يرجع عام من الاقتران والانصاف وعدم التأثير بالعواطف والمصالح الشخصية ، وعلى نقل حاله فإن عدم احتفاله بأحداث الماضي البعيد لأنها لم تبلغ من الأهمية ما بلغت أحداث الحرب البلوونيزية لا يتفق ووجهة نظر المؤرخين من المؤرخين . ويجب أن نبرز هنا نقطة هامة وهي أن من احتفال توكيديديس بأحداث هذه الحرب لم يكن سبب أهميتها الذاتية وإنما بسبب ما تعبره هذه الأحداث ، فذلك بسبب ما تربط عليها من سقوط الامبراطورية الأخمينية واذلال أهلها في اوقات الفوضى ، كانت فيه هذه المدة تمثل أسوأ ما وصلت إليه الحضارة الفارسية حتى عدت علماً عليها ورسماً لها .

وبعد ذلك الجواز الحرب توكيديديس من هدفه من تحرير العقيدة وهو أن يكون مؤيداً لآراءه الخاصة من عدم يتفق مع الجاسون على شيئا الأحداث التي وقعت في الماضي وميول لتكرر في المستقبل ، والتعبير في نفسه لأن جميع البشر دائما لا يتغير . وقد ألح توكيديديس في تكرار

وتكره القاطلة بأن التاريخ يعيد نفسه ، وهذا يناقض الفكر، القائمة بين
المحدثين من المؤرخين ، فكل حادث بذاته من عناصر خطفة لا يمكن
أن يجمع كلها ثانية فيكرر وتكرر تلك الحوادث ، بيد أنه إذا تمسكنا
لاصبح القول بأن التاريخ يعيد نفسه ، فإن هذا لا يعني وقوع أحداث
متشابهة في حياة الأمم والأفراد ، ومن ثم فإن الناس يستطيعون الاندفاع
من التجارب الماضية إذا وعوا دروسها ، ولعل هذا هو ما روى إليه
توكيديس - تشيأ من الفكر الأخريقي القديم كان يهدف إلى توفير هذا
المون من المعرفة عن طريق الوصول إلى نتائج عامة ، وإذا كانت فكرة
توكيديس اقلالة بأن تاريخ الأفراد والشعوب يعيد نفسه تختلف الفكرة
الحديثة عن التاريخ ، فإنه يشارك المحدثين الاهتمام بكل حادث بعينه ،
فضلاً عن كون أنه يتخطى نطاق الغريب من الأحداث والغريب منها
ليصل إلى قانون عام ينطبق على الأحداث المتشابهة ، وهذا عنصر أساسي
في وجهة نظره السياسية ، على أساس أن السكينة لا يستطيعون التفكير
سياسياً والصرف وقتاً طويلاً في دراسة ولا إلقاء كانت في الحوادث متشابهة
تتربح عادة على حوامل متشابهة لتنتج متشابهة ، فإن هذا المبدأ من
التتابع يجعل للتجارب فائدة ويسمح بقدر من بعد النظر وتغيير احتمالات
المستقبل فندبراً سياسياً ولو إلى حد ما .

رغم بدأ تفكير المؤرخين السياسي منذ أوضح هولوت هذه الفجوة (١)
ومند عصر هولوت حدث أننا قوة فكرى وانجست خضيلة وانفرد من
التجارب السياسية نتيجة للعلاقات التي تشكلت بينها وبين مختلف الدول ،
وكان تيسر لكثير من أن يعني تلك من هذه التجارب - وهو الذي يعتبره
توكيديس طرازاً عاماً لربداً من الرجال نصف بعد النظر والحكم
صادق على الأمور (٢) ، وهذا الصلحان الثاني يعني توكيديس بأن يشهد

(١) Jaeger, op. cit. p. 887. Voegelin, pp. 124 ff.

(٢) - ١١٥ ٥

« تاريخه » في الأجيال التالية يعرض صورة صادقة لأحداث الماضي بحسب الناس منها المعرفة السياسية التي تولد فيها عديد الصعاب . فهو بهذا اعتماداً جزئياً أن الدراسة المحظوظة للدراسة التاريخية هي أنها تكسب من فهمها الخبرة السياسية ، وأن السياسة علم يخضع لقوانينه الخاصة التي لا يمكن فهمها إلا يبحث الحقائق التاريخية لأعلى أنها جزئيات متصلة والتي بوصف قوتها لجزء متكاملة في عملية مستمرة . ولا جدال في أن نظرية توكيداس الحقبة إلى طبيعة الأحداث السياسية وقوانينها تضع توكيداس فوق مستوى سائر المؤرخين القدماء ، ولا غرو ذلك لم يكن يسيراً إلا لأنني يعيش في ذلك العصر الزاهر الذي أحب رجالاً من طراز بريكليس وسفراط وديمباس .

ولعل أنخص صلت فلسفة توكيديدس السياسية على أنها منطق السياسة يعرض الأحداث عرضاً واضحاً . وقد ساعد على ذلك موضوع « تاريخه » ، والحرب البوبوليزية تظهر مجلداً منقطع النظر للعلاقة بين السبب الحقيقي والنتيجة الحقيقية في السياسة . ومن أبعث أنه يعتبر نصيب فكره على أي مسألة من الأحداث عتاراً الإنسان كجانبه الحي ، على ما يصدر أن توقع ظهور فلسفة أفلاطون أو فن ديمباس في أي فترة من فترات تاريخ الأخريين .

والخلف الكثير التي حسنها توكيديدس مؤلفه لم يشع في روايتها الطريقة النقية نفسها التي اتبعها في رواية أحداث الحرب . وهو صريح الاختصاص إلى أنه لم يزل في ذلك الحصار حرقاً كما أنقذ ، لأنه كان يعتقد على وكذلك على الذين نقلوا إليه أخبار ما لم يسمعه شخصياً منها تذكر الكلمات نفسها ، ثم يضي فيقول : « ولذلك فاني عزوت إلى عمل مصنف الأفكار باللائمة المناسبة التي لمست فيها » . والبرهان الذي رجحت أن يكون قد استعملها لتعبر عن تلك الأفكار ، وفي الوقت

نفسه حاولت قصر استطاعتها التي أثبتت فاعليتها بما قيل فعلاً^١ ، ومع ذلك
 لاحظ أنه برغم ما مثله توكيد من الجهد التجريبي الحقيقة عما جرى
 في كل مناشئة وصفها ، فإنه من الواضح أن بعض ما يسمونه مؤلفه من
 خطاب ، إن لم يكن معظم تلك الخطاب ، كان يختلف اختلافاً جوهرياً
 من النص الذي أتت به ، وإذا كان لا يجوز مرة أن يؤلف مؤرخ لشخصيات
 تاريخية عظمى أنما يتوهمها بهذا تطابق عباراته مع ما تحدثوا عنه ، لأنه
 لا يجوز ألف مرة أن ينسب إلى تلك الشخصيات شيئاً يخالف ما قالوا
 به^٢ أو لم يقولوه إطلاقاً ، وكيف نفسر إقدام مؤرخ لبنى صادق فليل
 مثل توكيدهم على ذلك ؟ ومن سبى ذلك أن توكيدهم قد زيف
 التاريخ ؟

يجمع الباحثون على أن توكيدهم لم يستهدف من وراء خطاب أن
 يزيل التاريخ أو أن ينجي على أحد ، وإنما أن يعرض على هذا التصور
 بدلاً من أن يجرس على مينة حقيقات - فلسفة سياسية ، وهي التي
 كان يقرضها الأول والأخير نص ، الحقيقة تصوراً سادساً بالبحث من
 أفكار الشخصيات البارزة ويراك أثر هذه الشخصيات في توجيه رأي
 العام ، ليبدل العقلام عن جبين العوامل الحقيقية للكثرة وراء الأحداث .
 وكذا نعلم أنه المعرفة الحقيقة عن مجرى من الأحداث السياسية لا يمكن
 الايجاد بما حدث أو قيل فعلاً في تلك المناسبات ، فطالما ما يكون ذلك
 ساراً يخفي الحقيقة ، بل نعلم معرفة نوايا والكار الذين قاموا بالأدوار
 الرئيسية في تلك الأحداث . ولزم دهاء توكيدهم الصادقة في تصوير
 الحقيقة وانتهى بأن كل اتجاه في مثل هذا الصراع كان وليد التفكير المبني ،
 وبأنه في ومع من يرقب الصراع عن كثب الوصول إلى كنه هذا الفكر
 وراء تصويره على أنه كشف عن دوافع كل فئة لعبت دوراً في الحرب ،

(١) ١، ٢، ٣.

فانه يجري على اليقة الرصده شرح أدق ذو النعم ومعضلاته في خطب
 عامة بحسب رايه فيها تلك بنوعين على كل طريق أن يتكلم بشيا مع مطلق
 الموقف الذي اتخذه . ومنه ذلك أن توكيديدس لم يقم لها بحسب الخطب
 بدور المكاب الذي يسجل ما يسمعه بنفسه أو يثله الي غيره . وإن
 بدور الحسر العاقل الأمين الذي يرفض أن يحضه نظير فيلق سطر
 المحجب عنا من الزهر أيضا الدوافع الحثيثه التي شخصت عنها
 أحداث الحرب التي يورخ لها . فلا محجب وهذه هي اليقة التي اضطلع
 بها توكيديدس أن يكون له صور لنا تصويراً لاطفاً أحداثاً اعليه وكذلك
 الخالة النفسية التي سادها في فترات معينة في أثناء الحرب ودلت عن
 كثير من أحداث تلك الفترات . وسلم نظام كالة بأن توكيديدس كان
 أقدم جميع الذين شهدوا تلك الأحداث على تصويرها ليسراً مادياً
 للأجيال المتعاقبة . وما نجلو ملاحظته أن توكيديدس لم يكن أول من
 اخذ من الخطب وسيلة لتصوير الأحداث العامة والشخصية التي ليست
 أدواراً رئيسية لها : فقد سبقه إلى ذلك هيرودوس وديونسيوس الهيرجيات
 في أنيكس وكذلك هيرودوتوس . وبما أنه أن هذا لا يسور ما فعله
 توكيديدس .

ومع تقديرنا لأمانة توكيديدس ، حققة وتصويره الزائفة وآت
 السياسية الزائفة وما في الخطب التي اصطلحها من طلاقة ومتعة وحيوية ،
 كانت تأخذ عليه أنه أثر ألا يعرض فلسفته السياسية على هيئة تعليقات وإنما
 في تلك الخطب التي اصطلحها وتصيب الغرقة فيها بين ما تصوره المورخ
 وما حدث فعلاً ، وهو ما يجب أن يكون في ميمور الناس الباقين
 عليه أنفسهم يكن ما يتوافقهم من ومائل وعلى ضوء ما يتكشف عن
 روح العصر من اتجاهات وما يتكشف اليك عنه من وثائق ، فإذ
 التاريخ يختلف من عصر إلى آخر وإن شئت اخذوا كانه لا يغير
 وحسبنا أن نشر إلى أن طريقة توكيديدس كانت نكبة من التاريخ عند

قرون من بعده حينما اقتضى الأمر في هذه الناحية مؤرخون لم يسروا إلى
مستواه في التفكير ولا في الأمانة^١.

وعليه نوكيديس على التفرقة بين بواطن الأمور وظواهرها يسدو
كذلك حتماً تواد يفرق بين الأسباب الحقيقية التي أدت إلى الحرب
البلغونية وبين المآزلات التي سبقت هذه الحرب مباشرة. وبين أنه
قد استعار ذلك من علم الطب، وهو الذي كان أول العلوم التي ترقى
تفرقة علمية بين العروس والجور، وذلك بالتفرقة بين ظواهر المرض
وأسباب الحقيقة^٢. وإقدام نوكيديس على اتخاذ هذه المسطرة يتوهم
دليلاً على اعتباره سيادة محلاً نكته أسباب الطبيعة التي تنفض إلى
تدريج طبيعة، وعلى ارتفاعه بالمشكلة التي يعالجها إلى مستوى التواضع
الموجودة التي لا تألوا بالعواطف والصراخ الشخصية. لم تكن بللاً
بل تدخل العناية الإلهية في ترجيح مجرى الأحداث المختلفة، ولا جدال
في أن موقف نوكيديس على السبب الحقيقي للحرب كان ثورة تفكير
جداً متصل في المشكلة التي حلها، ولا في أنه هذه المرة عرض علينا
أسد أمثلة فلسفته السياسية الواضحة. فهو لم يلق على الحرب تلك النظرة
السطحية التي ألقاها عليها أريستوفانس^٣ وديودوروس^٤ وثوراخ^٥.
ومن الآن عزداً ظهوراً إلى القرار الذي أصدره بريكس بحومان عيجوا
من المناجزة مع الأمور الطورية الكثيرة، بل عرض الحرب دراسة عميقة
هذه إلى معرفة أسباب الحقيقي. فلي راي نوكيديس أن هذا القرار
والسلوكين الآخرين ليس اقتدياً أية قبل الحرب (١ - يقول لينا

(1) Murray, op. cit., p. 186; Shachmull, op. cit., pp. 210-12; Jaeger, op. cit.,
p. 266.

(2) Jaeger, op. cit., p. 212; Murray, op. cit., p. 212.

(3) Arist. Achab., 113-129; Peace, 608 ff.

(4) Diod. XII, 29-41.

(5) Hist. Persica, 20 ff.

عائلة كورجيرا (كورفو) وكانت مستعمرة غنية من مستعمرات كورنيج
وتسيطر على الطريق إلى الشرق . ٢٠ - أيام أثينا بمحاصرة يونانها
وكانت مستعمرة أخرى لكورنيج (كانت أسباب الظفر والشكوى من
سلوك أثينا . وأما السبب الحقيقي للحرب فانه رأى أثينا ظروء أنه كان
أفراد نحو قوة أثينا إلى حد أخرج اسيرطة وتهديد كورنيجها ١ . وهذا هو
المرأي الذي قدمه ١ . وان كان البعض يرى أن هذا ينسب لاسرار
الحرب في عام ٤١٣ وانتهائها على نحو ما انتهت إليه أكثر مما ينسب
قيلها في عام ٤٣١ ، وأنه إذا كانت حراسة الأداة القديمة لا تنكشف
عن سبب واحد يفسر قيام الحرب ، فسيبراً أولاً فان مخزنية كورنيج
الغنية لأثينا ، ومباشرة اسيرطة المستعمرة ، ونصميم بيركلين على عدم
الضحية بأي شيء في سبيل الاحتفاظ بالسلام وعلى مواجهة الأعداء حين
يمكن التحكم فيها . إن كل ذلك جعل لتوب الحرب أمراً لا مفر منه .
أما للناقصة التجارية بعد الفرضين ، وانزلة ألدنهما لاء العصر الأثيني
والآخر إلى العصر الدوري ، واتصال أثينا بالعظم الذي يتطلبه على حين
كانت اسيرطة وخليفاتها عناصر الأوليجاركية ، وفرض أثينا السيطرة على
ومبايات على حين كانت اسيرطة تترغم بمن " تقرير لسيبره " و " تون
التي " - أما كل ذلك فانه جعل قيام الحرب محتملاً وإن لم يجهله
عقوماً ٢ . ويؤيد المعارضون توكيدليس رأيهم بأن الامبراطورية الأثينية
كانت عند منتصف القرن الخامس أقوى مما كانت عليه في سنوات
النافذة مباشرة للحرب ٣ .

ولا جدال في أنه في خلال السنوات السابقة مباشرة للحرب لم تسط

(1) Thuc., I, 20, 0 - 61, 0.

(2) Bartholomew, Greece, Galary ed, 1968, pp. 151 ff.; Dugas, op. cit.,
pp. 330-331; Diodorus, op. cit., pp. 339.

(3) Adcock, G.A.H., V, p. 186.

(4) Mead, op. cit., p. 424.

أثينا سلطانها على أقاليم جديدة : بل أنها صادقت بعض الكتب منذ عام 181 . ولكنه لا جدال كذلك في أن أثينا دعت سلطانها على امبراطوريتها التي نظمتها تنظيمًا قوياً ، ونشرت لقرودها حتى القرم ، وأنست بعض المسعرات الجديدة مثل أمفيوليس ، وعصبت عدداً من المحادثات كان من أبعدها أثراً لمخالفها مع مدن في الغرب مثل لونتوم ورجيوم ، فالزع اسبرطة وأثار كرامن حقدتها اطراد نحو ثورة أثينا وإزدياد ما عهده من جرائم ذلك يوماً بعد يوم : فضلاً عما كان يخلوي عليه كل ذلك من أخطار تهدد اسبرطة وحلفائها . والواقع أن التحليل الدقيق الذي ينضمه الكتاب الأول من « تاريخ » توكيديس لا يدع مجالاً للشك في أن الامبراطورية الأثينية كانت الأقوى التي تروي أثينا استخدامها والاحتفاظ بها وكذلك القوة التي استخدمتها القوة الأخرى للفوز بمناصرة العالم الإغريقي لهم في القضاء عليها ، فآخر بعثة أنقضا الأسبرطيون إلى الأثينيين اكتفب بإبلاغهم الخليل الثاني : « إن الأسبرطيين يرغبون في السلام ، وسوف يكون هناك سلام إذا منحتم الإغريق حريتهم . »¹

ونرى في الكتاب الثاني كذلك أن قيام الامبراطورية الأثينية هو الذي أوحى إلى كل من الفريفيين بالموقف الذي اتخذوه ، فقد استمد أعداء أثينا من ذلك مبرراً لاعتبار نظامهم حرباً لتحرير الأخريق : ذلك أن توكيديس يحدثنا في صدر الكتاب الثاني بأن : « عواطف الناس كانت مع الأسبرطيين لأنهم تصوروا أنفسهم حربي بلاد الإهريقين : فكسبت المدن والأفراد في لحظة على تلك قصارى الجهد لمساعدتهم بالقول والعمل . وإذا عجز شخص عن المشاركة يدان له أن الشيا قد توقفت ، فقد كان أشياء الناس من الأثينيين شديداً ، وسمحت بعض الناس بقطع إلى الخلاص

(1) I, 139, 8

١٥٠ : « بعض الآخر يفتن الوهم تحت سيطرتهم . » ١ هـ هذا إلى أن
 أرحله لهم ، ملك اسرطة ، أحد من سيطره الأتوبيين مبرراً لهاجة
 بلاتيا وهي التي أتت إليها أن المرء ، إنما قامت لتحريرها وراقى رعباً
 إليها من رقة الأمم العذرية الأتينية . ٢

والمع ١٤ ، وكنس في الكتاب الثاني أيضاً وهو يخاطب مواطنيه
 بعد أن غزا البلوبونيزيون أراضيهم للمرة الثانية منذ بداية الحرب وأهلك
 الخاضعون قراهم ونهبهم اليأس على قومهم حتى سموا حينئذ إلى عقد الصلح
 مع أعدائهم ، فزحف بريكس يستعصمهم ويقول لهم : « ألم
 لظن أن إمبراطوريتكم مقصورة على حلفائكم ، ولكنني أقول لكم
 إن من بين شطري الدنيا المتوحين آدمي هي الإنسان : الأرض والبحر ،
 أنهم لعدة انصرفوا في البحر ، وليس ذلك إلى الذي الذي يسيطر
 سيطرتكم عليه الآن فحسب ، بل إلى أي مدى تشاعون بسط سيطرتكم
 عليه . ٣ ثم يخفي بعد ذلك فيقول : « وفضلاً عن ذلك فإنكم
 تزمون بالصدق حتى عهد مدينتكم وهو الذي ترحون » ، لأنه لا يمكنكم
 أن تتصرفوا المحذون تحمل فكأنهم . ولا تتصوروا أنكم تحاربون فقط
 من أجل الاحتفاظ بحريبتكم ، بل أيضاً للثود عن حياض إمبراطوريتكم
 وثود ما يهددكم من المخاطر الناجمة عن الكراهية التي انزغها في الناس
 قيام هذه اللائحة العريضة . ٤ « ويطرد بعد ذلك فيقول : « وإذا
 اضطررتهم آخر الأمر إلى الخلد وإز تقنار من عظمتهم ، فكل شيء ذلك
 عنه وجزم : « ومبذكر الناس ذرواً أنك ذرك سائر الآخرين قد كان
 لا أحسن عنه من لرحايا الآخرين وإذا كان ذلك عليه ذوداً
 نسيب أولئك الذين يطمعون إلى حكمهم غيرهم ... بيد أن هذه الكراهية
 لا تقوم عزلاً ، هي حين أن جلال السخط يبقى خالداً إلى الأبد . ٥ »

(١) II, 38, 4.

(٢) I, 74, 1.

(٣) II, 32, 2.

(٤) II, 38, 1.

(٥) II, 38, 3-6.

وراء أدرك ثوكيديدس أن قوة أثينا كانت السبب الحقيقي للحرب ،
 وأنه حدد العديد من مميزات الحرب أعني بوصف نحو قوة أثينا واتخذ
 من ذلك تمهيداً لوصف المواقف التي عكست المآزاة في أسيرة لها على
 إعلان الحرب ووجهت احتجاج الجمعية العامة التي عقدتها الأسويطون
 وأعلنوا فيها أن أثينا خرفت معاهدة صلح الثلاثين عاماً ، وهي التي
 عقدت بين أطرواس في عام 446 - 445 ق.م. وفي هذه المناسبة
 الخامسة : مع أن الحرب لم تكن على أثينا إلا في المواقف التي عكست
 الخلفاء عقب ذلك : أورد ثوكيديدس أربع خطب - وهو عدد يزيد
 مبرراً على سائر الأورد في أية مناسبة أخرى . وقد رمى ثوكيديدس
 من وراء هذه الخطب إلى عرض وجهة نظر خلفاء أسيرة على لسان
 الكورثيين¹ : ألك أعداء أثينا : ووجهي النظر لبالدس في أسيرة :
 أي وجهة نظر المحفظين² وهم الذين كانوا يفضلون المساة إلى أن
 يستكمل الاستعداد لمواجهة عدد خطب مثل أثينا وهي التي كانت تتوافر
 لديها كل الوسائل بخصوص خيار حرب ناجحة ، ووجهة نظر الحرب
 الذي كان يتبع في المبادرة إلى خسارة الأثينيين بعد أن قاموا في بناء
 قوتهم³ . وكذلك وجهة نظر الكورثيين : على أن يمتنع ثوكيديدس
 إنما كانت لزور أسيرة عندئذ في مهمة لم يوضحها . ولأنني الخطب
 الأربع في تصوير مبلغ قوة أثينا يخرج القارئ أو السامع من ذلك كله
 بأن السبب الحقيقي للحرب هو نزع الأسويطون وسلطتهم من أطرواس نحو
 هذه القوة . ولا ريب في أن هذه الخطب الأربعة من تأليف ثوكيديدس
 بعد انتهاء الحرب ودراستها دراسة حبيقة والوقوف على العوامل التي
 أغضت إليها والملازمات التي امتثلتها والمشار التي تلجتها : رصاص من
 كل ذلك خطباً لأبراهما على ألسنة شخصيات مختلفة ليستطيع القارئ أن

(2) L. 66 - 71

(3) L. 81

(2) L. 80 - 88

(4) L. 73 - 78

يتصوروا هذه الحرب على حقيقتها .
وأبرز هذه الخطب الأربع خطبها السفيرين الكورثي والأثيني . وقد
أجرى توكيديس على لسان السفير الكورثي أولاً تستهدف تحريض
الأمبراطور على إعلان الحرب بالمقارنة بين صفاتهم ، وهم الذين عملوا
بالتقاعد والتمسك بالتقاليد ، وصعدت الأثينيين ، وهم الذين تجرأوا
بالمغامرة والابتكار وحسن حوار العزيمة معها تكمن الظروف التي
تواجههم ، فوصف الخلق الأثيني على نحو أروع مما وصفه أي خطيب
أثيني في حفل عام ، بل أروع مما وصفه توكيديس نفسه في خطبة
الطابن الشهيرة التي جردها إلى بريكنس واستدارتها بعض الفساد
بفسادها خطبة السفير الكورثي . ويمكن تفسير ذلك بأن توكيديس
هدف من وراء هذه الخطبة إلى تحقيق غرضين : أحدهما هو تصوير
الحالة العقلية التي سبقت قيام الحرب ، والآخر هو تحليل الأسس
التي التي بنيت وراء قوة أثينا في خلال نصف القرن الذي سبق قيام
الحرب . وخطبة السفير الأثيني متعمدة لخطبة السفير الكورثي ، فهي
تبرر بقوة أثينا بغير عرض تحليل تاريخي لتلك القوة بين العوامل التي
حدثت بأثينا إلى بدء قوتها حتى بلغت ذلك الحد . وفي رأي توكيديس
أن قوة أثينا أخذت في النمو منذ قيامها بدورها الخالد في دحر الفرس
عند ماراتون (٤٩٠ ق. م.) وسلاميس (٤٨٠ ق. م.) : لأنه عندما
أحرب حلفائوها عن تمسكهم كما بدت وكانت به في سبيل اللود عن
حرية الأمرين وكما لهم السياسي بأن أسندوا إليها مقاليد الرحمة : دفعها
للكوف من نفس اسبرطة ، وقد أقصبت عن زوالها الضليعية ، إلى
دعم القوة التي اكتسبتها ، ثم إلى اتخاذ الخطة عند خروج حلفائها
حينما بتصديق دائرة الاشراف على مصيبتهم بالفرسج . فبالفني أمر
الأمر إلى انضمام حلفائها بعد أن كانوا في الأصل مستقلين : على أنه
لم يكن مبعث ذلك الحرف وحده بل الخشع والمصلحة الذاتية ، وبعض

بالسياسة . ومن أمثلتها هناك : توكيديوس^(١) ، وأبى على أن يورد في عمل مشابه
 وجهتي نظر متعارضتين في الموضوع نفسه ، على نحو ما عرض على
 لسان أفلاك^(٢) ، غيديادوس^(٣) ، مثل المحافظين^(٤) ، ولسان أفانور^(٥) ، مثلاً ، بلداس^(٦)
 (Sthenelaidas) ، يمثل حزب الحرب^(٧) ، الأكاديميون^(٨) المتعارضين في
 السياسة الإمبريالية قبل نشوب الحرب . ذلك أن توكيديوس^(٩) ، كنهس
 لوجهة واصل ثورة موثيليبي^(١٠) في عام ٤٢٨ ، يعرض على لسان كليون^(١١)
 ولسان ديودوروس^(١٢) ، وجهتي نظر الحزبين الأتوبيين المتطرف والاعتدل
 في السياسة التي تصبح تمر حلفاء أثينا ، أو بحجارة أصبح وحايدها ، مثلاً ،
 وإن كانا يعتبران الثورة أمراً خطيراً ينبغي موارد أثينا ويجب تصدي
 تكرار وقوعه ، إلا أنهما كانا يختلفان في وسيلة تحقيق هذا الهدف ، فالأول
 يدعو إلى السدة ليحصل من الثوار حقة وعبرة لغرضهم ، والثاني يدعو
 إلى استمرارية إرادة هذه الأمة حتى لا يترافق أمرها ، الأكاديميون مراد
 في نفس حلفائهم وإن اتحد الجميع مستقبلاً ، أكابلاً لطلب الثورة مرة
 أخرى ، وفي الخطاب التي ألقاها بعد سقوط بلانيا في عام ٤٠٤ ، أهل
 هذه المدينة^(١٣) ، وأستازم^(١٤) ، أثينا^(١٥) ، أوضح توكيديوس^(١٦) استحالة تحقيق
 العدالة في زمن الحرب . وفي الخطاب التي ألقاها عقب فشل المحاولة
 ضد بولس (Pylas) في عام ٤٢٥ ، عرض وجهتي متعارضتين
 إذاً لصالح : وجهة معتدلة^(١٧) (وهي التي بدأت الحرب أصلاً) ، في
 انقاسم ، فقد لصالح ، إلا من أصبح في حرب قد تنخفض عنها يوماً
 كورث لا يتوقفها القاتلون ، وعرف أثينا عن عند لصالح^(١٨) ،
 وهي التي كانت قبل الحرب تدعو إلى انقاسم بل رأيت كيف أنها في

(١) I, ٢٠ — ٢١

(٢) I, ٢٦

(٣) III, ٣٧ — ٤٠

(٤) III, ٤٥ — ٤٦

(٥) IV, ١٨ — ١٩

(٦) IV, ٦١ — ٦٢

(٧) IV, ١٧ — ١٨

(٨) IV, ٢٢ — ٢٣

العام التالي للحرب سمعت دودا ينادي إلى عقد الصلح ، ولكنها الآن وقد كانت الأمور تسير مواتية لها أصبحت لا ترغب في الصلح إلا بعد الفوز بنصر حاسم . وقد انشهر توكيليدس بفرصة مناقشة عقد الصلح أو متابعة السير في الحرب ليصل على موافقة جميع حمله فمعه يقسم الباحثون المحدثون على أنها لا تتفق مع الأسراف الذي يخرج بتواريخنا مرة أخرى عما اتصف به من الانصاف والحيطة بوجه عام . وقد مرضت كذلك من لسان التوكيليدس¹ صاحب مشروع أوامير حمله كبرى إلى صقلية وعلى لسان ثيقياس² أحد المتعصبين هذا المشروع الانحيازيين المباينين عند الأكيبين³ أنه هذه المسألة التي تعود إليها مرة أخرى . وفي الخور الذي دار في جزيرة ملوس (Melos) بين أهل هذه الجزيرة وبين السفراء الأكيبين⁴ . وكذلك في الخطابين اللذين ألقاهما في كورينا (Corinthe) هرموقراطس المبعوث السرقوسي⁵ و يوفيموس (Euphemos) المبعوث الأكيني⁶ . أبرز توكيليدس مشكلة حياة الدول الضعيف في أثناء الحرب بين دول كبرى . فمرض هذه المشكلة من وجهتي نظر مختلفتين هما وجهة نظر العدالة المطلقة ووجهة نظر سياسة الأمر الواقع .

ودأب توكيليدس على عرض وجهتي نظر مختلفتين في شكل خطاب يذكركم بما فعله هرمودوروس مرتين في تاريخه⁷ : وأحدهما (III, 62-63) عندما أورد ثلاثة خطب تضمنت ثلاثة آراء مختلفة في أوج نظام الحكم الفارسي مستقبلاً ، وذلك في الاجتماع الذي عقدته فائدة الفرس السبعة بعد انتصارهم على الثورة التي نشبت في أعقاب وفاة قمبيز . والمرة الأخرى (VI, 1-2) عندما أورد أربع خطب ، اثنين منها لأجروزميس في

(1) VI, 16 — 18

(2) VI, 18 — 22

(3) VI, 9 — 14

(4) VI, 16 — 20

(5) VI, 82 — 87

تحميل حصة لمرور بلاد الاغريق : وواحدة لماردوليس في تأييد الجهاد
 بهذه الحملة ، وواحدة لأرتياخوس في مناهضة هذا المشروع ، وإزاء
 ذلك يبدو أنه إذا كان توكيديس قد استمد الفكرة من مورديوس ،
 فإنه ذهب إلى أقصى مدى في تطبيقها مستخدماً بصيرته السياسية لذكاء
 وقدرته الفائقة على تحميل الحقائق وبساطتها .

ويطال توكيديس في مواضع مفرقة على المدى بين التقديرات الذاتية
 والحقائق الواقعية في السياسة . ويناقش في الخطاب التي ألقاها القسوس
 المختفون في حوضهم المشاكل العسيرة للحرب عن حيث تأمرها في الخطط
 الاستراتيجية . ويتناول في الخطاب التي ألقاها الزعماء البارزون قسائر
 تلك المشاكل في الحياة السياسية ، وهو أيضاً يصف الأثر السياسي لبعث
 المدعى لفسادون الذي انتهى في أثينا وأضعف معنوياتها وألحق بها خسائر
 مادية فادحة⁽¹⁾ . ويصور توكيديس تصويراً دقيقاً بالحوية فطائع
 الثورة التي اندلح حينها في كورنيداس⁽²⁾ في عام 427 : يتخذ منها
 درساً تعصبت من تروح الثورة التي سرعان ما انضات فشت سرورها
 في الدول الاغريقية : حيث كان الأمل في التدخل الأجبي أو الخوف
 منه يشجع بل يزيد تصرخ الحزبي خيلاً وحرارة ، ذلك أن دعاء
 الأوليجاركيه كانوا ينظرون إلى الأسبرطيين على حين كانت الديمقراطيون
 يرونهم بأبصارهم الدائمت . ولم يفت توكيديس أن يلاحظ أن
 تصرخ الحزبي كان من طابع الحياة السياسية في الدول الاغريقية إلا أنه
 في وقت السلم كان أقل ضرورة وحرارة مما وصل إليه في أثناء الحرب
 وتأييد ما بالأسف من كل مشور من التلاميذ الحديث ، وهو الثورة
 الفرنسية عندما أقضى التمسح الأجبي إلى أسوأ التطاليع التي أولئكها
 البار ، وفي هذه الثورة أيضاً نرى مصداقاً أوجهة نظر توكيديس (في

(1) II, 42 — 59: III, 87.

(2) III, 81 — 88, 1.

التي تحرر الانبياء الخلق والغير انفس الذي طرا على كالة القسم المعنوية
 ان استخدام الروح المعنوية وبلوغها أقصى درجات العنف - فالروح في
 كودكرا وطلوها انفسهم على ان يزدوا كل من ميقوهم ، انفس في
 ضرب نشاطهم وفي صفوف الأعمال الانتقامية - فلم تعد الكلمات
 اللغوية السابقة ذاتها بل تحولت من المعاني كل ما راق للروح ، ذلك ان
 جسارة الاستهزاء أصبحت شجاعة لولا ، ورواية اللغوي عرفت بها
 الجبن ، والاعتدال أصبح دلالة على غشور العزيمة ، وما كان النشاط
 يداني قد أصبح قصص التي يجب ان يتحمل بها كل مواطن ، وكان
 الشخص الذي يحيل الى العنف موضع ثقة حتى انهم رسموه منبرا
 لروية ، فان الركود الى الموت والقرام الحادة كان مصدر خطر شديد .
 ذلك ان الموازين التي لم يولدوا احد الحزبين المتصارعين راحوا لمصلحة
 لكليهما ، فقد كانوا إما رسموا للنفس لغرضهم عن الصراع واما
 موقوفا لمجرد انه لم يظلم موه ، وهكذا الحرب عرض الخائف بكل
 القيم والشرائع وسط ما أثاره الصراع الحزبي العنيف من أسوأ الترهات
 البشرية .

وما يجدر بالملاحظة أن توكيد ليس ان يعالج كل الشاكي كدري في
 شأ في حلول حرب صروس لا يهيج نهج لواعظ بل نهج الطبيب
 الذي يفحص ، ويشخص ، ويقضي من ذلك فانه لا يعالج الأحداث
 المشابهة بطريقة واحدة ، فهو نارة يروى علداً لونا من فظائع الحرب
 وآلامها ، وثارة يعم في ابرار لونا آخر أشد هولاً من الأول ، وهو
 حادة يكتفي على رسم لتصوير لاحية بعينها من نواحي كل الخائب
 المفجع من الحرب ، على نحو ما يكشف برصفا ، أحداث ثورة كودكرا
 لتصوير طبيعة الصراع الحزبي الذي تكبت به تلك الاغريقية في القرن
 الخامس وبلغ ذروته في أثناء الحرب البوونيزية ، دون أن يأتي على

وصف أحداث الثورات الماثلة التي وقعت في خلال هذه الحرب ، أو
يكتفي برسم شخصية كليون ، وسرقات تصوير الدعاية التي كانت
اللائحة اعطيت الافريقية نياً لها ، دون أن يلقي بالاً إلى أن الحرب كليون
وما كان أكثرهم . ومع أن كليون احتل مكان الصدارة في آتينا مدة
خمسة سنوات كالم من ألق مراسل الحرب ، كان توكيديس انصى
بخدمته ثلاث مرات فقط على مسرح السياسة لرسم صورته رسماً واضحاً
لامرئ عليه ¹ .

وسواء عند تناول أسباب الحرب أو عند رواية أخبارها ، كان
توكيديس مشكلة نشأة القوة السياسية ونموها والحفاظ عليها وما ترتب
على ذلك من مشاكل أخرى أخصها اعداد القيم الانسانية الرفيعة في مجال
الأخلاق والعدالة . ولا يدع توكيديس مجالاً للشك في أن نشوء الأزمة
بين آتينا وأعدائها تقع تبعته على كاهل الذين كانوا يوجهون سياسة الطرفين
لتسازحين . وأنه قبل كل شيء ، يتمكن في طبيعة النفس البشرية فهي
تزعج إلى السيطرة على من يوضع مثل ما تنزع إلى غزو الأعداء ، وكذلك
إلى الحفاظ على المكاسب بدافع من الكرامة والخوف والمصلحة الذاتية ،
وأن قوى الحكمة ياخذون في الاعتبار وجود هذه النزاع بين ظهرائهم
وذلك ، بين ظهرائهم فيهم ويستخدمون قوتهم أو يضعون سياستهم تبعاً
لذلك . وأنهم إذا استخدموا قوتهم أنزكوا أن تنصر لا يمكن لحق
أو القوة أن تكفل احرازه ، فغصروف الحرب وملاساتها أمور يتعذر
التكهن بها . ولذلك كان مسير الحروب تنوره أخطأ أحد الفريقين
أكثر مما يقرره تفوق قوة الفريق الآخر . ومن اجل أن توكيديس
ينظر إلى المشكلة الرئيسية باعتبارها جرماً من الطبيعة البشرية حتى تلك
التي لا يسيطر عليها حب السلطة سيطرة تامة ، فالمعروف أن الأثينيين

[1] Philog, op cit, pp 11 — 12

- وهم أكثر الناس حياء في السلطة - كانوا يحذرون الصلاة أمام مظاهر
قوتهم ويفاضلون بأن هذه الدولة دولة جمهورية جديدة أساسها العدل
لا الاستبداد . ويلاحظ توكيدهم أن الفصل الأخير في سورة الخلافة
بين الدول هو القوة لا الحق ، ذلك أنه إذا تعادلت قوتى الفريقين نظرياً
أدى الخلاف إلى ثوب الحرب بينهما ، أما إذا تفوقت دولة على أخرى
تفوقاً طاهراً فإنها تفرض سلطانها عليها ، ويضرب مثلاً لحالة الأخيرة
بحزيرة ملوس الصغيرة وهي التي أراد أن تحتل على الجهاد في الحرب
اليونانية ، لكن الله دلت على سيادة البحر بطشت ملوس ،
فخفف ذلك بما نهى لدى الآخرين من غطف حل قضية أثينا ، والواقع
أنه لم يمح مرور قرن من الزمان أثر هذه الحادثة من نفوس الآخرين
لفعلوا على خصمهم وتكراريتها لأثينا .

وهذا حدث قابل الاهمية في ذاته لكنه يحلنا نموذجاً بطريقة
توكيدهم ، فهو يختار الأحداث لا تبعاً لأهميتها الذاتية وإنما تبعاً
لقدرتها على تصوير كلنا كل العامة ، ويستفيض في شرحها بكل ما لوحي
من قدرة على التحريك السياسي المخرج ، وفي حرس المذكرة التي يورد
حادثة جزيرة ملوس لحياً توكيدهم للمرة الوحيدة في مؤلفه إن طريقة
الاستقصاء ، وهي الحوار بين خصمين يقرعان أحدهما بالحق ،
ولا سبل إلى الشك في أنه قد أثبت هذا النقاش طليفاً يستند على حقائق
زعماء هذه الجزيرة والسفراء الأتنيين صورة تليق بالجزيرة لصراع
الأبدى بين الحق والقوة ، فرى أهل الجزيرة الأتراك وقد أدركوا حيث
العدالة روح الانصاف عند التمييز يحاولون قديين لخصومهم الأقوياء
على أنه من الأوفق لأثينا مراعاة جانب الاعتدال في استخدام قوتها
الغائلة ، فقد يأتي اليوم الذي تضطر فيه إلى مناشدة العدالة واحترام القيم

الإنسانية : ولكن الأثينيين وقد أسسوا آفاقهم من هذا التحليل ،
يجيبون بأن الحفاظ على هيبة امبراطوريتهم يقتضي ادخال الجزيرة في
حضره هذه الامبراطورية لأن العالم سيمر في بقاء الجزيرة على حادها
دليلاً على ضعف الامبراطورية ، ويتخفى السفراء الأثينيون فيحذرون أهل
ملوس من عبث ارتداء مسوح البطوقه ، ذلك أنه ليس في ميدان السياسة
الاستعمارية الحديثة مجال لمراعاة قواعد الفروسية القديمة : ويتهمون أولئك
الداعمين إذاً ، حيث الأحقاد على الآلهة أو الاسبرطيين ، فالأخطه دائماً في
صيف الأقرباء ، والاسبرطيون أنفسهم لا يحشون ما يسميه الناس عبلاً
شيئاً إلا إذا كان ذلك في صالحهم .

إن سياسة الأمر الواقع التي اتبعها أثينا وهي في أوج قوتها قد اصطفاها
توكيديدس كل ما يطوى عليه المذهب الفلسفي من الحق والقوة ، عندما
جعل الأثينيين يبرزون حتى تقوى المضمون بقانون الطبيعة ، أو بصورة
أخرى بشريعة الغاب ، ويتزنون الآلهة من علياتها بوصف كونها حماة
العدالة لك دمارهم ، ارموز التي تصعد فيها قوة الاسماك ويطشه . وهكذا
حاول الأثينيون تغطية العارض الشديد بين سياستهم وقواعدهم الدينية
والأخلاقية ، وهي التي كانوا يعتبرونها ملاك الضمضاء ، وعلى هذا النحو
يرتد توكيديدس كيف بلغت سياسة القوة الأثينية طروة نحوها المستطفي .
وكيف تخلفها المدافعون عنها . وذلك الطريقة السفسطائية التي اختارها
مؤرخنا لعرض مشكلة الصراع بين الحق والقوة على تطور الوصول إلى
قرار حاسم فيها . ذلك أن قوة المناقشات السفسطائية ليست في الوصول
إلى حل لمشاكل وإنما في بسط وجهتي نظر الجانبيين بسطاً واضحاً
لغير المستطاع . والجانيه فيها كتبه توكيديدس عن حادث جزيرة ملوس
أن هذا هو أول عرض صريح للمذهب القتالي بأن الحق هو القوة :
وهو مذهب كان غريباً عن العقيدة الاثينية في المبرور السابقة واستثنى
لأول مرة في القرن الخامس قبل الميلاد ، عندما أصبح نوعاً من الحق

الطبيعي أو المتألمون الطبيعي الذي يعارض مع قواعد الأخلاق
المألفة .

ونرى مثلاً رثعاً للفكر نوكليديس النيامي الناضج وبراعته المبالغة
في التحليل والوصف فيها طرقت محاربة النعاس والناجح من حملة أنبا
خند صقلية : ولا غرو فإن ذلك يعتبر أعظم جزء في مؤلفه . وقد لاحظ
الباحثون جميعاً أنه بفضل ما نوافر له من الخبرة العسكرية استطاع أن
يز كل النزاعين القدماء في وصف العمليات الحربية وصفاً دقيقاً وأن
لمس كل نواحي الضعف تقريباً في نظم الانخراط العسكرية ، لكنه مع
الأسف العميق أغفل شرح هذه النظم مثل ما أغفل شرح النظم المائية
برغم ما هناك من حكمة وثيقة بين كل هذه النظم والحرب التي عرسها
هذه الدراسة المبينة السطيفة .

وليس من الاعراف في الرأي القول بأن لشباح حملة صقلية حمل
على القارئ من بين كتابات الكتاب الأول حين تحدث نوكليديس عن
أوجسث به جزيرة كورنكورا الألبانية قبل بداية الحرب من قولها
لها تسمى "مطولا" قرناً ولأن من علمت زعم منهم الجزيرة يسيطر على
طريق البحر إلى صقلية^١ . ويؤكد القارئ أن يرى الشباح حملة
صقلية مرة أخرى في الكتاب الثاني حين يتحدث نوكليديس عن الحروب
عن سياسة بريكس بعد موته والاعتماد على محاضرات جريك . اتضحاً
الأمواج الشخصية وجرياً وراء المذاهب المائية مما كان له تسوا الأثر في
سير الحرب^٢ . وإذا كانت الحملة التي أرسلها إليه تحت صقلية^٣
في عام ٣٢١ قبلو قبلة الأهمية . فأننا نرى نوكليديس يجعل الزعيم
البروقسي الكبير مورقورمان يشارك بعد ذلك بإقيل في مؤتمر جولا
(Gela) في عام ٤٧٤ تسوية الخلافات الناشئة بين عصف مدن

(١) I. 83 — 84

(2) II. 46

(3) IV. 54, 55, 56

مصلحة لتتعد جميعاً تحت زحامة مرقوسة (Syracuse) حتى تصبح مواجهة هجوم أثينا عليها في المستقبل ^١ . ولما نجح ملاحظته أن هرموقراطس استخدم في هذه المناسبة المصنع نفسه التي استخدمها في بعد أمام الجمعية العامة في كبرى ^٢ عندما أثبتت أثينا حمايتها الكبرى إلى صقلية . وبين أن توكليدس قد أضاف لشاراته التمهيدية عن حملة مرقسية حتى راجع . بعد انتهاء الحرب - مسودته عن الحقبة الأولى حتى تأسر أن هرموقراطس كان الباسي الصقلي الوحيد الذي انصف بعد النظر ورأى من أنه لم يجد أن الخطر كان لا مفر منه . وذلك لأنهم كانوا أن أثينا تستطيع حثاً إلى بسط سيادتها على صقلية ، وتقديره أنه لا يجوز توجيه أي لوم إليها إذا ما دمجها إلى التضرر يسددها ذلك تلك الحرية . ولقد هذا دلالة على أنه حتى خارج أثينا كان الناس يشكرون بأسلوب سياسة الأمر الواقع .

وبعد صلح نيقياس دعت إسبانيا أو إسبانيا (Regula, Sagasta) وكانت إحدى مدن حرب صقلية ، الأسيين تحت أثينا ضد جيرانها - بيزوس ، وكانت قد امتلأت بمرقوسة ^٣ . وقد استجاب الأسيون إلى هذه الدعوة لينضموا منها طرية لفتح صقلية ^٤ . وعندما رأى نيقياس ما استقر رأي مواظبه على القيام به ، انفضى بحضرتهم محلاً من سبب هذه المبادرة ^٥ . وعطش حرب الكيبادس وفقاً لشرح ما ينهوي عليه مشروعه الخطير من مزاي : باعتبار أن فتح صقلية تضمن وسيلة للحوز بالسيطرة على كل بلاد الأخرى ، وباعتبار أن بسط رقعة الامبراطورية الكيبية السيل الواسع للمحافظة عليها ، لأن كل توقف في الانسحاب يحل في طياته خطر الأسيار ^٦ . ولتعتبر هذه الحقبة التي

(1) 25, 22 - 24.

(2) 24, 15 - 21.

(3) 21, 8.

(4) 25, 8; 2, 2.

(5) 25, 8 - 14.

(6) 21, 11 - 13.

وقف فيها لكييادس غصياً في الجمعية الشعبية الأكثرية بعد تحذيرات
 نيكولاس من أدق الملاحظات وأكثرها ازدحاماً بالمعاني في قصة نوكديديس .
 وقد عهد إلى أن يذكرها بكل ما قيل قبل الحرب عن ضرورة بسط
 الحقائق التي دون توقف وصفاً نصف به تلك الأثني من الجماعة
 والمرأة والحيوية الدافقة . ولكييادس يعتبر صورة مجسدة لهذه
 الصفات ، وهذا يفسر قدرته على اقتناع الجماهير بوجه أنه كان مكروهاً
 لسوء سلوكه في حياته العامة . ويرى نوكديديس في لقاء مثايل الزعامة
 إلى شخص يجتمع فيه من الصفات مثل ما اجتمع في لكييادس وتوقف
 ترحل الحملة المطروحة على أحد الأسباب الرئيسية التي أدت إلى سقوط
 أليان . ومن الخطأ أن تصور أن نوكديديس اعتبر نيكية أليان في
 مثايل حتماً التزام الياء بها جزءاً أساسياً الاستعاري . فهو أهدى ما
 يكون عن الاعتقاد بأن لسانه دخلاً في تصرف شؤون الأرض ، لو أن
 القوة شيء سيء في حد ذاته ، ذلك أن قوة أليان هي التي أنقذت الآخرين
 من الضرب وساعدت على رجوعهم إلى وطنهم وضمهم إلى حضاري ونشر حضارتها
 في أرجاء العالم لاخترقي . بيد أن سوء استخدام هذه القوة هو الذي
 ألقى إلى الجحيم بالضعفاء وفي النهاية إلى نتيجة المظلمة المحزنة ألا
 وهي القضاء على هذه القوة ذاتها ، فضلاً عما كان لسوء هذه القوة من
 آثار مدمرة مهيئة بدأت تعود المراقبين على إصدار قرارات ماثلة في
 الشؤون العامة وانتهت بنفسي العلوي نظرياً في المعاملات الشخصية .
 وفي رأيه أن حملة هيكلية كانت سلسلة من الأخطاء السياسية ، فهو
 يوسعه فاسوداً سياسياً كان يعتقد أن الجماهير حين مالاً نحو المشروحات
 أحيالية الخدابة ، وإن واجب القادة هو توجيه هذه النزعة الاتجاه السليم .
 وفي هذا الموقف، ألك لكييادس لسوا النزعات في مواطنه فلم يستجيبوا

إلا صوت العقل . ولم تكن الحملة نفاع من قبلها حتى استثمر خصوم الكيبياس شعور الكهنين الذين عدوا تقربوا استدعاهم لمحاكمة¹ ، وقد علموا بأنه من ضروريا نجاة حياته فقرروا اعداء² ، ولم يزل أن آلت لتهافت العليا لخدمة إلى ليقباس³ : مع أنه كان أشد معارضتها وبعد الناس عن الإثبات⁴ بها ومن ثم أنهم صلاحية لقيادتها إلى النصر . وما يجدر ملاحظته أنه إذا كان عالم توكيدياس حاكماً يدير دفة ويقرر مصائر الرجال لا النساء أو الآلة : فإنه مع ذلك لا يغفل بيان أثر المصير المهيبة في مجرى الأحداث كالتأثير الفاضحة لمسطوية من لطفوس القبيبة العبرية ونشوبه عائيل الإله هرمس في أثينا حين إدار الحملة الكبرى إلى سقاية⁵ . وهو ما اتهم الكيبياس بارتكابه . والنتيجة المأساة لأخير تصحاب الأثينيين في صيف في عام 413 سبعة وعشرين يوماً بسبب خوف البحر⁶ .

ويعطينا توكيدياس صورة دقيقة بالحياة في أثينا في الأثينيين تأهب الحملة لتمر من الممرات المضربة ، فقد كانوا بين طرح مسير ورجل مشفق⁷ ، وما نشره بينهم جميعاً من الخزع واليأس نأى الكثرة التي مكنت بها الحملة وذهبت بكل ما كانت أثينا تحتر به : لمطولة واحتياطها الذي وهو الذي استدعته في إمداد الحملة⁸ ، وما علقه رجال الحملة من أمون نعله كان من أبشعها ما حقق لهم عند نهر أسباروس⁹ (Asparus) ورسمي حالياً فانكوزل أو نومي دي نومي) وقد ساءوا له ليظفوا لهاهم وإعازلو سيوره تخفياً لخصف العدو عليهم . وفي مشهد علم كخيل بغيتهم المصبرات صفولهم

(1) VI, 37 — 39; 81, 83.

(2) VI, 113.

(3) VI, 3 — 14, 13 — 53, 1; 36, 6; 47.

(4) VI, 37 — 38.

(5) VII, 32, 4.

(6) VI, 32 — 33.

(7) VIII, 1.

(8) VII, 64.

واختل نظامهم بما سهل على العدو أن ينفذ عليهم ويعمل السيف في
الألواح منهم : لا تملك دواشيم عباد المهر وعند سكرها أيضاً سلبك
الحرب ومع ذلك فإن الأحياء منهم كانوا يقاتلون على شرب هذا المزيج
الكريه .

وفي برا توكيديس فكرة أثينا في سفلية إلى سلسلة من الأخطاء
الحسام : فانه عز تلك عز عنها النهاية في الحرب إلى سلسلة من
الأخطاء الحربية التي لأخطاها أحاطها لاغاة بضرورة تعرف الأخطاء
بده وفوقها : لأن تلك ذلك ينطوي على انكار التجربة السياسية وافتار
فرض تجربة للإفادة من خبرات الماضي . وقد يصر عليه مهمته أنه لم
يحدث من حكمته الفاشلة وسدنا لأساً لحكمهم في استمداد هذا الأساس
أولاً من حكمته بريكليس وهو الذي حرص أثينا على خوفاً غير الحرب
وكان في استطاعته : وقتاً لا اعتقاد توكيديس : أن يفتوحها إلى
النصر .

ولا كان توكيديس لا يدخل في تقديره إلا الأسباب الطبيعية : أي
« دافع البشر والحيوانات » ، فانه يملك أدوية كثيرة على الآثار القوية على
خلق الأفراد وفكراتهم في توجيه شؤون مجتمعاتهم ، دون أن يفرش إلى
تسجيل ما تموجه الألسن من سيرهم . فلا عجب أن توكيديس يعتقد أن
نتيجة الحرب الميلوبونية توقفت من حكمته وحماء الحربين المتضادين
أكثر مما توقفت على مقدرة الجيوش والأساطيل . فلي انكذب الثاني
بعد أن يورد الخطبة التي ألقاها بريكليس : واستحث فيها مواطنيه على
مواصلة الكفاح وقد قدّمهم القتلى وقت الطاعون في عبيدهم ضعفت
معدريتهم ضعفاً شديداً لما حد أن اليأس غيم عليهم ، يقارن بين هذا
الزخم القتل وكل الذين ألقوه في نزعهم الكينيين ؟ : فيحدثنا بأنه طالع

(1) II. 45 - 46

(2) II. 45

تولى بريكس زعامة ألبانيا وحافظ على سلامتها في السلام وفي الحرب على
 سواء وجمع بها نحو الاعتدال : وأنه هو وحده الذي أحسن فهم لتهمة
 التي كانت ألبانيا تراجعتها في حربها مع البلويونيزيين ، فقد جعل سببا
 نتهدد تجنب تعريض البلاد لخطاطر لا داعي لها : وذلك بعدم
 الانسحاب على مضامرات خطيرة ، ونفساى توسيع رقعة
 الامبراطورية في أثناء الحرب ، مع النهاية في الوقت نفسه بالأسطول .
 وأما حقوقهم فأنهم ما ذروا على نقض ذلك : فقد دلتهم الأضمار الشخصية
 إلى تنفيذ مشروعات ضخمة تكسيهم للجد إذا نجحت وتضعف مقاومة
 البلاد إذا أخفقت . وهذه أداة صريحة لالتكيبادس الذي وجه إليه هذا
 اللاهام . وما الزيد الحذر نقياس في أثناء مناقشة مشروع حصة مرتبة ،
 وهذه المناقشة تبين أنه لو كان يكفي لإعزم ليملك زمام الجهاد أن
 يكون حبيب الرأي وعلى خلق كرم لتوافرت إذن لدى نقياس من ذلك
 الإزمنة ، تكن الواقع غير ذلك ، إذ أن التكيبادس التزم التحرج كأي
 أحد من غريب حال المرحلة ولو أنه قاد بلاده إلى المخاض ولم يفلح شيئا
 لا ينفذ من ورائه . ومع ذلك فإن ما انصف به توكيبادس حسن
 الانصاف أبى عليه إلا أن يستعمل اعترافه بانحطاطه الجليل في أذنه
 التكيبادس لزمه في عام ١٩١٦ عندما كبح جراح رجاء الجيش والسريرة
 المتجمعين في مابوس وأقتنهم بعدم الوصف على ألبانيا لقضاء على حكومة
 الأوليغاركية وهي التي كانت تولى حكم ألبانيا عند ذلك . وقد فصل
 التكيبادس ذلك حتى لا يستمر البلويونيزيون هذه الترسه ويستولوا على ألبانيا
 والردفيل^٢ .

وقد أبرز توكيبادس قوة تأثير بريكس في مواطنيه ، وكفائته على

(١) VI, 123

(٢) VII, 82; 86.

أن يفرضهم لا أن يدفعهم بقودهم . - نزاحت التي استند منها ضعافت في أن يقول للجماهير الحق الصريح لا ما يحبون أن يسموه ، وقدرته على أن يفيض دواعي زمامهم فإذا حاولوا أن يمحسوا كبهم وأخافهم ، وإذا نالهم شجاعتهم ألمش كالمم واستهض جسمهم . أما خطارته فإنه لم يفلح واحد منهم في الفوز على ما كان له من نفوذ ولم يوقاً دون أن يسلط الجماهير ويستزعمي زوائهم . ولذلك فإن توكيديديس يرى أنه لا يمكن أبداً أن شخصية تستطيع السيطرة على الجماهير ومخالبة الدستور الديمقراطي أخفقت هائلة : وذلك فضلاً عن أن بريكلس كان لا يملك أصلاً أن يقدم على مثل هذه المخاطرة لأنها كانت تناقض خططه الدفاعية . ولما تدبر توكيديديس أن قل متافسي بريكلس وخلفائه قد واجهوا مثله مهتة توجهه أننا في أثناء كفاحها من أجل كيانها ، ولكن بريكلس برسه هو الذي كان أصلاً للاضططلاع بهذه المهمة ، لأن بريكلس كان الزعيم ورجل الدولة المرموق الذي انصرفت بأسمى صفات الزعيم السياسي .

ولمواقع أن منظمة بريكلس تبصر في أجل صورة بالمقارنة بين حال كيانا في أثناء المراحل الأولى للحرب عندما أتاحت لها الأداة من زحافت : وبين حالها في أثناء المراحل الأخيرة للحرب عندما انضمت الألبانيون إلى شخصيته القوية وتوجهه الحكيم ورأيه السديد ، فتركبوا رؤوسهم ونزالت الشكايات عليهم . وإذا كنا نعتقد أن الصورة التي رسمها توكيديديس لبريكلس كانت عمرة هذه المقارنة ، فإنه يصعب علينا أن نقرر إذا كانت السياسة التي مزاجا توكيديديس إلى بريكلس قد رسمها بريكلس نفسه على هذا النحو . أم أن توكيديديس هو الذي جعل بريكلس يصح الألبانيون بتجنب التوسع لأنه كان يعرف سياسة بريكلس في هذا الصدد وشهد النتائج الصعبة التي نجمت عن مخالفه هذه السياسة في عهد خلفائه . وعلى كل حال فإنه يبدو جلياً أنه لم يكن في وسع توكيديديس أن يصعب سياسة بريكلس السياسية ويبرهن أنه لم يرتكب الأخطاء التي ارتكبها خلفاؤه . لم

يمكن في وضع توكيديس عمل ذلك إلا بعد الحرب وإن كان قد جعل بريكس^١ يحذر الأتينيين قبل بدايتها من التوسع والعرض لأخطار لا ضرورة لها ويقول لهم : « اني أتعلم أنكم أكثر ما تشتمل على خط أهدك الحرية . » ولا شك في أن توكيديس عندما عزى نجاح سياسة بريكس الخارجية إلى قوة مركزه في أثينا كان متأثراً بما قرب على طرح مركز توكيديس الداخلي من نتائج في الخطبة الأخيرة التي رسمها الأتينيون على صقلية .

ولا جدال في أن توكيديس هو مؤلف الخطبة ، بريكس في أثين صباحا العام الأول للحرب^٢ . وقد كان التقليد المتبع في أثين الأتينيون الذين يتقون حشهم في ميدان القتال أن يشبه الخطيب بشجعانهم لكن توكيديس أظهر هذه الفرصة ليسجل للأجيال القادمة صورة الدولة الأتينية تبرز خصائص زعامة الحضارة الأتينية . ولم يسمح بانقاء هذه الخطبة إلا إلى بريكس : رجل الدولة الأرواح في نظره ، وهو الذي توافر له من الصفات ما جعله خطيباً بالتحديد عن روح أثينا . ويضع لكن على أنه لا يستطيع أي ترجمة أن تتطابق صورة توكيديس - في معالجة هذا الموضوع على هذا اليسر ، وإذا كان أحد الباحثين المحدثين^٣ رأى في هذه الخطبة « أنشودة من تمجيد العبادة الذاتية للهيبة مستورة وراء قناع دقيق من التواضع والاعتدال » ، كان باسفاً كبيراً يرى أن هذه الخطبة « لا تصف دعماً أثينا بل تضيف إليها أثراً جديداً فهي تبرز وسط مأساة الحرب على هيئة عمل فريد من لثمة وكأنه بارثون آخر

[1] L. 164, 1.

[2] II, 35 — 46.

٣ لويس غوردون ، الأتينية في عهد الإسكندر ، ترجمة ونقطة د. لعم فوسلي ، ص ٢٢٢ (أثينا ١٩٨١) .

[4] Shatzwell, op. cit., p. 167.

شيء لا يحتوي تمثل الإلفة المرافقة حامية المدينة وإنما ليكون مركزاً
بحله روح مواضعها .^١

وقد نحاشي توكيديس أن توافقه الخطابة الرسمية وركز همه على
ما ابتاع به وطنه في ذلك العصر من الحرية الدائمة ولسده نواحي النشاط
العلمي والأدبي والتي وجعل من كل ذلك وحدة جلية واحدة . ذلك
أن توكيديس صور الأكينيين في صورة شعب سموده وحدة الهدف مع
فتح كل مواطن بحريته في جو من النظام الذي لا يضطرب وإن كان
يلو دواً أنه على وشك ذلك . ويعطي توكيديس فيصف أثينا بأنها
مركز الشعاع الحضارة في العلم الاغريقي ، فنقول في مباح هذه الخطبة
الخاتمة : « وجعله يقول إني اعتبر أثينا مدرسة بلاد الاغريق . »^٢
وهذه العبارة التي يجمع لباحثنا على أن توكيديس سمها بعد حرية
أثينا في الحرب لتطوى على ما أدركه بعقله الفاضح وفكره الدقيق من أنه
برغم هذه الحرية المسلحة فإن أثينا منتحل محضطة برحمة الاغريق الحضارة
ومستجد في نشر نفوذها الحضاري وتخليد أثرها لروحي حواء لها من
هزيمتها الحربية وضياح سيادتها السياسية .

ويعتبر توكيديس للصور الأثينية إشكراً أصيلاً لم يحط حدود أي
صور آخر بل هو آخرى بأن تصح للدول الأخرى على مثاله .^٣
ويرى أن الديمقراطية الأثينية على عهد بريكس لم تكن تحقيقاً آلياً
للمساواة ، وهي التي يعتبرها البعض أسس مراتب العدالة وينعتها البعض
الآخر بأنها أدنى مراتب الظلم . ويعتبر من فكرة توكيديس غير صحيح
ما وصفت به نظام أثينا السياسي من أنه لم يكن ديمقراطية إلا في الاسم :
لما في الواقع كان بريكس هذا التاريخ المواطن الأول في أثينا وساميتها

(1) II, 1.

(2) II, 37, 1.

الحقيقي^١ : وهو الأمر الذي جعله يفلون في لحظة الحليب بأنه من حيث الشؤون الخاصة كل المواطنين سواسية أمام القانون ، أما من حيث الشؤون العامة فإن الصداقة من حق أصحاب الودع ، المتنازعة دون نظر إلى أي اعتبار آخر^٢ . وهذه الفكرة لقرن من ناحية حتى كل مواطن في ممارسة حقوقه السياسية ، ومن ناحية أخرى عبء جمهورية الشعب من حكم امراضورية شيرة وحتى الفرد المعدل في عوالم الحكم . ويمكن يكون توكيديس قد وضع لنا بعض النظريات السياسية التي نادى بها فيما بعد الأملون وأرسطو .

ولا جبال في أن اعجاب توكيديس بريكليس إلى حد بلغ به أن مونة النكال يم عن جنوح توكيديس مرة أخرى عن الحقيقة التي يتسم بها بريد عام . ولكن أهل له علماً ، فالفارق حد شامع بين حكمته بريكليس المصممة بشجاعة الشجر ، وبين ديماجوجية كليون المنهورة أو زاهة نيقياس لقرونة بخنق العزعة أو جرأة الكبيباس المنوبة بالمقصصة الشخصية .

...

ويتضح مما سبق أن توكيديس أول موزج طبقي ثاليب ليست العلي تعيقاً دقيقاً على دامة الأحداث عصره . ولذلك فإن الباحثين يفتون على أنه إذا كان فروتوتوس يعتبر أبا التاريخ فإن توكيديس يجب اعتباره أبا النقد التاريخي ، كما يفتون على أنه قد أعاد بجاحاً باهراً في عمله . ذلك أنه لا يختلف الآن في الاشارة بألوه السائر ، وقدرته على الوصف ، ودقة البالغة في التحري صحة الوقائع وتواريخها ، وسلامته بوجه عام إلى مستوى رفيع من الحقيقة والاتصال . ولا يقلل من شأنه

(١) II, 45, 9.

(2) II, 83, 1.

ما سبقت الإشارة إليه من انحرافه مرات متعددة عن هذا المستوى ،
أو سوء بناء حل طاقته في التأريخ فهو ، رغم ما يشوبها من نقص
وقصور صالحة لتقبل كبير على المحدثين في إعادة تأريخ كل حوادث
تاريخ الاغريق القديم .

وإذا كنا لا نقر طريفته في تفسير الحوادث بما اصطغته من خطاب أو
مناوذة أبراما على ألسنة قوم كثيرين ، ولا نشاركه اعتقاده أن التاريخ
يعد نفسه ، ولا نتفق معه في الحكم على بعض المشاكل السياسية ، فإن
نعتقد أن كل ذلك لا ينقص من أهمية تاريخه الخالد وقيمته العظيمة ،
ولا يحط من قدر حكيمته السياسية وفكره العميق ونظيره الناقية .

ولا يجوز لنا أن ننسى أن هذا الفيلسوف السياسي الذي خلق التاريخ
السياسي ، ينظر إلى الواقع باعتباره أمياً وسبقة لغاية وهي لقاء شعاع
من الضوء عليها وتفسيرها تفسيراً يستند إلى التطقن السليم : فقد كان
غرضه الأجل البحث عن الأسباب الحقيقية لحوادث . ومن الانصاف
أن نقرر أن ظواهر الأمور لم تحده مرة من بواقيها . ولا كان لتاريخ
في نظره تاريخ جماعات سياسية ، فإنه كان يؤمن بأنه لا يمكن فهمه
فهما صحيحاً إلا على ضوء العوامل السياسية والاقتصادية والفنية . وأما
تداخل الآلة والنساء في تخفيف مجرى الحوادث فقد استبعد وإن لم
يسجد بشعر المذاهب الدينية في ذلك ، وفي المرة نفسها أبرز أهمية الأخلاق
والرحمة وقيماتهم في هذا الشأن . وقد برح توكيديديس إلى حد يفوق
الوصف في تصوير مواقف الجماهير وعمايتها تصويراً يكشف عن قسوة
من الإزهار بمثل ما تنكشف عنه مسرحيات شكسبير .

ونحن لا ننسى فيما كتبه توكيديديس مواهبه العقلية المتنازة فحسب :
بل نلمس أيضاً إنسانيته الرفيعة وأحاسيسه السامية ، فهو يحث الحرب
ويحب السلم ، وننقز نفسه عما كان يصاحب الصراع الحزبي من فظائع

والتي لم يبق العنوية ، ويكره سياسة وطنه الاستعمارية ، ويفزع من انقراض
 التي تزلها مواطنوه الأثرياء بأهل جزيرة ملوس الضعفاء ، ومع ذلك
 فإنه يحب وطنه إلى درجة العبادة على نحو ما يتجلى بأروع صورة في
 عملية المأوى ، وما يجب تركه أن هذه الأرض السبعة التي لم يمتد
 من أنشطه وطنه لم نأ به كذلك عن الصفات أهداه هذا الوطن
 الحبيب .

وإذا كان توكيديدس قد أهمل بعض جوانب تاريخ الحبيبة التي
 كتب عنها ، وذلك من شرح النظم المالية والعسكرية وتصوير الحياة
 الاجتماعية والعقيدة السياسية في كل تلك الدول التي اشتملت في ذلك
 الصراع الزبر ، مما يترك في النفس أمية ولوعة لما حرمتنا الحصول عليه
 من مزيج دقيق أمين له من منه النظرة الثانية وكل هذه القدرة على
 تحري الحقيقة والوصف والتحليل والعرض ، فإنه انعكس في كتابه
 صورة جلية واضحة العالم ليشتد وما يتلجج في صدورنا من مواطن
 وما يحول في غرائظها من أفكار وما يسيطر عليها من أخلاق وعادات ،
 وهو في هذه الاتجاه أيضاً يشابه هرودوتس إذ عندما يرغم كل ما
 بينهما من اختلاف يبرزه بشكل ملحوظ تمثال نصفي مزيج في تصف
 تلي بصور توكيديدس وهرودوتس وقد أولى كل منهما ظهوره إلى
 الآخر .

وأخيراً ، لا جدال في أنه بفضل كل ما ناله توكيديدس من
 صفات قد بلغ مستوى لم يرق إليه مؤرخ آخر في العالم القديم .
 إبراهيم نصحي

(1) Mase, C.A.H., V, p. 114.

(2) Jacob, *Thucydides' History*, p. 2037; *Thucydides' History of Greece*, 1940, p. 202;
 Stoddard, op. cit., p. 202; *Thucydides*, op. cit., p. 202; Cary and Harrison,
 op. cit. pp. 202 — 3; *Thucydides' History of Greece*, 1907, pp. 202 — 3.

مُذِن الواجبات في الفقه الكبري

ممن كتبه لعل من أسند هذا الشأن المصنف في المصنفات

ليدكتور محمد بن محمد

أستاذ الفقه في كلية الشريعة

الجامعة الإسلامية

١ - المقدمة

لا شك أن الصحراء تكون هطلاً جغرافياً متخفاً في حياه الحضارية ،
ومع ذلك لا الصحراء ليست بحالة تهاداً من هذه الحياة ، فقد قامت فيها
في كل عصر وزمن نويا وخليات للحياة الحضارية ، وذلك ذلك حقيقة
بسكره في الصحراء الجزائرية الشمالية التي كانت قاعدة عسكرية في خطوط
النظام الأمامية الإسلامية ، ولما كانت الحياة في الصحراء تخضع لحضرة
شبه تام للظروف الجفاف نجم عن ذلك أن الحياة فيها تكاد تقتصر على
الفاصل التي يتوافر فيها الماء ، وعلى الرغم من أن بعض التجمعات البشرية
قامت خارج الواحات المقلية ، إلا أنه لا بد من أن يبرز بأن الحياة
الحضارية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالواحات التي احتضنت كميات المدن

والواحد الرئيسية . فإذا ذكرت الواحد التصرف الممثل إلى المراكم المروية والحياة المستقرة والشرى بل والمدن . ففي هذه الحروب الصحراوية ذات الكثافات البشرية الكبيرة تصادف أعظم المدن ذات الطابع القديم الأصل والمرتبطة بالأساليب المعيشة المنطقت من طبيعة الصحراء وجفافها . ولا ينبغي ذلك إطلاقاً أن مدن الواحد تشكل النمط الوحيد لتجميعات الحضارة في الصحراء . فهناك ضروب ومواقع أخرى الاستمرار الحضري تتمثل في المراكز التجارية التي تقوم عند تقاطع الطرق والممرات الصحراوية ، كما تتمثل في مدن الاتصال بين الصحراء ومناطق الحضارة القديمة (الأندلس) في الشمال من جهة ، وبينها وبين مناطق الحضارة الحديثة (المشرق) في الجنوب من جهة أخرى . وقد نعت هذه المدن عراة الصحراء لقوامها على الطوائف بين منطقتين متباينتين من حيث الموارد الطبيعية والإمكانيات الاقتصادية . ومن المثل ما صنعت الدواجن الحديثة إلى إنشائها وزدهارها كسلطنة إقليم مزاب . وأخيراً وليس آخراً المدن الدينية . وهي تجمعات طريدة في نوعها تجتذب عن أشجار الموارد المعدنية كما يوحى بذلك اسمها . وقد عرفت هذه الفئة الأخيرة من المدن في العصر الحديث تقدماً متقطع التطور . وذلك بفضل استغلال خدمات الحديد (موريتانيا) والنفط (الجزائر) واليورانيات (تونس والجمهورية العربية المتحدة) . على أن الجزول (ليبيا والجزائر) كان أقوى للعائد أثر في خلق مدن جديدة ظهرت تقريباً على دفعة واحدة ، هي تجمعات منزلة في انحصاء الصحراويين التاسع . مكتوبة مسورة منتشرة خفية عن الوسط الذي تقوم فيه مبانيها الضخمة والمناخية من مسابح وحدود ومجهزة بآلات تكييف الهواء . بها حيوانات ومخازن وقنادل سياحية ، كما أن بها ملاعب وحضائق وأحواضاً تسبح وكل ذلك لم يكن ليوجد دون تكاثف باعثة . مدن يقطعها الرجال - والنساء من الرجال على وجه الخصوص - دون النساء . وتكون عموماً صورة

حضرية ليست من صميم الحياة الصحراوية وإنما هي من مستحدثات العصر .

إن المقام لا يمتنع لأن ندرس جميع أشكال العمران في الصحراء .
وحسب أن نحصي الكلام في مدن الواحات حيث قامت حياة حضرية
قديمة جداً قدم الواسطة نفسها . على أنه هذه المدن لم تترك في الآونة
الأخيرة لمزاج حضريه اختلقت قوتها من مدينة إلى أخرى . وهذه
الغزات هي نتاج عاملين رئيسيين : أرضها الاستعرا ، وثانيهما اكتشاف
الزواك المسنية ومن الخمس زيت البترول . وقد من هذان العاملين
مدن الواحات بدرجات متفاوتة وحسب مختلفه عما كان له أكبر الأثر في
الشكل الذي اتخذته تطور هذه المدن . ولا بد لنا ونحن نقول رسم صورة
واضحة ووضوحاً كافياً لمدن الواحات أن نتجنب الالتراط في ذكر صغيرها
لئلا المفسر كفي نركز الحديث بفتح خاص على المدن الواحية الكبيرة التي
تأوتا الصحراء والغدير في الآونة الأخيرة .

٢ - التوزيع الجغرافي

يكاد يتفق المشتغلون بالدراسات الصحراوية على التمييز بين ثلاث
مناطق للصحراء : الصحاري الحقة المتديدة الحفاف : والصحاري الخاضعة
وأخيراً الصحاري شبه الحافة . والمقام لا يمتنع بالتحدث عن هذا التقسيم
والأخص التي ينبغي عليها : ولا بد لنا أن يطلب المزيد إلى أن يرجع إلى
المراجع المعتمدة بهذا الموضوع . والصحراء الحقة هي ما يعني في هذا
البحث . أما لما يتعلق بحدودها في الصحراء الكبرى الأفريقية فقد سبقنا
الاستاذ كايوري بنطين : أحدهما في الشمال وهو الخط الذي يمتد

وحدود الخين الشابة : على شريطة أن يصل تمرد إلى التصريح الذي يسمح تسوية بسهولة . والخط الثاني في الجنوب ويسكن الحدود بين نوعين من النباتات الطبيعية ، أولها نباتات محلية سرودة باسم السد ، وهي حشائش تزرعها الإبل في القسم الجنوبي من الصحراء ، وثانيها نباتات كرم - كرم وتنتشر إلى جنوبها وترعاها الأبقار .

وفي داخل هذه الحدود بين من التوزيع الجغرافي لمدين الواحات أن أكبرها حجماً يقع في واحات القسم الثاني الغربي من الصحراء الذي يمتد سبيلاً إلى الأقطار الممتدة : تونس والجزائر والجزيرة العربية . وقد لا الإقليم غني بالواحات الكبيرة الآهلة بالسكان مما دعا بعض الكتاب إلى أن ينعته بـ «صحراء الواحات» . ويؤكد توزيع المدن التي يزيد عدد سكانها عن ١٠.٠٠٠ نسمة هذه الظاهرة . فكما يشع من الخريطة المرفقة تتركز جميع هذه المدن : وعددها سبع مدن ، في الشمال الغربي . وجسدياً - باستثناء توزر الواقعة في الجنوب التونسي - توجد في الصحراء الجزائرية . وفيما يلي جدول لهذه المدن تورد مع العدد التقريبي لسكانها .

مدن الواحات التي يزيد عدد سكانها على ١٠.٠٠٠ نسمة

بكرة	٥٩.٠٠٠	الواد	١٦.٠٠٠
الأهواض	٢٥.٠٠٠	توغرت	١٦.٠٠٠
غرداية	٢٠.٠٠٠	توزر	١٣.٠٠٠
ورقلة	١٩.٠٠٠		

فيما أمثلة إلى مياه القارة التي يتجاوز عدد سكانها ١٠.٠٠٠ نسمة لوجدياً أولاً مدينة آفان (٦.٠٠٠) هضبة بلاد آفان ، وهي

المدينة الكبيرة الوحيدة في القسم الغربي من الصحراء ، والواحات هنا قليلة الخير يدل مظهرها على الفقر والافتقار . ثم إرفود (٥٠٠٠) عاصمة إقليم تافيلالت في جنوب المغرب . وتعتبر مجموعات التخييل هنا من أكبر المجموعات العالية وأحداه . أما الصحراء الجنوبية للقبلة في مدنها ، والمدينة الكبيرة الرحالة هي آبيجز (١٠٠٠) عاصمة الطوارق الجنوبيين ، وهي مدينة أخذت فيها معلم الحياة الحضارية في الصحراء ، وبها الجمال تجارة القوافل بين السودان والصحراء .

فإذا ما انتقلنا إلى النصف الشرقي من الصحراء الكبرى وهو الجزء الذي تحله الصحراء الليبية فأهم شيء يلتفت النظر هو أن الجماعات الشربية هنا قليلة العدد . وأكبر الواحات يوجد في فزان ، وهي منطقة غنية بالمياه ، تقع على أنصر الطريق المؤدية من البحر المتوسط إلى السودان عبر الصحراء . هنا وقد عرفت فزان بفضل موقعها التجاري المتنازل غرباً من المرحاء منسهي ، وتكثر ابلات بحر في الوقت الحاضر بأزمة حارقة ، حيث أن بعض الواحات يبدو وقد لربك في أريهم الخراب . ويوجد هنا القصور إلى انتطاج تجارة القوافل والحفائيا . وهكذا هاجر السكان من فزان ، وإزدادت أبراج الصحراء قوة بانفسار مراكز انتاج البذرة في الشمال بجانب من المراكم سكان لمعلمين ، ومدينة مرزقي التي كانت عاصمة سياسية لفزان خلال خمسة قرون متصلة شهدت حالياً معظم وظائفها المدنية ، ولم تعد لها الأهمية التي كانت تتمتع بها ، حتى أصبح يرتد في لعبها الآن بالديت .

أما الواحات الخمس المتناثرة في الصحراء الغربية المصرية ، وهي سوسة ، البحيرة ، المرارة ، المناخلة والمارجة ، سكانها قليلون . وينظم كل منها جسداً من القرى بأرواح عدد سكانها بين بضع مئات من الأنصر

ربضه آلاف منها - ولكن دلت آثارها المرحونية أو اليونانية أو الرومانية على تاريخ عظيم قديم : فأكبر المدن أن مرد ذلك مواقعها الاستراتيجية كموقع أريكار العامة وطاهر عند الحدود : أو كسراكة نموذج الحيوان إلى غربها - ولا يخفى ذلك بالضرورة أنها كانت أكبر عبراً بكثرة ما هي عليه الآن . هذا وتخرج عصر الليل - أكبر الواحات صراً - من نطاق هذا البحث نظراً لحجسها المائل وتوابعها الشاسعة ، مما يجلب على تأملها .

٣ - القرية والمدينة في الواحات

للمدينة طابع خاص يجعلها تختلف عن القرية من أوجه كثيرة - ويختلف العلماء أساساً لتفسير يتبعاً عدداً من المقاييس المختلفة . فمنهم من يتخذ عدد السكان وحده أساساً لهذا التفرق . ومنهم من يتخذ الميلاس التاريخي أو الإداري أو المظهر الخارجي قاعدة للتمييز . ولعل التفرق بين القرية والمدينة من أسس شروط النشاط الاقتصادي ، التي يمارسها السكان ، سيادة بعض الحرف دون البعض الآخر هو أصل قواعده التمييز . فاللاحظ أنه فيما يعمل السواد الأعظم من سكان المدينة في الصناعة أو التجارة أو الإدارة ، أو في كلها جميعاً بنسب متفاوتة ، يهمل سكان القرية على الزراعة وتربية الماشية . ومن ثم فاختلاف أسلوب الحياة بين المدينة والقرية يستمد جوهره في الصف الأول من نوع الحرف الممارسة . وإذا كان الدارس - استناداً على هذه الاعتبارات والأسس - يبين بوضوح الحدود بين المدينة والقرية في معظم جهات العلم فإن الأمر قد يختلف عليه في بيئة الواحات بسبب تماثل مظاهر الحياة الحضرية والقرية

تدخلاً كبيراً في كثير من التجمعات السكانية بما لا نظير له في بيئات أخرى .

والقرية التي يطلق عليها اسم « القصير » في الواحات تتكون من مساكن متلاصقة مبنية من الطين ، وليست للأدوار طحات خارجية باستثناء المدخل . وتفصل مجموعاتها طرقاً ضيقة تراها طوراً مستقيمة تتقاطع في زوايا قائمة ، وطوراً أخرى ملتوية ولا سيما إذا قامت القرية على فتوة من الأرض أو على منحى تل . والطرفان في العادة مغطاة في بعض القرى أشجار النخيل ، وخرابها الحارقة . ولا عجب في أن لبعض هذه القرى طابعاً حضرياً يجعل مظهره في السوق والحوانيت والمسجد ومختلف الصناعات التقليدية بها . وفي ذلك يقول الأستاذ جوتيي : « إن القصير مهما صغر حجمه فهو ليس بقرية وإنما مدينة من الطين الحافل » .

والنقطة التي تلاحظها في مظاهر المدن ذات الواحات بدورها بعض ملامح القرى . وكيف يكون الأمر غير ذلك : وقد نشأت بين النخيل أو على مقربة منه ، وما دام الملاحون يكونون القبة الكبرى من سكانها . وليس قديماً أن يجد الإنسان درابي الميراثات يخرج أسوار المدينة فحسب بل يجدها منتشرة أيضاً في أرجائها . وما يقسم به التخطيط الصحراوي للمدن انعدام الساحات الكبيرة في داخلها إلا فيما ندر ، مما يضفي عليها بعض الصفات القروية . ومع ذلك قلنا من الحضرية تتأثر خصوصاً بجودة بنائها وزخرفة واجهاتها وتعدد طوائفها فضلاً عن أن مساحاتها أوفر عدداً وأعظم حجماً ، بينما ما ذهبنا أكبر علواً . وفيما وراء هذه المظاهر الخارجية فمن المسلم به أن ما يميز سطح المدينة عن القرية هو وضعها .

والوظيفة الأولى لهذه الواحات هي بالضرورة الوظيفة الزراعية التجارية ما دامت المدينة هو مركز المجتمع القلاحي كما تنشأ الواحة .

ففي المدينة يقوم السوق لشراء المنتجات الزراعية والحيوانية . على أن وجه الاختلاف بين سوق القرية وسوق المدينة هو أن للأول مواجيد معينة دورية في العساعة مرة كل اسبوع . وفي ذلك اليوم صفا القرية تظهر المدينة الصغيرة . ولكنها لا تملك أن تعود إلى نشاطها الزراعي وكيانها القروي بمجرد أن ينتهي السوق . فإذا ما انقضى التجار وأصحاب الحسادق حول السوق ببقية أيام الاسبوع أحمد ذلك المظهر الحضري لسكان الذي يجلب نمره أصحاب الحرف الأخرى ويختلف ضرب المهنات .

ولا يقتصر الأمر في مدن الواحات على تبادل السلع المتبعة محلياً . فمن أسباب ازدهار حياة هذه المدن تجارة القوافل التي كانت يمر بها أو تجد فيها موقفاً لتسويقها ولا سيما السلع السودانية التي كانت تصبح في الواحات أولاً ثم توزع من جديد في مختلف الاتجاهات . هذا وقد أصبحت المدن الواحية بكنة قوية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على أثر تحريم تجارة الرقيق التي كانت تعد مورداً أساسياً لها .

ومن أهم المظاهر الحضرية الصناعات النسيجية التي يتوارثها سكان لا يستهلك منه من سكان المدينة والتي لا تقتصر منتوجاتها على خدمة المستفيدين من سكان الواحات بل تمتد إلى خدمة البدو الرحل أيضاً . على أن بعض الصناعات أصبحها الكساد ولتخذت أهميتها تخير زويداً وزويداً أمام مناصبه بعض الصناعات الحديثة التي انتشرت الناس . ومع ذلك فقد احتفظ بعضاً بشيء من نشاطه القديم ، وخاصة الصناعات الخشبية والحدادية وصناعة الخبز والبسط . ومهما كان الأمر فإن تجمع هذه الوظائف المختلفة يؤدي إلى نوع من التخصص في الأحياء لا نجد به نظيراً في القرى . فهناك أولاً النواة المركزية المحيطة بالمسرة والتي تألف من شوارع تحفها من الجانبين أحواض وكهجر . وكثيراً ما

تخصص بعض الشوارع في أنواع السلع التي يبيعها ، وتتصل بهذا المركز متداخلة فيه أو متصلة عنه مصانعات تشيلية ، وأخيراً تمتد على الأطراف الأحياء السكنية حيث يعيش المزارعون غير بيده من حقوقهم . وفي هذا ما يدل على مدى الترابط بين كل من الوظائف الحضرية والفروية . وهذا الارتباط الكبير بينهما يستمد كميته من المجتمع الواحد ذاته . وما المدينة هنا إلا صورة لمجتمع ، ولكن هذه الصورة لم تكن راسلة في كل وقت ولدى كل نهر ما سئرى فيها بعد .

٤ - الأسس الاقتصادية لمدينة الواحات

تحليل الفترة الاستعمارية

الصحراء الكبرى موزعة الآن بين ثلاثة من الدول المستقلة : غير أن هذه الصورة السياسية حديثة العهد ، فقد كانت الصحراء إلى وقت قريب مبالاً للاستعمار الأوروبي ولا سيما للاستعمار الفرنسي الذي كان يسيطر نفوذه على أراض ضيقة شاسعة في النصف الغربي من هذه الصحراء ، حيث تقع في أطرافه الشمالية أغني واحات الصحراء بلاء والزروع والتجمعات الحضرية الكبيرة .

ومن أهم ما خلفه عن فترة الاستعمارية من آثار تعزيز الوظائف الحضرية لمجموعة من المدن : عندها ظهرت فيها الكنائس والقنوات العسكرية أو الإدارية أو كلاًهما معاً . فأنفراد الحماية المربطة يشقون قسماً من مرتباتهم في المدينة : في متاجرها ومطاعمها وأماكن الترفيه والحلب بها ، والتي تقوم بتنظيم بيروهم . وتعد مدينة آتار في موريطانيا مثلاً جيداً لمدينة المنبسطت من بعد مبات حقيق : وأخذ

يطلب فيها نشاط ، على أثر إنشاء مركز عسكري بها ابتداء من عام ١٩٠٩ . وقرون ذلك بظهور مركز اقتصادي حديث لما كان له أثره في انعاش المدينة وإشاعته الحياة من جديد فيها . وبنية المدينة شقبت كعاصمة ، واحة ودينة لأقليم أترار أصبحت إطاراً للمركز التجاري الرئيسي . فهي السوق التي تؤمها القبائل البدوية الكبرى ، يشنون فيها بيع إبلهم وأغنامهم وشراهم مسكوكات وفضة وذهب ، ينزلون ويطأون . وفي عام الحين أصبحت كطريق حلقة الوصل بين السودان من ناحية والمغرب من ناحية أخرى ، وزادت أهميتها الاقتصادية والتجارية . وكان من الطبيعي أن تتبع رقعة المدينة إنشاء الشركات العسكرية والقوات التجارية : تم إنشاء الجيش المديرة التي بدأت من نحو أنشأت كميناً من البو الرحل إلى حياة الاستقرار . كذلك ساهمت الوظيفة الحربية بتصويب كثير في نمو مدينتي الأغواط وورقلة حيث بنيت هذا القوس بين فضة .

وفي العادة يسع المجال الحضري كثيراً عندما تقوم مدن إدارية حقة إلى جوار القصر القديم ، إذ تجذب هذه الوظيفة إلى المدن وظائف أخرى من أهمها الوظيفة التجارية . وتتل مدينة الوادي من سير الأنظمة التي تشجع الذكر . وأصلاً لم تكن الوادي مدينة بل كانت عبارة عن قرية ، لا تختلف في شيء كبير عن بقية قرى واحات الصوف ، لم تكن آنذاك أقل محصراً من بعضها . ولكن منذ أن وقع عليها الاختيار لتكون العاصمة الإدارية لهذه الواحات أخذت أهميتها في الازدياد حتى أصبحت أكبر المراكز شتاءً ، فيها يقيم كبار التجار وعلى الأنحصى تجار الجملة ، وفيها توجد المكاتب الرئيسية لشركات النقل . ولقد أخذت ههنا الوظائف الإدارية والتجارية من الوادي ملاحظة مضمرة سرياً . وانتشرت أحياءها الجديدة صوب الجنوب الغربي حيث تتخلط التلال والمناحي العامة .

ومدينة توغرت في مجموعة واحات وادي الربيع تعد خير تعبير عن مدينة واحدة نهزت وضيقتها التجارية تعزيراً قوياً بفضل تجهيزات الري لمحوض الازروازي التي يعد من أكبر الأحواض الصحراوية وأكثرها صلاحية للاستغلال . هذا وقد استحدثت مساحات جرداء واسعة إلى عقول وبساتين على أثر تجميع المياه من جوف الأرض . وبفضل الأجر المدقة بنقل كمثلي ربي حوالي ١٠,٠٠٠ هكتار يشغلها نحو مليون ونصف مليون نخلة . وادي الربيع هو أكبر إقليم في الصحراء انبجاً للحمور (٤٠,٠٠٠ طن سنوياً) ، والمنتج الرئيسي لتروم الشتر المعروف باسم دجلة نور (١٥,٠٠٠ طن) . وتوسط مدينة توغرت المنطقة الجنوبية ، وهي العاصمة المحلية لهذا المحوض . وتكثر المدينة بنواحي نشاط متعددة ، فهي سوق يومية ، ومصنع كبير للحمور ، ومركز إداري ، علاوة على أنها نهاية خط السكة الحديدية الذي يربطها بعنابة وسكيكدة عن طريق قسنطينة . وقد روت توغرت مؤخرًا بمطار .

والشائع في مثل الواحات أن تأتي الوظيفة التجارية في مقابلة الوظائف . ومن السرايل المارة في قرية هذه الوظيفة تقدم طرق المواصلات الحديثة من سلك حديدية وطرق معبدة إلى مساوير أو دروب تربط الواحات بالأراضي الآهلة بالسكان والتي تمتد وراء المطلق الصحراوي ، وكذلك بالوازي الساحلية التي تقع على مياه البحر المتوسط . وينطبق ذلك على مدينة توغرت ، كما ينطبق على مدينة لوزر عاصمة بلاد المريس في الجنوب التونسي وأكبر منتج ومصدر للحمور التونسية . ومن أقوى أسباب نفوق لوزر كمسوق تجارية موقعها في نهاية خط السكة الحديدية التي يربطها ببنغازي . أما بلدة نسطك الموجودة في نفس المنطقة فلم تمتد إليها هذه المواصلات ، وذلك فلك قرية ضحلة (١٢,٠٠٠) على الرغم من أنها تضم عددًا من السكان أكبر مما تضمه لوزر .

وتجلى هذه الوظيفة الحجرية في ثلوثي صورها في مدن مزاب ويوجد
خاص في مدينة غرداية العاصمة . وقد اكتسب المزابيون شهرة واسعة
من خلال عاداتهم وأسلوب معاشهم ، وهم يتركزون أنهم منفصلون
مسيرون عن مواسم ، وفي ذلك ما يبرهن الحديث عنهم بشيء من
التفصيل .

يقدر عدد سكان واحات مزاب الخمسين ألف نسمة . وهذا العدد
كبير بالنسبة إلى إمكانيات البيئة الطبيعية وموارد الأقليم . وتسبب
هذا الفهم بصعوبة من آبار يبلغ فيها من الماء ٣٠ وأحياناً ٤٠ أو ٥٠
متراً ، وأن عملية رفع المياه بواسطة الختر الحيواني . وإزاء ذلك
يظهر المزابيون إلى استيراد الكثير من المواد الغذائية بما في ذلك التمر
من خارج واحاتهم . والخبر بالذكر أن مزارعهم وبساتينهم لا تكون
مورداً غذائياً أو اقتصادياً لهم بقدر ما تشكل حقائق لثقافتهم . والظاهرة
الطريفة في الأقليم هي أن للمزابيين دارين لإعدادهم في المدينة والولاية في
ظلال بياديتهم : مسكن في الحظير وآخر في البادية . وتراه يقضي
وجميع أفراد أسرته العام صايفة بينهم . ويغرس المزابي سكنه في
بادية يظهر القبط (من عابدين حتى أوائل ديسمبر) ينشد فيه الراحة
والهرب من المدينة . وإذا رغب المزابيون في امتلاك الخيل قصد التجارة
والتربح لجأوا إلى واحات أخرى غير واحاتهم ويوجد خاص إلى دولة
القرية من ديارهم .

وقد تبين في خبر هذا التناقض الجغرافي بين فقر البيئة وفقر السكان
عدد من الأسباب التاريخية والدينية والدوافع الاجتماعية . فالمزابيون طائفة
من الخوارج الإباضية ، هاجرت من المشرق إلى المغرب . فلما بلغوا
أراضي مزاب اتخذوها مسقراً ومقاعاً لهم عن الترحيل من جديها النسبي ،
حي يثقوا بسلامتهم ما قد حصل أن يترك بهم من ضروب الاستغلال إن

هم حلق في الجهات الشمالية الغربية . وقد كان المزابيين فضل كبير على
تعمير هذا الاقليم وزراعة البساتين . غير أن صعوبة العيش دفعت الناس
إلى البحث عن موارد أخرى خارج حدود أراضيهم . فبدأ يطلع الصبي
أشده هاجر إلى مناطق اهل في الشمال وهي اوفرداه وأكثر خصباً وأشد
غنى : فيها يزاول أعمال التجارة . وبالحد والمكثرة قد يوثقه الخط
فيمسح من الأتربة . هذا ويقدر عدد الدفوز الذين يعيشون في
المهجر ، عدد السكان . ويذكر المزابيون نهاية القالة في المدن
المزانية وهم في ذلك شديدو الشبه بأهل جربة في تونس وبالسوميين
في المغرب . وسيطر كبار تجارهم على معظم الحلات التجارية المرتبطة
بالقالة . ولعل ممارسة خالبيتهم نفس المهنة عما يقوي روح التكاتف الذي
يظهر بين الأشخاص المنسبين إلى نفس المهنة وهو مما يفسر نجاحهم التجاري .
والمزابيون يقومون على علاقاتهم وصلاتهم مع الأهل والقبيلة ولا يتخلون
شئها وذلك على الرغم من قسوة اغياب الطويلة التي تفرضها عليهم
منهجة التجارة التي يمارسونها . وتقدر ما يستطعون معهم زوجاتهم
إلى حيث يعيشون وبذلك تظل هجراتهم مهملات مؤقتة . فيعودون إلى
بلادهم من آن إلى آن ، حتى إذا تقدم بهم العمر كانت لهم مزاب
هي تبايا الحلات .

والحياة في مدن مزاب مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهذه الهجرة وبالنشاط
التجاري الذي يمارسه المزابيون مما يتيح لهم طرقة المصروف على الأسرار
الضرورية العناية بالتواجات وحداثتها ونحوها ومماثلها : تلك العناية التي
تطلب تقفات باذخة . وإذا كانت الهجرة حادلاً من عوامل التثقل
والضيق فهناك عوامل أخرى قوية مضادة تقوم على الانجذاب ، وضوي
العلاقة الشابة بين الفرد وجماعته : وذلك عن طرقة الضغط الذي
تفرضه الجماعة على كافة أعضائها : ثم عن طريق المذهب الديني والفكرة

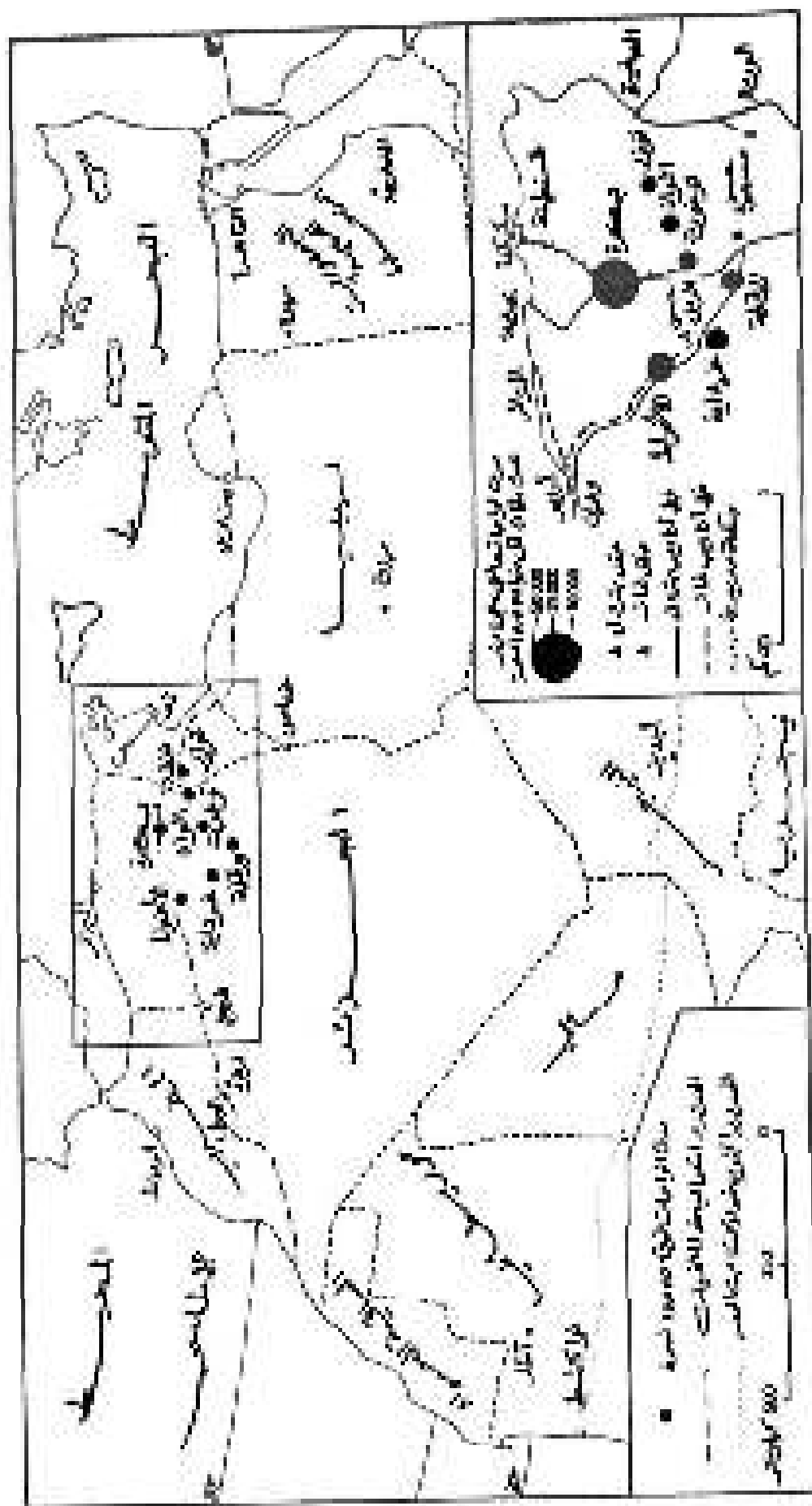
عليه ، عن طريق العلاقات الاجتماعية الراسخة لافي مزاب بحسب ولكن
حيثما كانوا : فلا يقطع المهاجرون حاجاتهم بالأهل الذين يخلطونهم ودمهم
في الراحة : ولجأ عن طريق التزامهم الزواج داخل القبيلة .

وتعل أن ما يميز المزابيين عن سواهم هو أنهم استطاعوا الجمع بين
صفات تلبو متالفة قد صبت في بوتقة واحدة . فقد حققوا في بيئة
صحراوية محدبة حياة بحرية ممتدة ، تصرف عليها وتدير عنها بساحة
سكنى تركا دوماً بأعذاب النيل ، وراق في نفس الوقت في حياة
حضرية متوقفة .

ولكن مزاب مواضع معينة . فهي تقوم على بروز صخري لحافة
هضبة أو على نقر، متوزل عما حوله . وتكثر الدوائر بجودة بيائها ومعدود
طوائفها . مع بساطة كبيرة تمارها ما ذات شمسها ، وضوئها نقيطة جميلة
تخفى بها أرولة جنية مسقوفة . وصورة القبول أن هذه المظاهر الخارجية
تدل على طابعها الحضري القوي .

وتعمل عرواية العاصمة مركز اتصالاً من حيث حجمها (٢٠.٠٠٠ نسمة) ، ومن حيث أهمية النشاط الاقتصادي والتجاري والسلة التي
تؤويها . والكثافة السكانية داخل المدينة - كما يستدل عليها من الأرقام -
كبيرة ، إذ تتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ نسمة للهكتار الواحد ، وهذه
الكثافة العالية تعد من ملامح المدن الصحراوية القديمة التي يكتظ فيها
السكان الاحتياطاً لديها حل وقمة صغيرة من الأرض .

ومما هو جدير بالذكر أن لأصحاب التجارة من المزابيين صفات
تتمثل بعض عادات تجارهم التجاري : من أبرزها القدرة على التكيف
مع مختلف الظروف . ففي عصر ازدهار تجارة القوافل نجحوا في تحويل
تجارها الرئيسية إلى قوافلهم . فلما انحطت وكانت تضلح ونوا وجوهم
شطر وسائل النقل الحديثة استجابة للتغير الذي شهدته الصحراء ، وعملوا



على احتكاك حركة النقل وتنظيم خدماتها عبر قسم كبير من الصحراء .
بذلك أصبحت غرداية المركز التجاري الرئيسي للصحراء الشمالية الغربية ،
بما كان له آثار عميقة في تقدم السكان بها .

. . .

من ذلك نرى أنه لتحقيق خلال الفترة التي نحن بصدد دراستها تقدم
حضري لبعض المراكز الكبيرة التي نمت وزدهت بفضل تعزيز وظائف
قديمة كانت تمارسها أو ظهور وظائف جديدة أُنشئت بها . ونلاحظ ذلك
من الناحية في وقتها وتخصص في أحيائها . قبل جانب القصور القديمة
وتوابعها الجديدة التي تلوح في أفقها ظهرت أحياء الإدارة بمبانيها
الكبيرة ، وأخرى التجارة بمرآئها وشوارعها الواسعة بالعناصر
والراعيين ، وذلك للسكن الأوروبي ، فيلاتها ، الأحياء . ونلاحظ هذه
الأحياء الأخيرة بطرقاتها العريضة المستقيمة ، وبساحاتها المسعدة . ونلاحظ
من أهل تلك المدن تسمية بالقبائل إلى المدن القبلية لاسمها . ويسوقنا
هذا إلى تمييز الحقيقة الآتية وهي أن تخطيط المدن الصحراوية في تلك
الآونة لم يراع فيه الاختلاف بين الأحياء من ناحية الوظيفة فحسب ولكن
أيضاً من حيث الناحية الاجتماعية والعنصرية . وتسمية الأحياء على هذه
الصورة ظاهرة عامة في مدن الشرق الأفريقي والشرقي الأوسط والشمالي
وبعض مدن الأمريكتين . بل أن هذه التسمية أكثر وضوحاً في المدن
الصحراوية التي عرفت الاستعمار .

نتخلص من ذلك إلى أن المدن الواسعة الكبيرة التي أشرنا إليها ازداد
حجمها وتمتد على مساحة شاسعة كبراً كبيراً خلال هذه الفترة . ومن هذا المنطلق
نفسى أسباب هذه الزيادة الديموغرافية بعدها ترجع إلى عوامل ثلاثة :
أولها الكثافة الطبيعية للسكان والذي يقصد به زيادة عدد المواليد على عدد

الرحلات ، وانبعاث مهاجرة القرويين من أعالي الواحات وترويضهم من
البادي إلى المراكز الحضرية . أما العامل الثالث فهو استقرار البدو الذي
استحصل أثناء طواف هذه الفترة على إثر القيود التي فرضت عليهم في
تنقلاتهم الرحوية ، وكذلك انقطاع احتكاكهم لتجارة القوافل وحراسنها
بعد الغزو لها .

ومن كادح استقرار البدو التي تسببت الآثار استقرار جماعات
المخادمة . تقع مراحل المخادمة بالقرب من واحات ورقلة إلى الشمال
الغربي والحرب والجنوب الغربي منها . ويبلغ عدد أفرادها قرابة
٥٠٠ شخص . ونظام الحياة لديهم كان يستند حتى عهد قريب إلى
البدارة والاعتكاف من سكان إلى كثر ، وكانت جماعاتهم تتصل في
تجولاتها إلى مسافات تتجاوز أحياناً ٤٠٠ كيلومتر من ورقلة مكن تجمعهم
الرئيسي . وقد اضطروا تحت ضغط الظروف السياسية والاقتصادية التي
أثرت فيها آتياً إلى التخلي عن احتكهم بحيوان ، وإلى الحد من
حركاتهم ، بما طالت فترات إقامتهم فتاة في خيامهم تحت أسوار
البنية . ولقد بدأ كانت لهم بعض الدور في البنية يستخدمونها صوامع
للغلال ومستودعات . فلما طالت فترات مكثهم بالقرب من الواحة
ازدادت حاجياتهم لبرية شيدوا حصناً من المستودعات بالقرب من
مضارب خيامهم ، ثم لم يلبثوا أن بنوا منازل من حول هذه المستودعات
وبذلك انتقلوا من سكنى الخيام إلى سكنى الدور البنية . وتقوم هذه
الدور حالياً بصفة بني لشجار لتخيل إلى الجنوب الغربي من واحة
ورقلة . وقد كان لدى الآبار الأثرية هذا حفرين عملاً ثورياً أثر
لا يستهان به في استقرار المخادمة . علماً أن هذا التحول عن حياة
البدارة ازدادت مرحه أثناء من عام ١٩٤٦ نتيجة لاكتشاف البترول
والغاز الطبيعي وما صاحبهما من طلب متزايد على الأيدي العاملة .

إن المقام لا يتسع لأن نصيب الكلام عن المخادعة وحسبنا أن نختم الحديث عنهم بالإشارة إلى نسبة من احتفظ منهم بحياة البدوة . إنها لا تتجاوز ٥ بالمئة من المجموع . فضلاً عن أن التقلبات الزمنية لم تعد تقلبات جماعية كبيرة في أوقات منتظمة ، بل تفككت وانقسمت إلى وحدات صغيرة ، تقلباتها غير منتظمة ولمسافات قصيرة . وهكذا تحولت الطائفة العظمى من المخادعة (٩٥ بالمئة) إلى مختلف أنواع النشاط الفلاحي والتجاري والعسكري . حتى أن نشاطا الدلالي في الرانجر البربرية أصبح بستاناً بكثرتهم .

وبما لا ريب فيه أن نزوح الناس من الوادي ومن إبادته إلى المدينة تربت عليه آثار اجتماعية كما عطلوها . فالقصر القديم يولف وحدة سياسية واجتماعية واقتصادية كما يولف وحدة قروية . ولا تكاد نجد مثل هذه العلاقات والأوضاع القروية تتعدى حدود قصر إلى قصر آخر إلا فيما ندر . أما المدينة الواحية الكبيرة فقد أصبحت تحمي أساساً من مختلف القصور ومن الوادي وإبادته ، تدفوا إليها من ساكنات جزائرية وعربية مختلفة كما أصبحت الصلات القروية نوعاً . فيما ظل القصر القديم عتقاً بصلته اقية والرحم ترى المجتمع الحضري في إطاره الجديد أحسن بصوغ صياغة جديدة لأسس العلاقات التي تربط بين أعضائه .

...

لقد آن الوقت لنقرر أن قوة جاذبية المدن الكبيرة التي استحوذت أو كانت الوطائف الحضرية والنمو الديموغرافي صارت نحو المراكز الصغيرة . فالنشاط التجاري أقام من وجود الوظيفة الإدارية والسياسية في المدن الكبيرة التي يقدم فيها الأشخاص من مختلف القواصي التابعة لمناخات متنوعة مشاكلهم الإدارية والمالية . وهم إذ يفتقرون بذلك يتصرفون كرملة وجودهم في المدينة لشراء بعض حاجياتهم من أسرائها ومناجرتها . وما

ساعده على ذلك وسائل المواصلات الحديثة التي تسخت نقل البضائع والسلع بسرعة من وإلى المدينة الكبرى ، وتركزت تجارة الجملة فيها . وكل ذلك أضعف من اتصال القرى النائية بالصحراء وبالعلم الخارجي إلا إذا كان هذا الاتصال عن طريق المدينة الرئيسية .

وفي هذا المجال ينبغي الإشارة إلى هذه المراكز التي كان يمكن أن توفى إلى قرية المدينة ولكنها فشلت في ذلك . ولضرب مثالاً مدينة فسيح في المغرب . تقع واحات فسيح في أقصى الجنوب الشرقي من البلاد ملاصقة للحدود مع الجزائر حتى أصبح عليها القول بأنها نهاية العلم . ولما لا شك فيه أن مثل هذا الموقع المتطرف لا يساعد كثيراً على الأمر الخارجي . إلا أنه من المثل ألا تعامل أن فسيح مزرعة غير مركز إداري كبير ، كما أن بالواحة بوجوازية صغيرة تدار من التجارة وبعض الصناعات التقليدية وأمور التعليم . وكل ذلك كان يمكن أن يصلح كدعائم قسوة الحضري .

وأهم شيء يستدعي انتباه الباحث هو الهجرة سكان فسيح بأعداد متزايدة . وقد كانت هذه الهجرة في الماضي مؤقتة ، وكان المهاجرون يعودون إلى موطنهم في فصل الخريف للقيام بالأعمال الزراعية . وبدا الحرب العالمية الثانية أصبحت الهجرة شبه دائمة . ولم تعد تقتصر على القصور كما هي الحال في المغرب ، فضلاً عن معظم المهاجرين يحولون إلى عمال سواء أكان ذلك في مراكز التعدين القريبة من فسيح في المغرب الشرقي أم في أوروبا وعلى وجه الخصوص في فرنسا . وبسبب هجرة العناصر العامة نشطة أدرك المسؤول حقول الواحة ، كما أن بعض المهن والحرف ، اتخذت بعد أن رحل الكثير من أسماها سبباً وراء الازدياد في مكان آخر . ويبلغ عدد سكان فسيح ١٢.٠٠٠ نسمة وهذا العدد في تناقص . وتكاد تكون فسيح قرية أكثر منها مدينة ، وقصبتها في الواقع

هي قصة مركز حضري قد نصب عين تقدمه .

وهناك على عكس ذلك توجهات قروية أخذت تشيع فيها النظام الحضري ، وقد لا ينبغي علينا ذلك ، بل نرى بل مراتب للدول . ومن أمثلة ذلك قصر الحرف في إقليم نابلت بجنوب المغرب ، ضمن الرغم من الوفرة السكانية في وادئ نابلت فإن الحياة الحضرية فيها تكاد تنحصر على أوجود (٥٠٠٠ نسمة) وهي مدينة حديثة خلقت عكفاً حوالي سنة ١٩٢٥ لتكون المركز الإداري الرئيسي للإقليم . ومن المقصود ما يتجاوز عدد سكانه ١٠,٠٠٠ نسمة ، وقوة الحرف يبلغ عدد سكانها قرابة ١٥,٠٠٠ نسمة . وهي ليست قصراً واحداً ، ولكنها عبارة عن ثلاثين أو أربعين قصراً التحمت بعضها فبليت قرية كبيرة فضحة . ومن أهم ملامح التطور المحلي اقتراب علم الداية من علم الحضر فيها وتعدد أنواع النشاط التجاري ومختلف الخدمات المرتبطة بالنشاط الثالث ، وذلك لسد حاجيات السكان المتزايدة ولا سيما بعد انقراض السليم بين أبنائها .

٥ - الوظائف الجديدة

البترول والغاز :

حينما ما تقدم من شرح لدور الذي لعبه الاستثمار الأجنبي والعربي في الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية ، وننقل الآن إلى الحديث عن التغيرات الاقتصادية التي طرأت على الحياة الحضرية كنتيجة لاستيلاء البترول . إن الاستيلاء الجديد على البترول والغاز الطبيعي بسبب لصحراء تدخل في مجال اقتصادي من نوع جديد . وقد تأثرت مدن الواحات تأثراً إيجابياً حسباً بهذا النشاط ، وذلك عندما تقع المدينة على مقربة من المكامل الغنية بالبترول أو من أسواق تصديره . بل

إن مجرد وجود المدينة على خطوط الطرق التي تسلكها القليل البترول
أو الغاز إلى موانئ التصدير كان من دوافع النمو الحضري .

إن امتداد استنباط البترول إلى الصحراء أدى إلى تدفق شديد لأفواج
المهاجرين إلى المراكز البترولية طمعا في تحقيق مستوى أرفع من الناحية
الاقتصادية . وشارك في هذه الهجرة - كان الرحالة والبدو من حد
سواء . وأخطرت مشكلة اقترنت هذه الهجرة كانت التخللات المتوازية في
سوق الأيدي العاملة في صالح الاقتصاد الحديث وعلى حساب أنواع
النشاط التقليدية من الزراعة في الواحات أو حياة رعوية بدوية والتي يعيش
أصحابها عادة في ظروف اقتصادية واجتماعية سيئة . وهكذا فتح اكتشاف
البترول أمام سكان الصحراء أبوابا واسعة لحياة أوفر رعدا وأكثر رخاءا .
وقد جعل النشاط الجديد أهمية كبيرة للاقتصاد القدي . وبدلته أن
البحر الزخمة والنشاط أدت إلى زيادة الطلب على المواد الأساسية
وبالتالي إلى زيادة المبادلات التجارية ، وعاد ذلك على المدن الواحية
الكبيرة ولا سيما الأغواط وتوغرت ورقلة بانحصر العنصر .

فمدينة الأغواط أصبحت مركزا لالليم حسي الرمل التي بالغاز
الطبيعي . وجمع مناطق استخراج على مسافة مائة كيلومتر جنوب شرق
المدينة . أما توغرت فقد أنشئت إلى وظائفها المتعددة وظيفتها بدوالية
وذلك منذ إنشاء محطة ضخ خط أنابيب البترول الذي يصل حقول بترول
حسي مسعود بميناء أوزيو على البحر المتوسط . وامتدت رقعة المدينة
بعد أن قامت لجراء جديدة خروبي المدينة منقوبة من الطريق التي يسلكها
محطة ضخ البترول .

وتعبر ورقلة مثلا لمدينة التي ازدهرت بسبب تقدم الصناعة البترولية .
غير أن تقدم المدينة لا يعزى إلى البترول وحده . فقد ارتبطت أيضا
للمدينة باديا في بدء بالزراحة في زراعة القمح والبنين وبازدياد أهميتها

كسوف كبيرة لمكان القوي واليدوي الرحل نتيجة لتعزيز وظيفتها الإدارية .
ثم تلا ذلك مرحلة لتغيب عن البترول وحاصلات استخراجها . وفيها
خطت المدينة في تعدادها خطوط واسعة . ذلك أنها لا تبعد بأكثر من
٧٠ كيلومتراً من آثار حبي صعودها جعلها ملاذاً ومدينة زلزالية يأتى
إلى مروجها الحضر وتلك القليل من أن إلى أن المشتغون باستخراج
البترول . والمدينة موقع عمال يتوسط طرق المواصلات بما عزز وظائفها
الإدارية وأصبحت أهمية كبرى . فلا غرو أن أصبحت السلطات عام
١٩٥٩ عاصمة لممالك الواحات بدلاً من الأغواط التي تشغل مركزاً متصرفاً
في خريطة المواصلات .

هنا ويقع القصر القديم على تلى يتوسط الواحة . طرازه ضيقة ملتوية
ومساحة جزئية . على أن القصر لم يعد يتولى على استيعاب كل مكان
نظراً لزيادة المضافة في أعدادهم ، ومن لم يدأب يظهر المساكن خارج
الأسوار . وفي نفس الوقت امتدت الأحياء البصرية إلى الجنوب الغربي
بعيداً عن النخيل حتى لا تغطي مبانيها على الأرض الزراعية ، مكونة
مدينة حديثة متطورة ، تتجمع فيها مختلف الباني الإدارية والمخاضق ودور
السرا والمخيمات التجارية من كل نوع . وقد أدى ذلك إلى غياب الموي
ومخطتها النموذجية لسائر المدن إذ أن أصبحت ورقة مركزاً رئيساً
للمواصلات صوب الجنوب والجنوب الشرقي ونحو منطقة العقير
واسرهان . وأخيراً إن سويس برون عبيد بالقرب من الحدود
المكية .

بدوي أن هذه المدن الثلاث - الأغواط وتوغرت وورقلة - لم تكن
لرديم وبشكل فيها العمول على هذا النحو لو أن تساهلها اقتصاد فقط
على موارد وحدها بها بعض هذه الموارد من مبدلات تجارية محدودة .
على أنه لا بد من أن نقرر أيضاً أن زدها هذه المدن اقتراباً بدهش

بملازمة ولاسيما الاقتصادية . لاكتشاف البترول واستغلاله أدت إلى حالة
من حالات الاضطراب وظللت التوازن نجحت عن الانتقال من نمط
اقتصادي تقليدي إلى اقتصاد يقوم على أسس حديثة حضرية .

ومع ذلك لا يمكن أن نتجاهل انظر في حالة الجزائر (في البحر) . عند
سوق كين الثمرة إلى أنها مدينة اندمجت الاضمحلال نتيجة تنحصر تجارة
التواصل . على أن هناك برين أمل في إحياء المدينة بعد اكتشاف مراكب
واسعة من الصخور التي تتضمن مركبات الأورانيوم في منطقة آرنيت
التي لا يبعد عنها بأكثر من مائتي كيلومتر . والمفروض أن تقوم مدينة
معدنية تضم مئتين من الأوروبيين وبضع آلاف من الأفريقيين .
ونظراً إلى أن المحتوى المعدني لخلاصات الأورانيوم ضعيف فيصبح كميته
مهما كبراً ضرورياً يندرج تحت الملوثات الضئيلة . مافات . ولا
أن يكون لوجود هذه المركب الاقتصادي أثر طيب على مستقبل مدينة
آرنيت .

السياحة :

من بين الوضائف الرئيسة التي ظهرت في المدن - وكنت أيضاً
ملاحظة لبعضها - المظلمة السياحية ، وهي مظهر حديث من مظاهر
مدننا المعاصرة سجل تقدماً كبيراً في السنوات الأخيرة ، علاوة على أن
السياحة تشكل قطاعاً اقتصادياً غير هين بالنسبة لكثير من الدول . وقد
تأملت الحركة السياحية ، لها تأملت من أقطار : الصحراء ، وليس
خريباً أن يدب فيها هذا النشاط . فالصحراء تأسر مرافقها بأفاقها الواسعة
العريضة ، وبفضل ما لها من روعة وروعة ، ومن جمال وجلال ،
والمظلمة السياحية ليست بالضرورة وظيفة حضرية . ولكن في الصحاري
يصعب تصور قيامها بخارج الماحات . ومن ثم كانت المدن الواحية حياً

لأن مشروع سياحة لا سيما وأنما تمتاز بوجود بعض المرافق الحضرية
الضرورية كشبكة المياه التي تؤمن حاجة سكان المدينة من مياه الشرب
وشبكة المجري التي تجمع مياه المدينة وتسحبها إلى منطقة بعيدة عن
المدينة وتحملها بطريقة صحية : وشبكة انابيب الكهرباء للتلقيح... وكل
ذلك يجعل منة السائح في هذه المدن أقرب مثلاً وليس سبيلاً
من في جهة أخرى.

وقد أخذت بعض الحكومات التي لها نصيب في الصحراء في بلد
تتبر من بعدد واحد بنفوس سياحة . في المغرب مثلاً وضع المقيم
لثلاثي السنوات ١٩٦٥ و ١٩٦٦ و ١٩٦٧ سياحة بين أهداف الأربعة
الرئيسية . كذلك توجد الجزائر وتونس وليبيا مجال كبيرة من ميزاتها
لهذه الفئات والمشار سياحة المصنعة . ولكن قد منسجمة أن المصالح
الصحراوية في هذه الأقطار لا تستثمر بكل هذه المبالغ إلا أن نسباً منها
لا يستهان به . على أن السؤال الذي يطرحه إلى الذهن في هذا الشأن
هو إلى أي حد يعتبر التوسع السياحي في الصحراء عملية مريحة للدولة
من الناحية الاقتصادية . فإما أن هذا التوسع يقابله عدة صعوبات وعقبات
تجعل الأرباح الأخرى الضخمة منها . لكن من ذلك على أن النهضة
السياحية في الصحراء تعتمد على الاعازات التي تمنحها الدولة بسخاء
لتيسير أبواب الاستثمارات الحرة ومنها الطرق وممراتها وبنائها
ولقيام الأعمال دعائية أولية لا تعدى من القيام به توفير الجدار
الكهربائي إلى المنشآت السياحية وتزويدها بالمياه وذلك في جهات كثيرة
ما تكون عديمة من هذه المدعيات الأولية . ومن جهة أخرى فإن الفصل
السياسي في الصحراء يتميز بقصره ويكاد يقتصر في فترات البطولات
الشوية والريمية . فإهداء من طابو حتى أولئك سيمر توضع درجة
الحرة وعند حثرتة الفيد . ولا يراجع الناس إلى زياره الصحراء
آنذاك . ويرتب على ذلك أن ينخفض معدل استخدام المرافق الاسكانية

الغداق لي ان يقل عنه الأيام التي تصبح فيها الغداق عبارة
بالسياح .

ومع ذلك لا بد من التلميح بأن الجانب الإيجابي غلب النشاط لا يمكن
تجاهله . وأية ذلك أن هناك الغداق في بحر مستمر في كل جهة بينا استركنا
السياحة تسجل تقدماً مطرداً حيث لم تعد لشهر الصيف بخالية من ألواج
السياح .

وهناك خاصية من خواص الواحات متصلة بالسياحة تشير إليها إشارة
وحيدة وهي أن ذلك النشاط لا يقوم مستغلاً بداته وإنشائه ، ولكنه مرتبط
بمراكز السياحة الكبيرة التي تجمع على حدود الصحراء . ولعل
هذه المراكز دوراً مهماً كحلقة وصل بين العلم الخارجي وعلم الواحات .
ففي جنوب قطر الغربي مثلاً توجد هناك تجمع بشهرة سياحية عالمية
وتتوافر على ذاتها متنوع المرافق والخدمات ، ومن أبرزها مراكز
والحمير ، وادجر قطر الارتكاز لخدمة منها تبدأ الرحلة - وما أجهزها
إن احتمال الجو رقيق الهواء - إلى الرزازات وراجرة والرغوة
ولجئها من المدن الصحراوية التي أصبحت مقصد السياح وموطن الزوار
يشكو عليها من نقصي المجهزة .

وأخيراً يمكننا أن نصل من نتيجة الدراسة لسياحة كدامل من عوامل
النسبة الاقتصادية والنهوض بالواحات ومثلها . إذا استثنينا المدن الواحية
التي عنها الاقتصاد البرولي أو التي أحبتها الوظائف الإدارية والتجارية
بما سبقت الإشارة إليه هذه الغالبية العظمى من مراكز تجمع السكان
لا تساهم اعتبارها عدداً ضئيلاً على الرغم من أن عدد سكانها قد يصل
إلى أكثر من عدة آلاف نسمة . وإذا ألقينا النظر في بعض هذه
المجمعات ذات المسحة الحضارية أدركنا أن هذه المسحة تولدت من أن
هذه المراكز في الواقع قد أصبحت لتعبر الممر الحلي في جسم العلاقة

التي دبت فيه التحول . ومن ثم كانت الأعمال المزدهرة بالتوسع السياحي من شن الطرق وبناء الفنادق مما يساعد - ولو بصفة مؤقتة - على امتصاص البطالين ، فضلاً عن أن السياحة يمكن أن تؤدي إلى استعادة الصناعات القديمة الملعنة لبعض - إذا لم يكن يمكن - تدخلها القديم . ويتطلب ذلك تردد موارد السكان . كذلك قد تكون السياحة حلاً جزئياً على أن يجد المنتجات الزراعية المحلية موطناً رائجة لا يرتكز فقط على التوسع الخارجي ونحو الماء في الواحات نفسها ولكن أيضاً على الأسواق البعيدة بفضل الجسم الذي طرأ على وسائل النقل .

لا مرأه إذن في أن السياحة تكون بارقة أمل لأزدهار الحياة في الصحراء . وبصرف النظر عما إذا كان التوسع السياحي فيها بشكل صلبة اقتصادية سرية تلك أداة من أدوات إخراج الصحراء من عزلتها وإشاعة العمر فيها .

• • •

بسكرة :

لا كانت بسكرة أكبر مدن الواحات في الصحراء وأعظمها ذاتاً ، إنما أن ظروفاً فقرة خاصة في هذا البحث ، ذلك أن المدينة تكاد تكون كافة الوظائف التي نجدها مفردة في المدن الواحية الأخرى حتى أصبحت بسكرة ميزاناً توزن عليه الوظائف .

تحت المدينة موقعاً ممتازاً عند نهاية منخفض ، يفتح بين جبال أدراس من ناحية وأحلس الصحراء من ناحية أخرى ، وقد كان هذا المنخفض على غير العصور منطقة ارتباط مهمة جداً بين الأقاليم الصحراوية في الجنوب من جهة وبلاد البحر الأبيض مثلاً من جهة أخرى . ولعل

لم تكن جديدة أن نجد الوظيفة الحربية في أصول المدينة . فالكائنات
خلاقة من سقاية سطح الدجاج الكمامي للأمبراطورية الرومانية . وبعد أن
نوارت هذه الوظيفة رشحاً من الزمن عادت إلى الظهور أيام العثمانيين
والاحتلال الفرنسي حين أصبحت مدينة توابل فيها حامية عسكرية
كبيرة .

أما وظائفها التجارية والاقتصادية فتستند إلى الموقع والموضع . فسكرة
هي السوق الكبيرة والمركز الأولي لبلاد زيان ، وهو إقليم خشي
بواحاته ، يقع في حوض جبال الأطلس حيث يزداد منخفض عظيم
تنظم فيه مجموعات من الواحات الكبيرة الآتية بالسكان ، الخربة بالتحليل
وأشجار النخلة . وقد جذب موقع المدينة طرق المواصلات الرئيسية
فأصبحت سهلة الاتصال بالعاصمة الجزائر بواسطة كل من الطريق البري
وخط السكة الحديدية . كما أنها أصبحت تطلب جميع الطرق والمشارب
الصحراوية التي تخرج منها لجميع الاتجاهات قدراً . وأخيراً فأن
المدينة تقع على خط السكة الحديدية الذي يربط الجزائر في الجنوب
بمسيلة في الشمال . هذا وتحتضن فسكرة بمركز التجارة في بلاد زيان .
وقد قامت بها مدينة جديدة تمتد جانبها إلى الشمال من الواحة وغربها ،
ويتركز فيها نشاط الإداري والتجاري .

وفي أواخر القرن التاسع عشر نشهد المدينة ظهور وظيفة جديدة تنضم
إلى وظائفها الأخرى ، ألا وهي الوظيفة السياحية . ولا يخفى وقت طويل
على ذلك حتى فزدهم هذه الوظيفة وتبين من أجلها فنادق فخمة يؤمها
الزوار من السياح ويوجه خاضع البريطانيون بحثاً عن الشمس وعن
الشفاء . وقد تضاعفت هذه عوامل كفي لتحل فسكرة مكانة مرموقة في
عالم السياحة من أهمها سهولة المواصلات إليها ، وموقعها عند مدخل
الصحراء وبالتحديد من بديل أوراس ذات المناظر الخلابة ، ثم وفاء

مياهها وانخفاض حرارتها شتاء . ينبغي أن نذكر أنه أثر على هذه الوظيفة
 من قبل البحر حيث يجد جدارها . على أن المهمة الرئيسية لجلب
 الرغبة في الكشف عن آفاق جديدة غير مألوفة جعل الصحراء تجلب
 إليها الرياح من جديد . وأخيراً فإن المدينة تسهم بحصيب في النشاط
 البروني ولو أن ذلك بطريقة غير مباشرة . فبمسكدة تقع على بحر رنسي
 يربط إقليم البحر المتوسط بالصحراء الحديثة : وذلك الطريق البري
 وخط السكة الحديدية . ثم إن المدينة محطة رئيسية لخط الأنابيب الذي
 نقل البترول منذ عام ١٩٥٨ من حوض حبي مسعود إلى بحيرة .

٦ - خاتمة

تختلف بنا الدراسة الجغرافية لبلدان الواسية الكبيرة عن تلك جوهري
 طراً على حياة الحضارية في الدول الصغيرة . ويصل في هذه وظائفها
 والزيادة على مكانها واتساع رقعتها . فحتى عهد قريب كانت معظم
 المجتمعات في الواحات أقرب إلى القرى منها إلى المدن . ويرجع ذلك
 إلى أن أهم ما يميز هذه الواحات عن غيرها هو تداعيل الوظائف
 الحضرية والثروة فيها تدعولاً كبيراً . وضلت المدينة التقليدية الكبيرة
 خلال عصور مدينة مركزاً إقليمياً لسكان الواحات من المستقرين ولطفاً
 للبادية عبر الرحل .

وقد صاحبت الفترة الاستعمارية ظهوران قد تبلوان لأول مرة
 متقاربين ولو أنهم في الواقع متباينان . فخلال أولهما انزح من
 هذه المراكز أملاك الأخصخائل من أثر النظام تجارة القوافل والحرم
 الرقيق . وينتشر لبادلات التجارية تدعورت بعض الحرف والصناعات

التقليدية نظراً لضعف القوة الشرائية لدى سواد الجماهير في الواحات
على أن بعض المراكز ولاسيما الكبيرة أصبحت إلى وطاعتها لقروية وطاعت
جديدة حربية وإدارية وتجارية مما أدى إلى نموها وإزدهارها .

ولكن اللغة المصرية الكبرى شهدت في عاصمة نورخ باستكشاف البترول:
والأز واستغلالها فظ ذلك بظهور اقتصاد حديث قام فيه القدر مقام
التفاضل لزيادة الثروات وحسرت الأمور ذلك أن تدفق البترول في
الصحراء ساعد على خلق مجالات يحصل في حقول البترول من جهة وفي
مناطق جديدة البترول في هذا النشاط من جهة أخرى . وكان لا بد
للمدينة من أن تتحارب تجلواً فصباً مع الاقتصاد الجديد وحاجات السكان
ومطالبهم ووقتهم حتى السلع الاستهلاكية . فازداد عدد التجار وأصحاب
الحرف المختلفة . كما نشأت مؤسسات الخدمات من بنوك ومكاتب بريد
وشركات نقل وكان لكل أبعاد الأثر في أفراد نحو المدن بسرعة
غير مألوفة خلال حقبة قصيرة من الزمن . ونحن إذ نشير إلى هذا النشاط
الذي يستلزم على الطلب المتزايد للأيدي العاملة يبنى ألا نقول أن حرفة
الحاجة الكبيرة إلى الأيدي العاملة من طبقة صغيات الإنتاج البترول في
مراحله الأولى . فإذا ما وصلت آبار البترول إلى أوج إنتاجها قلت
الحاجة إلى الأيدي العاملة غير المتخصصة . هذا ومن أوجه التعداد
الاقتصادي الحديث في مدن الواحات المياعة ، وهي تكون مصلواً جديدة
لثروة .

ومن أهم المشكلات المرتبطة بالطلب المتزايد على الأيدي العاملة في
المصانع الاقتصادية الحديث هو من غير شك حرمان العمالة الواحية من
عناصرها العامة التي كانت تسمى لهم ، وراهم إنتاج البترول والحقيب
منه أو حبوب المدن . فلكان الواحات أصبحت يبيعون بواحاتهم
وبالمثل لنفسي الذي لا يؤمن العيش - يصرف النظر عن القيل

لكرم - لم ولهم ، حتى أن الأجور التي يتقاضونها في مراكز العمل الجديدة - مهما كانت ضئيلة - طهي بالنفاس إلى ما يجنيه المزارعون كبيرة . وقد نجم عن فزوح الكراي سلسلة من الواحات أن اكتسبت الرقعة المترعة وعلى الأنحصر في الجهات التي لا يعتمد عليها الري على مياه الآبار الارتوازية . بقي واحات فزان تقلصت المساحات المترعة إلى ثلث ما كانت عليه منذ خمسة عشر عاماً تقريباً . بل إن من الواحات ما أصبح قاحاً مملوفاً بعد أن صيرها أمطارها وتغمرها عن جوانبها وبساتينها كرواحات وادي الشاطئ التي أصبحت تصاب بها المياه وقتها دون اعتدال لها .

ولم يجد الواحات مشكلات اقتصادية واجتماعية على درجة كبيرة من التعقيد ليس هنا هذه المرة مجال الحديث عنها . ومن رأينا أنه من الخطأ محاولة الإبقاء بكل الوسائل على اقتصاديات الواحات في صورتها الراهنة . صحيح أن الواحات قدمت مكانها خلال عصور طويلة بمجموعة تكاد تكون كاملة من المواد : وذلك عن طريق إنتاج يعتمد على الاكتفاء الذاتي . ومن الواضح أن هذا الشكل من الاقتصاد عن صبه الزمن ، شجع بتغير الحضاري الذي طرأ على هذه الجهات ، ونتيجة لتغير مفهوم الرروة ومفهوم العمل فيها مما كان عليه منذ سنين نلية خلت . ولعل أفضل وسيلة لعلاج أزمة الواحات هو قبول التطور الحائز والعمل على توجيه اقتصادياتها ومنتجاتها بما يتجاوب مع الحاجيات الجديدة والاقتصاد الحديث .

جمال عروصي

قائمة بعض المراجع الرئيسية

- ARRICQ, G. 1966. La situation géographique de Tjaneet en 1966, *Trav. de l'Institut de Rech. Sci. Alger*, n. XVII, p. 222-227.
- BATAILLON, G. 1935. *Le Soud*, Etude de géographie humaine, Alger, 140 p. (Ouvr. de A. 1935, de Rech. Scientifiques).
- BENNETT, M. 1955. *La géographie de l'Algérie*, Paris, 80 p. (Service Central des Statistiques).
- CHATELAIN, 1952. *Le Sahara français*, Paris, P.U.F., 504 p.
- 1960 COMMISSION OF AGRICULTURE, 1960. *Tripoli and Libya*, United Ministry of Agriculture.
- DESPOND, J. 1962. Problèmes techniques, économiques et sociaux des oasis sahariennes. *Rev. Tunisienne de Sciences Sociales* N° 2, p. 5-21.
- DESPOND, J. & RAYNAL, R. 1967. *L'Afrique du Nord-Ouest*, Paris, Payot, 320 p.
- FERDINAND, H.-P. 1963. *L'Homme et le Sahara*, Paris, Gallimard, 207 p.
- GAUTHIER, E.-F. 1928. *Le Sahara*, Paris, Payot, 227 p.
- GEORGE, F. 1960. *The Lands of Barbary*, London, John Murray, 325 p.
- HARRISON, R. 1967. Migrants in the City of Tripoli, *Libya, Geogr. Rev.* Vol. LVII, N° 1, p. 89-128.

KERFAN, L. 1980. L'expansion économique, industrielle et Touristique d'Outre-Mer N° 84, p. 781-783.

MARTINELLI, P. 1988. La révélation du pétrole dans un pays isolé, annuaire d'économie, la Libye, Les Cahiers d'Outre-Mer, N° 68, p. 5-11.

MEYER-KRON, A. 1963. Notes de voyage, Rev. de Géogr. du Maroc, N° 1, p. 37-71.

TEJEN, J.F. 1961. Aspects géographiques de l'exploitation du pétrole au Maroc, Rev. de Géogr. du Maroc, N° XI, p. 55-66.

محسن الدين صابر ولويس كامل مليكة ١٩٩٦ . اهدى واليدارة ،
مفاهيم ومناهج . مركز تنمية المجتمع العربي : تونس اليان : ١٧٠ ص .

الغوربانا في المصباح

للكاتب محمد الرحمن بكري
 وأمين مجلس الفقه والكلمة آيات الله في الأرضين
 وآية ديبك في كتابك وآية الله في الأرضين

أفنى جومرلس - وهو يتحدث عن المدرسة الغوربانية في كتابه
 الخافل بعنوان : « المحررون لبرنليون » (ج ٢ : المصلي التاسع ،
 ص ٢٠٩ من الترجمة الإنجليزية ، ص ٦٦٦ من الترجمة الإيطالية) -
 في وصف بلدة غوربانا (شحات حالياً) فقال إن القديس والمبشرين على
 السواء قد تنفقوا على الإضاءة بموقعها الرابع ، وبأثره الانغمس المحيط بها
 « لتأخذ الجنوب تحيها سلسلة جبال من قرمل وسحابة الصخر » وتطو
 ألقي قسم فوق سطح البحر : على مرتفع من المضارب يتحضر تدريجياً
 صوب البحر حتى كثر درجات السلم : قد بارك من حوض فلقص
 بديع : يذكرنا اعتناك باعتدال شاطئ « كالبورنيا : وقد بينت المدينة
 على « صدر قرلاش » (هي حد تعبير بنابر جليل) لفتني جبل ،
 حول يشوع يندلق تمهلاً قرباً من حجر جبري - ، نعم لقد كنت غوربانا
 تجعل في الأيام القديمة ، ولا تزال تنجلي بالرحالة الذي يزور أطلال

« أحد المناظر التي تبدو للعبور سحراً وفناً » (هيرش بارت) - وهي
 مغجج اللال المنصر والأخوار الخبيطة : التي تخرج بالظهور من الرتم والآمن ،
 والأفاحي والداني : يشرح البحر في ملو ، منحدرأ إلى البحر الأزرق
 اللون ، ذلك البحر الذي غر عيابه في الأيام الخالية مهاجرون قدسوا
 من جزيرة أبراً من البلورين ومن جزر السبكلاوس - إلى هذه البقعة
 السطحية التي كانت صعدت لهذه الإشراف على الأقليم المحيط والقبائل
 البرية التي تقطن هناك - رعيانة اليونانيين في المئدة المائة والنشام الطرفي
 أحرزت ما هنا تنصارات عقيمة - لكن طريق تشيد التروقات وانقطعت
 والأوصفة : تزل على تغطيات التي تكونت بالشكل الطبيعي للأرض - إلى
 عديد من الطرق المصنوعة التي تخرجت على شكل حايا العوابة من حاطي ،
 البحر حتى المرافعات ، ويشق حلوام البحر الحديثة حتى جواني الطرقات
 فحدث أبداع في تزيينها بالماء والرسم - وهذه هي المداخل إلى خروفي
 قلبي الجديدة - أجل ! إنها مدينة لموتى لا نظير لها على وجه الأرض ،
 ولكن نبع دني وجد قبل أن يتبدد على في شهراء الجري : واستطعت
 هذه القنوت المسودة من أجل دي الخول واليهائن - وعلى منحدرات
 أجل كانت ترعى قطعان الغنم التي كان عولها عالمي القيمة : وفي
 مروج العشب الغابة تشرح الميوت البنية التي اعتادت الظفر بجوار السباق
 في ألعاب الألعاب التي كانت تجري في لوطان الأم (في بلاد اليونان) ،
 كما تنق هذا الموقع الرابع القوي : كالون يوثل (تاريخ المنطقة
 القديمة ، ص ٩٢٦ وما يلوها) : في ص ١٠٠ ، لانه (تاريخ
 المادية وفقد معها في العصر الحاضر : ص ١٠٠ ، ليشتك سنة ١٨٩٨ ط ٢
 ص ٣١) و ج . زوكاشه (القوي : ص ١٠٠ وما يلوها : ميلانو
 سنة ١٩١٦) - وهم في هذا قد استنوا أن ما يتواءم الحذر بتدل في
 اليونانية الرابعة ، وهيرودوتس (الكتاب الرابع ١٥٧ - ١٥٨) ،
 واسترابون (X VII, 86) .

ويبدو ان مؤرخي الفلسفة هؤلاء الذين تبسطوا في شرح مبادئ مختلفة
 قورينا الطبيعية : إنما قصصوا من وراء ذلك ان يفسروا لماذا نشأت
 الفلسفة ابتداءً ان الفكرة في هذا الاقليم بالذات ، وهو تفسير مبالغ فيه
 من غير شك ، ان لم يكن زائفاً كانه ، لأن المكان الواحد كثيراً
 ما أثبت فلاسفة على طرفي نقيض في تصوراتهم الاخلاقية والكونية ، هذا
 من ناحية ، ومن ناحية اخرى لم تظهر قورينا بهذه المبادئ الطبيعية حتى
 نتج بعدها فلسفة اللذة التي دعا اليها ارسطيفورس وابائيه ،
 على ان حياة ارسطيفورس ، وولدهه ، ومؤرخهم المذك في كل شيء ،
 تقريباً :

١ - فحقى مكان ميلاده ، وهو قورينا ، امر وإن حقى عليه
 اصحاب المصادر الحديثة : اعني في العهد اليوناني المتأخر جداً ، لأن
 المصادر القديمة لم تذكر لنا شيئاً عن مكان ميلاده : كما لاحظ
 دوبريس^١ بحق .

٢ - واسم ابويه غير مؤكد : فهل اسم امه ديمالا أو Demira ؟ هذا
 امر اختلفت فيه رواية النصوص : وكون اسم ابيه ارتباد Arbad هذا
 امر لم يذكره غير موريلاس في معجمه (تحت اسم : ارسطيفورس ج ١٩) .

٣ - ولاريخ ميلاده مجرد تخمين ، ولتوزيع المذكورة عن حياته
 تنحصر في :

(أ) قول دوبريس العفلي^٢ ان ارسطيفورس كان لا يزال حياً في

[1] El Español: La literatura castellana de los siglos de Oro, Barcelona . . .

1929, p. 929

[2] Diction: Hist. Phil. X . . 59.

١ - جميع Galich Gerasimov المسمى الفلسفة اللذة ، (الرومان والشرقا مع
 ترجمة لحنالية ومقدمة مستقلة لشدة لسان كتابه : "A la recherche de la sagesse" .
 ... Gall. achete, L'Univers . . مرجع في موضوع الفلسفة الرومانية . وقد ظهر منه
 اكثر : "A la recherche de la sagesse" في باريس سنة ١٩٠٤ في ١٠٠ صفحة .

التي تلتها من الدورة الأولمبية وتم ١٠٣ (٢٩٦ ق.م.) .

(ب) وقد أورد فلوطرخس (Dio. 19.1) من أن أرسطيفورس
التقى مع اللاطرون أثناء إقامة اللاطرون الخاصة في صقلية ، كما في
سنة ٢٩١ ق.م .

(ج) ولعل الخبر الوحيد البقي هو أن أرسطيفورس كان في إيطاليا
سنة ٢٩٩ ق.م. حين كان سقراط في أثينا يشجّر لسم ، كما ذكر
ذلك اللاطرون في محاورته : *Phaedr.* 59c .

٤ - أما متى ارتحل إلى أثينا فستبحث عن سقراط فأغلب الاحتمال على
أن ذلك كان في سنة ١١٦ ق.م. ؛ ولكن ليس لدينا سند واحد
لإثبات صدق هذا التاريخ ، إنما هو مجرد افتراض ، كما افترضنا أيضاً
أن تاريخ ميلاده حوالي سنة ٤٣٥ ق.م. أو في سنة ٤٢٧ (كما هو
رأي أنسر : « *فلسفة اليونانيين* » ج ١ ص ٢٣٩ تعليق ١) .

كما بحثت في الدافع إلى التملك على سقراط : *فيلسوفين* ، وما
أتى إلى أثينا محدثاً بشهرة سقراط (*ديوجانس اللايرتي* ج ١ ص ٩٥ ،
نشرة هكس) ، ويذكر فلوطرخس رواية أخرى وهي أن أرسطيفورس
التقى ، أثناء الألعاب الأولمبية ، *المخولس* ، فسأله ماذا يفعل فجاب
بأنه سقراط ، فذاكره بعض أقوال سقراط : مما أثار إعجابه فعانق
أن أثينا ليقي سقراط ويأخذ عنه .

لكن الروايات القديمة لا تحدد له نوع العلاقة التي نشأت بين هذا
المسجد وبين سقراط ، وهذا لا نستطيع أن نحدد ماذا نشأت فطلبته عن
استاذة ، وإن أي مدى يمكن أن يعد طلباً حقيقياً .

٥ - ولقد ذكرنا انه كان مغنياً عن اليأس حين يخرج سقراط من
الشوكران في سنة ٣٩٩ ، اذ كان ، كسراً يذكر افلاطون ، في
مدينة ايجينا .

حال ان من المرجح ان ارمسطيغوس قد مارس التعليم ابان حياة سقراط ،
وته كان بنقاضي عن تصيحه اجراً كما كان يفعل اسوفستيون ؛ وهو
امر كان يتنافى مع بادئ سقراط ، حتى ليقال انه ارسل ذات مرة
نقوداً الى سقراط ؛ ولكن هذا رقتها لأنه عرف مصدرها وهو التعليم
يأجر وهو امر كان يستكره سقراط . وكان بنقاضي اجراً باعظاً ،
بلغ الف درهم من الطالب لوحد لدراسة التي تستغرق ثلاثة او اربعة
أعوام .

ماذا كان يعلم تلاميذه طوال هذه الفترة ؟ لقد كان يحلهم دروساً
في المشاكل التي تتعلق بالحياة العملية ، بينها تم تشغل دروس الاخلاق
للمركز الرئيسي في هذا التعليم .

وبعد موت سقراط اخذ ارمسطيغوس في التفتل بين المدن اليونانية ،
وبلغته المدينتون من بينها : كورنثوس ، وميظرا ، وايجينا ، واسكيلونته
وآسيا الصغرى ، ثم خصيصاً برلوسة في صقلية حيث التقى هناك
بافلاطون في بلاد فيرنديوس الكبير (العجوز) .

بهذا ان المصادر لا تصد لنا لتاريخ هذه الأمدور ؛ ولا كيف انتهت
حياة ارمسطيغوس ، ولا يذكر مصدر واحد منها انه عاد الى وطنه
الاصلي قورينا .

٦ - اما عن حياته فقد اخذت آراء المؤرخين منذ تقدم حوالها .

وقد فسلم لنا فيوجانس اللاتسي (ج ٢ ص ٨٤ - ٨٥ نظرة عكس)
شئ : ارجأ وأقدمها بشمل :

١ - تاريخ ليبيا : في ثلاث مقالات : وقد أهداه إلى ديونسيوس
في مرقومة .

٢ - كتاباً يشمل على ٢٦ محورة تعرف عنوان ٢٢ منها .

واليت الثاني التي ينقله فيوجانس عن سوتيون وبانثيوس يشمل على
١٢ عنواناً ، من بينها منه لا يمكن زدها إلى واحد من الكتب المذكورة
في البيت الأول وهو :

١ - في التربية ٢ - في النضيلة

٣ - بروتريشيكوس ٤ - في مفراط

٥ - في البخت ٦ - أهاجي في ست مقالات

وفيوجانس نفسه يذكر أن بعض الرواة يؤكدون أن أرسطيفوس لم
يكتب غير هذا الأخير - كتاب الأهاجي في ست مقالات - ، كما
يذكر أن بعض الرواة الآخرين منهم سوسطراط الرومسي يؤكد أن
أرسطيفوس لم يكتب شيئاً: وينكرون أن يكون قد كتب أحد من فلاسفة
سذراط محذرات فيها هذا اللاطرون واكسيفرون وأنتستانس واسخينوس ،
وربما يبدون واقفيس الفيلاني ، وهذا هؤلاء - ومنهم طبعاً أرسطيفوس -
لم يكتبوا أية محذرة .

هل أنه لم يصار في كتاب من هذه الكتب كلها التي نسبت إلى
أرسطيفوس ، إن كان قد ألف شيئاً . وكل ما بقي لدينا هو بعض
مكتابات نسب إليه وبعض عبارات وانقذرات التي اعتقد بعض الباحثين
المحدثين أن من الممكن أن تكون صحيحة نسب إليه . من بين هذه

غير قليل من الأدب والحكم التي تسبث إليه في المصادر اليونانية واللاتينية
المتأخرة .

أرسطيفوس والثوريثيون في المصادر العربية

وحكنا تبادر شخصية أرسطيفوس : بصفة جدية : خاطئة جداً ، يحيط
الشك بكل ما يتعلق بها من أخبار : وحظ الاختراع والافتحاض
والاستفوزة في كل ما يمتشئ بأخباره الكبير بألف مرة من حظ أفلاطون
وأنواع الصحيح .

فإن حاولنا أن نجد في المصادر العربية ما يزيد علمنا في هذه الباب
لم نجد شيئاً . فلأخذ في تحليل الأخبار والنصوص التي وردت عن
أرسطيفوس والشجرة الثوريثية في هذه المصادر العربية .

أ - أخبار الشجرة وطرسها

وإن ما نذكر عليه هو اتصال المدرسة الثوريثية في تصنيف المدارس
الفلسفية اليونانية إلى سبع مدارس أو فرق : سميت بأسماء المشتقة إما من
سبعة أشياء : سمها من اسم الرجل المعلم للفلسفة (أثنى : طرس
الفرقة) ، ولأثنى من اسم أبلك الذي كان فيه بدءاً ذلك العلم ،
والثالث من اسم الموضع الذي كان يعظم فيه ، والرابع من المصدر
الذي كان يصدر به : والخامس من الآراء التي كان يراها في علم
العلمة : والسادس من الآراء التي كان يراها في الفروع الذي كان
يصد إليه في تعلم الفلسفة ، والسابع من الأفعال التي كانت تظهر في
تعليم الفلسفة (راجع الحق رقم ١) . والفرقة السابعة من اسم أبلك
الذي كان فيه الفيلسوف من شجرة أرسطيفوس : من أهل ثوريثا .

وهذا التصنيف ذكره الفارابي في رسالة : عما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الصفة المتقدمة ، (راجع نشرة ديريسي لبعض رسائل الفارابي تحت عنوان : « البهجة المرضية من الرسائل الفارابية » ص ٥٠) ، كما يذكر القفطي أن حنين بن اسحق الأرجواني وأبا نصير الفارابي وغيرهما من المعراء للعلماء قد ذكروا هذا التصنيف ، ولكن لم يبق لنا الموضع الذي ذكر فيه حنين بن اسحق هذا التصنيف .

من أين استقى حنين والفارابي هذا التصنيف ؟

إننا نجد هذا التصنيف بخروجه واسمه في المصادر اليونانية التالية :

١ - شرح الفيثاغورس على « مقولات » أرسطو : ص ٣ : ٨ ، نشرة بروكس Hude في « مجموعة » الشرح اليونانية على مؤلفات أرسطو ١ ، المجلد رقم ١٢ ، طبعة أكاديمية برلين .

٢ - شرح لياس على « مقولات » أرسطو (ص ١٠٨ من ١٤٥ الخ نشرة بروكس المذكورة ج ١٨) .

٣ شرح سينيوس على « مقولات » أرسطو (ص ٢ : ١ نشرة كالفيلس في المجموعة المذكورة للجلد رقم ٨) .

وإن السبع لا يذكر من هذه الشروح غير شرح سينيوس (ص ٢٦٨ من ١٩) : بينما يذكر شرح فيثاغورس واسطون واثمستوس . لكنه لا يذكر هذه الشروح كلها ترجمة إلى العربية . وهذا لا نستطيع أن نحكم يقيناً أن المصدر الذي نقل عنه تصنيف الفرق اليونانية السبع هذه هي الشروح اليونانية الثلاثة أو أن هناك مصدراً تاريخياً عربياً عنه نقل الفارابي وحنين وغيرهما هذا التصنيف ، ولعلهم على فكر حنان أن هذا التصنيف كان شائعاً لدى المؤلفين اليونانيين المتأخرين ، وعنهم أخذوا للإغلو العرب .

وإذا عرف العرب اسم المدرسة القورينية واسم مؤسسيها : علي
 بن خلف في كتابة اسم : ارستطس (الخرابي ، القفطي) ، ارستطس
 (القفطي ص ٧٠ ليرث) ، ارستطس (ترجمة الخطابة لأرسطوطاليس ،
 ص ١٦٠ من لشرقة) ثم ترجمة ما بعد الطبيعة مع تفسير ابن رشد ح ١
 ص ١٨٨ لشرقة بروج) : وكلها كتابة صحيحة بحسب القواعد التي
 اتت في تعريب الحروف اليونانية .

• • •

أما عن حياة ارستطس فتبين الفصل الذي كتبه القفطي (ص ٧٠) :
 وفيه يقول انه من ابن قورينا ، وهذا مضاف مع المصادر الضعيفة ،
 لكن ما يثبت ان يحمله حين يقول ان قورينا في القسم هي رواية بالتمام
 عند بعض ، والله اعلم ! وقد رأيت مكتوباً في موضع : القرني .

من ابن وقع القفطي في هذا الخطأ ؟

من كلامه يبدو أن ما دعاه ابن هذا الافتراض هو انه رأى اسم
 ارستطس في موضع من الترتيب مقروناً بنسبة : القرني - ومن هنا
 ينبغي فهم افتراضه .

حول اشتقاق العرب عن يونانية : في المجال
 الخامس بدرخش ص ٣٤٩ - ٣٥٥) ان بشرط : قدك (بعد أن
 قرأها : لرفي Zafani أي بالزاي المعجمة) ان هذا الخط تحريف لاسم
 بوليا Zafani بك ايرخس الذي نفاه القفطي عنه وبين ارستطس
 كما يرى بعد قليل .

وفي نظري ان رأي اشتينشيلر خطأ كما سبق : لأن ان القفطي
 إنما كان يحدد ما هي « قورينا » في القديم وأين تقع ، وإنما أن رسم

كلمة : ثوريين ، حيثُ جئنا من : رقي ، - فلا يمكن ان تكون هذه تحريفاً لها .

ونرى نحن ان القضي بين ثرا النسبة : : الرقي ، مشروطة باسم
أرسطيفوس : حاول ان يفسرها وان يربطها بثورينا ما دام قد ذكر
عنه انه : من أهل ثورينا ، ، فحق ان ثورينا هي رقية عند حص
بالشام .

والذي أدنى بالنعني الى هذا الخلط هو التحريف في قراءة :
« الرقي » ، ونرى ان صوابها هو : البرقي ، ، نسبة الى برقة ، حيث
توجد مدينة ثورينا ، كما ان اقليم برقة هو ثورينا . وهذا يفرض ان
المصدر الذي نقل عنه القبطي قد حاول ان يبين ما هي ثورينا في العهد
الإسلامي : ووجدوها هي برقة ، ومن هنا نسب أرسطيفوس الى برقة ،
فقال : « البرقي » اي الثورينالي .

وهذا نحل هذا الإشكال الذي لم يستطع تصويره احد من الباحثين
حتى اليوم .

وبعد حل هذه المسئلة نحقق في تحليل مقال النعني عن أرسطيفوس
نتجده يقول عنه : « ان من فلاسفة اليونانيين : له ذكر وتصدر »
وكانت له شجرة . لم يجد هذه الشجرة بأنها من بين الفرق السبع
التي ذكرها في ترجمته لأفلاطون (ص ٢٥) : ويقولون ان اصحابه
يعرفون « بالثوريين » نسبة الى البلد : اي الى ثورينا .

ثم قال من فلسفة هؤلاء الثوريين انها « جهلت » في البحر الابيض
في تحققت الفلسفة الثاليد : ويقصد ان فلسفة ارسطو الثالية قد غابت
وسيطرت ، افواج العلم بفلسفة الثوريين .

بيد أنه لم يذكر شيئاً عن حقيقة هذه الفلسفة النوربالية ، وكل ما هناك أنه وصفها بوصف غامض جداً ، وشاطيء جداً في نفس الوقت وهو أنها : هي الفلسفة الأولى قبل أن تتحقق الفلسفة ، ، وإذا يقصد بكلمة : الأولى ؟

من الواضح أنه لا يقصد بالمعنى الاصطلاحي ، أي : ، ما بعد الطبيعة ، ، لأنه يجعل الأولية هنا أولية في الزمان إذ يقول : ، قبل أن تتحقق الفلسفة ، .

هنا لم يبق إلا أن نفسر بمعنى أنها فلسفة مابضة على الفلسفة الأفلاطونية وفلسفة أرسطو المثالية ، وهما الفلسفتان الحقيقتان ، وعلى هذا فإن فلسفة أرسطيفوس كانت قبل أن تتحقق الفلسفة بالمعنى الكامل لدى الأفلاطون ولدى أرسطو خصوصاً : وهذا أمرٌ حق .

ب - الفلسفة النوربالية في المصادر العربية

والغريب أن المصادر العربية كلها لم تذكر المصاحصة المعيزة للعب أرسطيفوس ودرسته ، وهي أنها تقول باللغة : ذلك أن المصادر الأخرى التي ذكرت اسم أرسطيفوس في العربية هي ترجيات أرسطو إلى العربية ، وذلك في موضعين :

(أ) كتاب : الخطابة (ص ١٦٠ من فترتنا ، الطبعة سنة ١٩٥٩) .

(ب) : ما بعد الطبيعة (: التفسير ابن رشد ، ج ١ ص ١٥٨ ،
نشرة بوبج في بيروت سنة ١٩٣٨) .

وهما الموضوعان الوحيدان في كل مؤلفات أرسطو اللذين ذكر فوسف اسم أرسطيفوس صراحة . والموضع الأول (وبشابل ص ١٣٩٥ ب ٢٩ في نشرة بوبج) يورد قولاً لأرسطيفوس موجهاً إلى الأفلاطون حين رأى

هذه الأخيرة يتحدث بقرور وصفه واستعماله ، فقال له : إن : صاحبها
(أي مفراط) لم يكن يتحدث على هذا النحو ، من الاستعمال ، بل
كأنه يتعشش ويأخذ ويعطي ، ويحترم حق الغير في المناقشة وإبداء الرأي
وتبادل القول على سواء .

أما الموضع الثاني (ويقابل ص ٩٩٦ أ ٣٢ من نشرة بكر) فجهاد
تضحية كلام أرسطو في مسألة : هل يتسبب أن هم واحد ، أو أن
علوم كثيرة : دراسة كل أنواع الأسباب ، فذكر أن أرسطوفوس ذكر
أن الرياضيات لا تبحث في الخير والشر .

• • •

تذكر الباحثين في تاريخ الفلسفة اليونانية أنه وجدوا مواضع أخرى في
كتب أرسطو تروي آراء المدرسة القورينائية دون أن تذكر اسم أرسطوفوس.
وهذه المواضع هي :

(أ) : الأخلاق أن نيقوماخوس ، ، مقال الأيتا فصل ١١ ص
١١٥٢ ب ١٢ من نشرة بكر ، ثم مقالة الأيتا فصل ١٢ من ١١٥٣ أ ١٣ .

(ب) : ما بعد الطبيعة : :

١ - مقالة الجمال فصل ٥ من ١٠٠٩ ب ١

٢ - ١ ٥ ١ من ١٠١٠ ب ١

٣ - ١ للو ٣ من ١٠٧٨ أ ٣١

(ج) : بوليتيكوس ، نشرة ١٠ - ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

والمواقع في الأخلاق أن نيقوماخوس ، موجودة في الترجمة العربية
التي لا تزال مضمونة في مخطوط القرويين بغاس .

والموضحان الأول والثاني في « ما بعد الطبيعة » موجودان في الترجمة العربية الواردة ضمن تفسير ابن رشد (ج ١ ص ٤١٢ : ج ١ ص ٤٣٠ - ٤٤٠) . أما الموضع الثالث وهو الوارد في مقالة المؤلف فلا يوجد في تلك الترجمة لوقوعها عند مقالة اللام .

أما تعليقات « برونو بيكوس » فلم تُرجم إلى العربية .
فإن صحَّ أن هذه المواضع تروي حقاً آراء المدرسة القورينائية لم يكن العرب قد عرفوا هذا القدر من الأقوال عن الفلاسفة القورينائية، دون أن يعلموا إنها تعبر عن آراء هذه المدرسة ، هذا أن صحَّ حقاً أنها خطأ ، وهو أمر لا يراك بمعزل عن التأييد اليقيني .

أما المواضع التي وردت في محاورات الفلاسفة ، ويرجح أنها تتعلق بالفلاسفة القورينائية ، فلم تُرجم كلها إلى العربية ، فيما نعرف من مصادرها (ابن التميمي ، القفطي ، السجستاني ، ابن أبي أصيبعة ، البشير بن فائق ، الخ) ، وعلى كل حال فلم يصلنا شيء منها في ترجمة عربية . وهذه المواضع توجد في محاورات الفلاسفة الثانية :

- ١ - « تراجيلوس » (٢٨٥ =) .
- ٢ - « جورجياس » : (ص ٤٩١ هـ : ٤٩٤ هـ : ج ٤٩٤ هـ) .
- ٣ - « حيباس الأكبر » : (٢٨٧ هـ : ٢٩٧ هـ) .
- ٤ - « فيلون » : (٥٩ = : ٦٨ هـ) .
- ٥ - « بلابروس » : (ص ١١ ب ، ١٢ ب : ١٣ ب : ٢٧ هـ : ٣١ د : ٣٢ هـ : ٤٢ ج : ٤٤ هـ : ٥٣ = : ٥٤ = : ٦٠ أ : ٦٥ هـ : ٦٦ د : ٦٧ أ) .
- ٦ - « برونافورس » : (ص ٢٥١ ب : ٢٥٣ هـ : ٢٥٦ أ : ٢٥٨ أ) .

٧ - : السبابة : الترجمة خطأ بعنوان الجمهورية (: من ٣٥٧ م
ب : ٥١٥ ب : ٥١٦ ج : ٥١٣ د : ٦٠٥ هـ) .

٨ - : المصطفي : (من ٢٤٥ هـ) .

٩ - : ثالثيوس : (من ١٥٢ هـ : ١٥٦ أ : ١٨١ ب) .

ولم نل في المصادر العربية ما يدل على ترجمة الحوادث الفلاطونية
إلا فيما يتعلق بأربع منها هي :

(أ) : القويس : ترجمة حنين بن اسحق ويحيى بن عدي .

(ب) : المصطفي ، ترجمة اسحق مع شرح القيدروس .

(ج) : طيارس : ترجمة ابن بطريق ، ثم حنين بن اسحق
الذي أصلح ما ترجمه ابن بطريق أو قام بترجمة جديدة . كما أن يحيى
بن عدي صحح إحدى الترجمتين .

(د) : السبابة : كما يدل على ذلك عنوان ابن رشد على التفسير .

وعلى هذا فقد نقل ابن العربي على الأقل هذه المواضع المختلفة
بالقورينائية في حدوثات افلاطون التالية : « السبابة » : ر : المصطفي .
لكن الأمر بالنسبة إلى هذه المواضع يشبه نفس ما حدث بالنسبة إلى
المواضع في كتب أرسطو : أي أنه لم ترد فيها المارة صريحة إلى اسم
أرسطيفانوس أو المدرسة القورينائية . وهكذا عرفت العرب هذه المواضع
دون أن يعرفوا أنها إنما تشير إلى أرسطيفانوس أو المذهب القورينائي .

ولم يدل ذلك نجد ابن رشد قد فسر المواضع الواردة في « د » بعد
الطبعة « لأرسطو » وهذا أنهم في بيان المذهب القورينائي وأرد تأييده
ولم كان لم يبقه أن هوية الذين يهاجمهم أرسطو في هذه المواضع . وهي

كل حال فقد اتهم ابن رشد بهذا القدر فيما يتعلق بالتقريبية ، ولهذا
لوردنا في الشرح اذائع للتوضيح تفسير ابن رشد لهذه المراجع .

• • •

وبغلاف ان هذه التصريحات والاحبار قليل جداً من الحكم والآداب
نسبت اليه في « صور الحكمة »^١ لمسلماني : وفي « مختار الحكم
ومحسن الكلم »^٢ للبشر بن فائق الآمري . لكن المهم في هذا كله
انه لا يوجد في هذه الاحبار ولا في علم الآداب اية إشارة الى مذهب
اللغة الذي وضعه ارسطو بفروس والدرسة التقريبية .

ولعل هنا يضر لنا خيار التصريح الحقيقة بنظرية اللغة لدى الفلاسفة
المسلمين من اسم ارسطو بفروس والمجموعة التقريبية . اذ لم يذكره محمد
بن زكريا الرازي في مقاله « في اللغة »^٣ ، ولا ابن مهنا في السط
الجامع من « الاشارات والتبديدات » ، وهو الذي استشهد بدراسة معنى
اللغة : « ولا الرازي والفطوس شرحاً لهذا الكتاب : ولا مسكويه في
« تهذيب الاخلاق » حين بحث في اللغة (من ١٠٠ - من ١١٢ :
نشرة زريق : بيروت سنة ١٩٦٦) ، وانما كانت هذه المجموعات كلها
مراجعة الى كتبه ارسطو عن اللغة في « الاصلاني الى تقويم الفروس »
(لقائمة السابعة : الفصول ١١ - ١٤ ، والقائمة العاشرة : الفصول

١ أبو طهريك محمد بن طاهر بن مرام السجزي « محسن صور الحكمة » ، فيخطوط مطبع آغا
برقم ١٨٥ ، ورواها بلا رقم ١٠٠٠ ، فيخطوط مطبع ١٠٠٠ .
٢ البشر بن فائق : « مختار الحكم ومحسن الكلم » ، فيخطوط مطبع آغا ، فيخطوط مطبع ١٠٠٠ .
٣ ورواها بلا رقم ١٠٠٠ ، فيخطوط مطبع آغا ، فيخطوط مطبع ١٠٠٠ .

١ - ٢ : ولم يرد فيها إشارة صريحة إلى اسم أرسطيفورس ، كما ذكرناه من قبل .

والخلاصة :

١ - ان العرب عرفوا اسم أرسطيفورس ، وأنه من كورنث ، وأن يقولوا بملعب حسن في المعلقة .

٢ - وعرفوا تسمية أرسطار والأطرون فتعلق بملعب أرسطيفورس ، دون أن يعرفوا أنها تتعلق به : فكانت لهم عرفوا قلعة أرسطيفورس والقورنثيين دون أن يدركوا أنها حلوان .

٣ - ولم يعرفوا أنه له صاحب ملعب في القلعة ، ولهذا لم يسموا إليه في بحاشي في القلعة على كثرتها وتفصيلاتها : بل ارتبطت أبحاثهم في القلعة بملعب أرسطار ، وربما بما كتبه الفلاحون .

٤ - ونسوا إليه قولاً حكيمياً عاماً ونحوه : وكلها متحركة ولا تكشف عن ملعب .

٥ - وأدركوا أن قلعة القلعة بولاية نسبت إلى قورنث دون أن يحدوها آراءهم .

٦ - وأن القلعة قد نسب إلى كورنثيين في القروية مما ، الجبر ، ويعرف بالملعب ، ، ثم كتب : قصة الأعداء : وهذا خطأ ولم عليه لنفسه وهو يقل عن ابن النديم : فخطأ بين ما بأرسطيفورس وما لأرسطار ، وهو خطأ ناشئ عن سوء فهم مادة القلعة : بأن أرسطار ما أرسطار أو أرسطار في القلعة ، أرسطار بأرسطيفورس .

الانصوص العربية المتعلقة بأرسطيفورس والطرسية القورينائية

١

فرق الفلسفة

انظمي : : اخبار الحياه بخبار اسكوا : ، نشره بيروت : ، في تمسح سنة ١٩٠٣
من ٢٥ من ٢ - من ٢٦

: وذكر حينئذ بن لحيث الترجمان وأبو نصر محمد بن محمد القارابي
انصقي وغيرهما من الحياه بالفلسفة أن فلاسفة اليونانيين صبح فرق :
شجيت بالحياه لثمنت ، ما من سبعة الحياه : احلها من اسم ارجل انظم
الفلسفة : والثاني من اسم الحياه الذي كان فيه مبدأ ذلك العلم ، والثالث
من اسم الموضوع الذي كان يحل فيه : والرابع من التدبير الذي كان
يتدبر به : والخامس من الآراء التي كان يراها في علم الفلسفة ، والسادس
من الآراء التي كان يراها في الموضوع الذي كان يتخصص فيه في تعلم
الفلسفة : والسبع من الأعمال التي كانت تظهر عليه في تعلم الفلسفة :

أما الفرق السبعة من اسم الحياه الذي كان فيه الفيلسوف : فثلاثة
أرسطيفورس من أهل قورينا : وأما الفرق السبعة من اسم الموضوع الذي
كان يعلم فيه الفلاسفة فثلاثة كورنيس وهم أصحاب انظسة : شجوا
بذلك لأن تعلمهم كان في رواق مدينة لبيدة . - وأما الفرق السبعة من
تدبير الحياه واختلافهم فثلاثة فيوجانس : وهرطون بالكلاسية :
وشجوا بذلك لأنهم كانوا يرون اصراج القرائن انظر منه في المدن هل
قراين ومدينة القارنم وبعض غيرهم من - أثر اناس : وشر يوجد هذا
العلم في الكلاسيك . - وأما الفرق السبعة من الآراء التي كان يراها

الفرق السبع التي ذكرناهم في ترجمة افلاطون . وكان أصحابه يعرفون
بالفوريثيين : نسبة الى اولاد ، وُجِدَتْ فلسفتهم في آخر ازمان لما
تخشت فلسفة المشايخ .

وله من الكتب المصنفة : كتاب الجبر ، يعرف بالحدود ، نقل هذا
الكتاب وأصله ابو الولاد محمد بن محمد الحاسب . وله أيضاً شرحه
وعنه البراهين المتنامية . وكتب : قصة الأعداد .

• • •

ونسخ من هذا النص أن القسطنطين بن ارمطافورس وبين ابرخس
الرفعي ، ومردت هذا الخط الى النسبة : الرفعي ، فقد جعله يعتقد أنه
هو ابرخس الرفعي نسب اليه ما لا يبرخس الرفعي من الكتب ، ومن ثم نقل ما
كتبه ابن كثير في : الفهرست ، (ج ١ ص ٢٦٩ نشرة دارجل) :
ص ٣٩٦ طبع مصر ، عن ابرخس لولي : ونصه :

• ابرخس الرفعي . وله من الكتب : كتاب صناعة الجبر ، ويعرف
بالحدود . نقل هذا الكتاب ، واصلح ابو الوفا محمد الحاسب هذا
الكتاب ، وله أيضاً شرحه وعنه البراهين المتنامية . كتاب قصة
الأعداد .

وهذا يعني هو النص الذي نقصد بحروفه القسطنطين في ترجمته
لأرمطافورس .

هذا وقد ذكر : الفهرست ، (ص ٣٩١ طبع مصر سنة ١٣٤٨ هـ)
في ترجمته لأبي الولاد محمد بن محمد بن يحيى بن ابراهيم بن ابراهيم ،
المولود في بوزجند من بلاد نيسابور سنة ٣٢٨ هـ . وقد عسى العرفي
سنة ٣٤٨ هـ . نقول إنه ذكر له من بين كتبه : • كتاب تفسير كتاب
ابرخس في الجبر . وهذا يؤيد ما قلناه من أن كتاب : الجبر ، هذا

الزرد في ترجمة أرسطيفس هو لأبرخس ، لأن ما قسره أبو الوفاء
محمد بن محمد صاحب دو كتيب الجبر لأبرخس .

ولكن من هو أبرخس هذا ؟

إن أبرخس Pappus المعروف ، هو من بقية في مقاطعة بيلونيا
Nicomachus in Bithynia في شرق بحر مرمرة ، ولقد ولد سنة ١٤٩ -
١٢٧ ق. م. ، ورصد أرسطاً في بيلونيا ، ثم في رودس من سنة ١١٦
إلى ١٢٧ ق. م. ، وفي الإسكندرية من ١٦١ إلى ١١٦ على حسب
بعض الأولاد . وقد ضاعت كتبه فيما عدا شرحه على : طومار
ابدوكس الكتيبي وعلى تصديقه في الحساب : ولا يهم له مؤلف في
الجبر أو في قصة الأعداد . وهذا يترح البعض أن يكون قد دخل في
مادة أبرخس ما هو خاص بليونطس بعده .

٢٣

الحفظة أرسطوطاليس

الترجمة العربية الحديثة من ١٦٠ من نشر لنا : القاهرة سنة ١٩٤٩ - من ١٢٩٨
ب من نظرة بكر

(عواطف الصالح)

١١ - ثم من قبل انكم لي ذلك الأمر بعينه أو فيما يشبهه أو في
ضله ، ولا سيما إن كان مما يحكم به الكل وكان ذلك دائراً ، فإن
يكن كذلك ، فما حكم به الكثير أو الحكيم : إما قتلهم ، وإما
أكثرهم : وإما تحويلهم : ذلك فيما يحكمون به أو الذين يطلقون اسم
لا يحكمون بالتصديقات ... كما قال أرسطيفس اللامع حيث كان

قد بالغ فيها بطامه أو يستغفره : « لكن صاحبة (يقصد سقراط)
قال أولاً لم يقل فيه شيئاً من هذا النوع » .

ما بعد الطبيعة لأرسطو هاليس

بتصوير ابن رشد

(أ)

« ثم قال (أي أرسطو) : « ولذلك لا يكون في العلوم الطبيعية
ايضاح شيء من الأشياء بهذه العلة » ولا يكون بها برهان الحق » .

يريد : « ولتكون هذه العلة لا توجد في العالم ليس يلقي فيها إعطاء
سبب شيء من الأشياء المنسوبة في ذلك العلم » من أجل السبب الثاني ،
ولا يأتي فيها برهان يكون هذه الأوساط هذا السبب . وقد قال في
المقالة التي يتكلم فيها في مبادئ العلوم أنه قد يوجد لسبب الخلق فيها ،
وهو النظام الذي يكون في الأعداد والأصنام ، والترتيب ، وفيه موضع
فحص » .

ثم قال (أي أرسطو) : « ولذلك كان الأسس من المارسطائين
يرفضون هذه العلة مثل ما فعل أرسطافورس » .

يريد : « أنهم كانوا يحددون وجودها في جميع العلوم : من
بشر أنهم لم ينفقوها في إحدى العلوم وهي الفعاليات » .

(ح) ص ١٨٤ ، نظرية بويج ، بيروت سنة ١٩٣٨ ، نفس أرسطو هو

١٢ ٨٩٦ B

(ب)

قال أرسطو :

وكذلك يرى بعض الناس حقيقة المعرفة في الأشياء الظاهرة من
الحسوسات . وليس يمكن أن يقتضى على الحق بالكثرة ولا بالقلة ،
فإن الشيء الواحد قد يحده بعض الناس بالكوني حلوياً ، ويحدد بعضهم
مراً ، ويظن أنه كذلك . فلو كان جميع الناس مرضى ، أو كانوا
تغيرت عقولهم ، وكان الأصحاء منهم الاثنين أو الثلاثة ، أو الذين لهم
عقول اثنين أو ثلاثة ، لظن هؤلاء أنهم مرضى وأنهم قد تغيرت عقولهم
وأن الباقين ليسوا كذلك . وأيضاً إن كثيراً من الحيوانات تظهر حم الأشياء
يضد ما هي فيه ، ولذا تظهر كذلك : ولكل واحد في ذاته تظهر
أشياء في حواسه على تضاد معي بخلاف ما يظن وليس على ما هي فيه .
وليس بينهم أي منه حق أو باطل ، لأن هذه ليس تؤدي إلى تضاد
أكثر مما تؤدي إليه تلك ، بل هي متشابهة لها تؤدي .

(جـ ص ١١٢ : نفس أرسطو هو ١٠١١ ب١٠١١ Gamma 1029) .

(ج)

قال أرسطو :

ولما قولهم في الحق ليس كان ما يظهر بحق أولاً أن الكلب ليس
بإنسان بالحق : بل لفظاً ليس بالحق ليس هي بالحق شيئاً واحداً . ويرى
هذا فيمكن أن نتعجب من يتعجب في هذه الأشياء ويسأل : هل الأعظام
والأشياء هي على الحال التي تظهر من بعيد ، أو على الحال التي تظهر
من قريب ؟ وهل هي على ما يراه الأصحاء ، أو المرقى ؟ وهل هي

في الثقل على ما هي عند الضعفاء ، أو على ما هي عليه عند الأقوياء ؟
وهل هي في تصديق والكذب على ما هي عليه عند الناصحين ، أو عند
الساخرين ؟ - وهو يبين أن هذا ليس ما يمكن ، فإنه لا يقدر أحد
أن يظن : ' حينئذ هذا (... ... قصص من الرواية ...) ' مثل
اللاطون : كذلك ، وليس ولي الطبيب لظاهر في حقيقة الأمر شيئاً
يرأى الجاهل في الذي سيشفى من المرض والذي لا يشفى .

التفسير

قوله : ' وأما ما يظهر في الحس فليس كل ما يظهر بحق ' -
يريد : ' وأما قولهم إن كل ما يظهر ليس بحق فهو قول باطل ' .
ثم قال : ' أولاً فإن الكذب ليس خاصاً بالحس ' : بل لفتكاسيا
التي ليست هي والحس شيئاً واحداً : - يريد : وهذا يعطل من وجوده
أما ثانياً فإن الكذب ليس خاصاً بالحس وإنما يقع له الكذب بالعرضة
والذي الكذب به الخاص هو الخيال ، لأن هذا هو لقائل أن يقول فيه :
إن ما يكون منه ليس بحق ، وإنما لال هذا لأن هذه القوة تتدخل
أشياء يتطاع على امتناع وجوده .

ثم قال : ' فيحق أن نحجب عن بنحير في هذه الأشياء ويسأل :
هل الأحفام والأشواك .. إلى قوله : عند الساخرين : - يريد : ' ولما
كنت ما هنا أحوال يظن أن الحس فيها صادق : وأحوال يظن أن
الحس فيها كاذب كالأمر من الأشياء التي تظهر لمبصر عند الغرب والبعيد ،

والتفسير في اليوناني هو ما ترجمته : (فإنه لا بد من أن يظن) أنه لا بد في أقوال
يوناني في ليبيا ، شروحه إلى الإرمينية ، وكذلك غير يظن بالمصدق ، كما يقول أيضاً اللطون .

والتي تظهر للحس عند المسحة والمرض ، والقوة والضعف ، وأكثر من ذلك التي تظهر في النوم واليقظة ، فينبغي ان نتعجب من يشك فيقول : هل الحس هو ما يظهر من مقادير الاجسام كبراً عند القرب وصغيراً عند البعد ؟ وكذلك من يسأل : هل ما يظهر من الألوان عند القرب هو الصافي : او ما يظهر منها عند البعد ؟ او يسأل : هل الطعوم الحقيقية هي التي يدركها الاصحاء ، او التي يدركها المرضى ؟ ومن الغش الحقيقي هو ما يدركه من الغيوب من الناس : او الذي يدركه من الضعفاء ؟ وأكثر من ذلك أن يشك : هل الحس هو الذي يراه الكتم : او الذي يراه البصائر ؟ فان الشيء قد يرى في النوم على خلافه في اليقظة .

وأقول : وهو بين ان هذا ليس كما يمكن : فانه لا يقدر احد ان يظن حيث هذا ... وانحرم القول .

ومعنى ما قصده هو ان هذا معرفة أول غرق بها بين ما يكلم به الحس ، وبين ما يصدق ، وذلك انه لا تعتقد ان ما يراه من الاشياء على ما هو بالحقيقة مثل ما يراه من قريب : ولا ما يحس من الطعوم ونحن مرضى بالحقيقة مثل ما نحس منها ونحن اصحاء : ولا ما نحس من الخلق ونحن ضعفاء مثل ما نحس ونحن اقوياء ، وأكثر من ذلك ان نسوي بين ما نأدركه من الاشياء في اليقظة وما نأدركه في النوم يريد : ان كمن شك في الفاعل بين المحسوس الذي يعرف انه كاذب ، والمحسوس الذي يعرف انه صادق كصالح نبي شك في هذه الاشياء ، اي : هل نحن الآن غاشيون او ساهيون ، او مجنونون او معاندين ؟ وكذلك لا شك احد في ان حقيقة الحواس للاجسام والألوان هو ما يظهر من قريب : لا ما يظهر منها من بعيد ، وان ما يظهر للاجسام من الحواس هو الحس الذي يرى بغير الحواس ، ولذلك يدعون الى

ملاجه . ولو كان كل ما يظهر حفاً ، كما يقول اناسٌ أيضاً ، لم يكن فرق بين قول النبي في غيبة الجاهل والذي في غيبة العلم مثل الألمان ، فكان كما قال رأي الطبيب الماهر في حقيقة الأمر شيئاً يراي الجاهل في المرضى الذين يشغون والذين لا يشغون ، وفيها بشقيهم ولا بشقيهم . وهذا كله محال .

قال ابن سبط :

وأيضاً نقول هذا في الخواص بحيثاً أنه لا يشابه في الحقيقة الحس الحاس شيء والذي هو لغيره ، ولا يشبه الحس لتقريب من الشيء الذي هو له متميزة المعنى الذي لغيره : فان حس البصر للألوان لا للعلوم ، وحس السمع للعلوم لا للألوان ، وكل واحد منها يحس شيئاً واحداً في زمان واحد . ولا يوجب ابداً حس من الخواص أن الشيء في حالة وعلى ضد تلك الحالة مدأً ولا في زمان آخر ابداً . وأما المشاهدة في الأمم فتقول كما يظهر أن الغير من الشيء بعينه مثل الشراب في طعمه ، ويظهر أن الغير من قبل الخلف مزاج جسد الناس : فيظن في الشراب أنه في ذات : حلو ، وفي وقت ليس بخار . وليس المشاهدة في الحلو نفسه أن كان حلواً ، ولا متى تغير ، بل إن كان يصدق القول فيه وكان باضطراباً حلواً الذي سيكون في هذه الحال . وإن كانت هذه الأقويل كلها تنفي في هذه الحال جميع الأشياء ، وكذلك تنفي إلا يكون جوهر أيضاً شيء من الأشياء : ولا يكون شيء باضطراب البقاء لأن ما كان باضطراباً لا يمكن أن يكون على نوع آخر ، فإن كان شيئاً باضطراباً فلا يمكن أن يكون على هذه الحال وهي خلافها . ويخرج آخر أن كان المحسوس من المضاف ، لأن المحسوس وحده ليس هو لشيء . إذا لم يكن المتضمنة لأنه لا يكون محسوساً ، وهو من بنوع ما

لا تكون الاشياء المجموعة أيضاً ، لأنها آلام الشيء الذي يحسها : ولا يمكن الا تكون الموضوعة الفاعلة بحس ان لم تكن الحواس : لان الحس بعينه ليس هو قابلاً لما من شيء ، فهو غير احس ، وهو قبل الحس باضطرار : فان الحرك هو ليل الحرك ، والطبيعة : وان كانت هذه الاشياء تتل بتوابع الامة فيس شيء ، منها موجوداً دون شيء .

المسور

انه يصدق في هذا القول ان يخل لهم الشبهة التي عرضت فم من قبل الحواس . فتوله : وايضاً نقول هنا في الحواس بعينها انه لا يتطابق في الحقيقة الحس الخاص شيء ، والذي لم يرد : - يريد : وايضاً نقول لذين يشكون في الحواس ويجهلون كل ما يظفر منها حتى لو ان في الصدق انه لا يشبه حكم الحس الواحد على المحسوس الخاص الذي له حكمه على المحسوس الذي يغيره ، وهو المشترك ، في صدقه في المحسوس الخاص به اكثر من صدقه في المحسوس المشترك له ولغيره .

ثم قل : ، ولا يقيه احس القرب من الشيء ، الذي هو له البعد الذي يغيره . يريد : واكثر من ذلك لا يلوئ اشراك احس لخصومه الخاص به اذا كان بالقرب يدراكه لمشارك اذا كان عن بعد . وانما قال هذا لان الغلط انما يعرض في المشترك ، وخاصة اذا كان عن بعد .

ثم نط بذكر المحسوسات العامة بحس حس ، فقال : : لان احس البصر لا يلوئ لا للطعم ، وحس الذوق للطعم لا لا لوان ، - يريد : وحس البصر الخاص به الذي يصدق فيه ابدأ هو اللون ، لا اعلم : وحس الذوق الذي يصدق فيه ابدأ هو الطعم لا اللون ، وكذلك الصوت للسمع : والشم للشم ، واللمس للمس .

ثم قال : : وكل واحد منها يحس شيئاً واحداً في زمان واحد . -
يريد : وكل واحد من الحواس الخمس يحس بمحسوس واحد يدركه
في زمان واحد ، أي دفعة .

ثم قال : : ولا يوجب ابتداء حس من الحواس أن الشيء ، في حالة
وعلى ضد تلك الحالة معاً ولا في زمان آخر أيضاً ، - يريد : ولا نجد
في وقت من الأوقات حساً من الحواس يحكم على مجموع الحواس به
بأحوال مختلفة في وقت واحد ولا في وقتين مختلفين .

وما أن قد يعرض في هذا القول شك من قول ما يظهر في حس الملوقة
في وقت نارض ووقت الصحة : ذكر خطأ فقال : : وأما المشاهدة
في الأكم فتقول أنه بطل أن تغير من الشيء بعينه مثل الشراب في
طعمه : وبطل أن تغير من قبل اختلاف مزاج جسد الدائق : ويريد :
وأن الشك الذي يعرض في الأكم الذي هو الدقيق مثل أن يقول قائل إن
الشراب الواحد بعينه قد يجده الانسان الواحد في وقت ما : حلواً ،
وفي وقت آخر : مرأ ، طعمنا قد يشك فيه : لأنه يحتمل أن يكون
ذلك من قبل تغير الملوقة في نفسه ، ويحتمل أن يكون من قبل مزاج
الدائق - فلا سبيل لنا إلى القطع على أن هذا الشيء حلواً في طعمه ،
لا في وقت دون وقت ، ولا أن هذا مرأ في طعمه .

ولا ذكر لك ذلك أنه بالجواب عنه قال : : وليس المشاهدة في
الحلو نفسه إذا كان حلواً ولا متى تغير ، بل أن كان يصنعه القول
فيه كان واضطراب حاراً الذي سيكون على طعم الحار ، - يريد :
وليس هذا اشك مما ينبغي أن يكون لاضطراب طبعاً ، لأنه إن وجد مرأ
من قبل تغيره أبين أن جميع الحلو قد تنقل وأنه له طبع مخصوص ولا
يوجد لغيره ، وأنه سيكون حلواً إذا عاد إليه ذلك الطبع . وأما إن كان
من قبل تغير المزاج الدائق فهو أبين ، أعني أن لاضطراب طبعاً مخصوصاً .

وليست هذه المشاجرة هي المشاجرة التي كنا بسبيلها : وإنما هذه المشاجرة : هي كون الحلو حاد برأ من قبل تغيره في نفسه ، أو من قبل تغير مزاج الفاعل ؟ وهو الذي دللنا عليه بقوة : فلو كانت المشاجرة في الحق نفسه إذا كان حلوياً ولا معنى لتغيره : - يريد : وليست المشاجرة في الحق هذا الفصل إلى المراقبة : هل ذلك من قبل تغيره في نفسه ، أو تغير مزاج الفاعل . وإن كان من قبل تغيره في نفسه فليغير : لأنه باضطراب يجب أن يكون حلوياً ما كانت طبيعته هذه الطبيعة قبل أن يتغير ، وهو الذي دللنا عليه بقوة : - بل إن كان يصدق القول فيه كان باضطراب حلوياً الذي سيكون على هذه الحال : - يريد : بل إن كان يصدق القول فيه أنه حلو في وقت ما : كان باضطراب حلوياً كل ما كان على هذه الحال أو سيكون .

ثم قال : - وإن كانت هذه الأقوال كلها تنفي عن هذه الحال جميع الأشياء : كذلك تنفي أن يكون جوهر أيضاً شيئاً من الأشياء ، ولا يكون شيء باضطراب البقاء . يريد : وهذه الأقوال كلها تنفي جميع الموجودات ، كذلك تنفي أن يكون شيء من الأشياء جوهر . ونفي أن يكون ما هنا شيء ضروري أصلاً .

ثم قال : - لأن ما كان باضطراب لا يمكن أن يكون على نوع كثر . - يريد : لأن هذه الأقوال توجب أن يكون كل شيء بنوع آخر غير النوع الذي هو فيه ، وباضطراب لا يمكن أن يكون بنوع غير النوع الذي هو عليه .

ثم قال : - لأن تلك كل شيء باضطراب فلا يمكن أن يكون على هذه الحال وعلى غيرها . - يريد : وذلك أنه إن كان على هذا شيء باضطراب فليس يمكن أن يكون على النوع الذي هو عليه وعلى نوع آخر .

ثم قال : « وإن كان المحسوس من المضاف فإن المحسوس وحده ليس هو شيء ، إذا لم يكن المتضاف له لا يكون محسوساً » - يريد : وذلك لأن المحسوس من المضاف ، أي ليس له طبيعة في نفسه إلا طبيعة الانضمام ، فإنه يلزم أن تكون المحسوسات ليس لها وجود إذا لم تكن الحركات الحسية موجودة : لأن المحسوس ليس مضافاً لشيء آخر غير الحس ، وإذا لم تكن الحواس لم يكن محسوس أصلاً .

وقوله : « وهو حق » يتوخى ما لا يكون الأشياء المحسوسة أيضاً لأنها آلام الأشياء التي تحسها أيضاً : - يريد : وهذا يلزم حتى أيضاً بجهة أخرى : أي إذا فرضنا المحسوسات من المضاف ، لأنه يلزم أن يكون المحسوس هو الحس ، والحس لم في الحواس : أي عرضي ، فيجب ألا يوجد المحسوس أن لم يوجد الحواس ، إذ لا يمكن وجود العرض دون موضوعه .

ثم قال : « ولا يمكن ألا تكون الموضوعات المعقدة للحس إن لم تكن الحواس » - يريد : ويلزم هذا القول ألا تكون المحسوسات موجودة إن لم توجد الحواس .

ثم أتى بعبارة ذلك فقال : « لأن الحس بحيث ليس هو قبلاً » - بل شيء آخر غير الحس » - يريد : لأن الحس ليس يكون للحواس من شيء آخر غير الحواس .

وقوله : « وهو قبل الحس باضطرار » - يريد : بل الحس شيء آخر هو قبل الحس باضطرار ، أي معلوم حسب بالطبع .

ثم أتى بعبارة ذلك فقال : « فإن التحرك هو ليس التحرك بالطبيعة » - يريد : والمعاقبة في ذلك أن المحسوسات هي الحركات الحواس : والتحرك معلوم بالخلق حل للتحرك .

ثم قال : « وان كانت هذه الاشياء تتخلل بذر الخ انشاء فليس شيء
منها مبرجواً دون شيء : - يريد : ولو كانت الخواص والمحدومات
من الصفات لا وجدت المحدومات دون الخواص ، كما لا توجد الخواص
دون المحدومات .

(تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد ، جزء ١ من ٤٣٠ - ٤٤٠ :
نص مطبوع ١٠٦١ و ١٠٦٢ - Cuneo 1010 b ١-1011)

ایچ احمد زروق ذہین مضبوط

للأستاذ عبد الله كورن
مفتي - المغرب

لحمه ونسبه :

هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرقي الفاسي
عرف بزروق ، أحد كبار الفقهاء والصوفية المشهورين في العالم الإسلامي.
نسبه في صدار قبيلة البرانس المغربية ، وهو بفتح الباء وسكون الراء
وخم القون ؛ وأما لقبه زروق فهو بفتح الزاي وراء مشدودة مضمومة ؛
ذلك ليه الله رحم نفسه على ما نقل من كتابته : [نما جاءني من جهة
الجد ؛ كان زروق العين والنصب من الله ، قد وكنت شريفة الكني
لم الحفل لبرها بلوت أبي وشرف المرء إنما هو سلامة دينه وخليله وبروالة
ولا شرف أكبر من شرفي الله (أن أكرمكم عند الله التحكم) ...

ولادته ونشأته :

ولد زروق يوم الخميس ١٨ محرم ٨٤٦ هـ عند طلوع الشمس وتوفي
 أنه يوم السبت بعده ، وأبوه يوم الثلاثاء الموالي ، قبل ، وكان والده
 مهدياً محمداً قبل توفي قبل سبعة من أحمد باسم والده .

وكانت جدته الغنية الصالحة أم البنين هي التي كلفتته بتربية
 والديه ورثت تربية حسنة فحفظ القرآن وهو ابن عشر سنين ، ثم تعلم
 صناعة الخرز على العادة في أثناء الفطراء فانهم يحضنون على تعلم صناعة
 ما ليسعوا بها على كسب معيشتهم ، ويظن أن والده لم يخالف لدماء
 كما أنه لم يكن من أهل العلم ، وربما استفادنا مهارة من قول ابنه في
 طائفة نظم لقصود أبيه :

يقول راجي راحة الفقار لعبد نجل أحمد الخضار
 البرنسي الأصل لم الفاسي المشهور زروق بين الناس

هكذا لبث رصف الخضار في ضفة صحيفة جيدة عندنا من هذا
 النظم بنقط الماء والخياد وهو وصف يعلق على ما من أشهر فتكون تلك
 هي مهنته ، ولي نسخة أخرى ذكرت نسخة وجودة (الخضار) بنسخة
 المهينة وكذا نزلها مصحفة حتى أقامنا مديونة الدلائل السيد أحمد السار
 الشفيلوني التي ألام بقبيلة البرانس منذ طويلة ويعرفها جيداً أن الخضار
 بالتخفيف اسم وادي يجري بالقرب من قرية تليون بكستر أوله وثانيه
 وهي متويدة للزجج ومدفن والده في القبيلة المذكورة وعلمه فقد تكون
 النسخة الثانية هي الصحيحة والخضار بالتشديد صيغة لاسم الوادي المذكور
 وزاد الفقيه السار أن على قبر والده بناية أنيقة تشتمل على مسجد جامع
 ويمكن لسكنى الإنسان وتعرف بزاوية ميسني أحمد زروق ولا أولاد وأن

ضريح والده بعض بعظم واحترام من أهل القبة بما يدل على أنه كان من أهل الرأفة والصلاح .

ومع ذلك فمن نظر أن هذه الزاوية إنما بنيت بعد اختصار أسرار الشرحم وإن والده لو كان من أهل العلم لولدت الإشارة إلى ذلك في ترجمة ابنه .

طلبه العلم ومشيخته :

وعلى كل حال لما ترجعت لم يبق في حصة الدراسة بله أراد الله به خيراً حين أمسه لطلب العلم وهو في سن السادسة عشرة كما قال : ثم قضي الله بعد بلوغه سادس عشر إلى القراءة فترأت والرسالة على الشيخين عبي السفي وهدية المصالح قراءة بحث وتفتيح ، - وأقرآن حتى جاعة منهم القوري والمزعموني : وكان رجلاً صاحباً وناجماً والأستاذ الصغير بحرف نافع : واشتغلت بالتصوف والوحيد فأخذت الرسالة الناجية وعقائد القسومي عبي الشيخ عبد الرحمن المجدوبي وهو من تلاميذ الأبي بعض تصوير على القوري سمعت عليه البخاري كثيراً وتفقيت عليه في كل أحكام عبد الحق البخاري وجامع القسولي وصحبت جاعة من المزارعين لا تحصى كثرة بين نقيه وقبير .

هذه نشأة زروق الأولى وتربيته البشعة والحسية التي تشبه أن بعد ما تربية صديقه وقرينه ابن غازي ، فإن كلاً منهما نشأ في حضن امرأة صالحة عملت على توجيهه توجيهاً نافذاً ظهر أثره في سيرته المثابة وحياته العلمية النجدة ، ولقد كانت ولادة ابن غازي تكمن ولادة من الناحية الزروية فقط ، أما الناحية المادية فوالده كان كفيفاً بها : في حين أن جلة زروق كانت تكفل حفيظاً من الناحيتين الزروية والمادية معاً : لأن والده لم يترك له ثروة يعيش بها وتلك حلة حتى تعلم الحسنة بعد

حفظ القرآن الكريم ، ثم ما لبث ان عاد سيرة جده من طلب العلم
وانقذه في السنين . وكانت جده كما علمت قتيبة صالحة وبذلك تعلم ما
للمروءة الصالحة من الأثر القوي في اصلاح المجتمع وتقوم خلق البشر
حتى قيل : الأم هي المدرسة الأولى .

رحلته الى المشرق والهرب فيها :

ثم ان دولة الاصلام الذين ذكروهم المنوجم هم مشيخته الذين أخذ
عنهم بغلس في أول أمره وقد أخذ عن غيرهم بعد ذلك بها وبغيرها من
مدن المشرق والمغرب لأنه كان كثير التجول في البلاد الإسلامية وحج
وجاور بالندبة الشريفة وأهم عصر زمان الخلافة والاستفساد فأخذ عن
أهلها الكبار وأخذ عن كثير من يشار اليه من أهلها ، ومن حتى من
شيوخه بن مطرية وأخوذة ومصريين غير من ذكر : العلامة السراج
الصغير وأحمد بن سعيد الجليل وأبو مهدي عيسى الخوافي وحيد الرحمن
الغساني وإبراهيم النازي والمذائي وحاولو الرضاة والسقوي وابن زكري
السبائي والنسي وغير الذين السهري والمائظان البخاري والديلمي
وأبو العباس ابن عتبة المصري وشهاب الدين الألباني وغيره من مشايخ
الصوفية وأول هو عهده في طريق السلوك .

وله ذكر ابن عزي في سيرته ان المترجم استجوز له بعض الحافظين
السعدي والديلمي فأجازاه وحفظه سنة ٥٨٥ هـ .

ومن فعل ان رحلته كانت علمية والله كان على صلة بأصدقائه وزملائه
في المغرب أثناء إكاتبهم وبمكتب العلاقات الأدبية بينهم وبين عالم
المشرق : وقد شملت الإجازة التي طلبها لابن عزي من حافظي مصر
والكويت ، غير ابن عزي من مشايخه وأقرانه كآبي مهدي الخوافي
وآبي العباس البشري وغيرهم الصالحة محمد بن محمد بن عيسى بن حلال

المصوحى : طأنا تبقي من نشاط محلي أكثر من هذا ؟...

ولكن القوم الذين اصبتم بهم في عيانه وأنكسر عليهم كثيراً من
الأحجار التي لا يقرها المخرج أبوا إلا أن يصيروا رجلاه بصورة قائمة
ويخرجوه من المغرب في صفة طريد لا يقر له قرار إلى أن يتراجع عن
انكاره ويسلم قياده إلى رجل من أهل المنصرف في الغيب فيدخل في
جواره ويؤمن حينئذ على نفسه وذلك نص الحكاية على ما عند ابن صكر
في الدوحة قال :

« حدثني شيخنا أبو الحاج يوسف بن عيسى وغيره أن الشيخ
أبا العباس (يعني صاحب الترجمة) صاحب الشيخ أبا عبد الله محمد
الزيتوني ، وكان رجلاً أعشى ، وكان من رجال المنصرف فتدخل صاحب
الترجمة في غيبه وادعى فيها قسب لسيوف فكان من استجابه في ذلك أن
جاء : الرأى أنه فدى لباب عليه فسمع صوتاً يلاذن فتدخل امدار فلم يجد
أحدًا فصرخ إلى غرفة في أهل الدار فوجد الشيخ جالساً في وسط الغرفة
وهن يمينه امرأة متزينة وعن يساره أخرى وهو يلتفت إلى هذه ويقلبها
ويقبل عليها ويرجع إلى الأخرى كذلك فذك أبو العباس أن هذا الرجل
من الزنادقة وول واحدًا فناداه الشيخ الزيتوني : يا أحمد الكذاب ،
ارجع ، مرجع مسرعاً فلم يجد أحداً ، قسم أنه استجابه . فقال له الشيخ
الزيتوني : أما لي رأيت عن يميني لشيء لا أخشاه وأما لي عن يساري
فهي الدنيا ، وأنت كاذب في دعواك وكذلك لا تبقي في المغرب ساعة
واحدة ، فخرج الشيخ أبو العباس من حيزه وتوجه إلى المشرق مشفقاً
على نفسه لما اتفق له حتى انتهى إلى الديار المصرية فرجده أصحاب الشيخ
أحمد بن حنيفة الخضرى يظهرونه على ضفة النيل لأن شيخهم المذكور
أمرهم بذلك وأخبرهم بقصوده فلبسوا عليه ورجعوا به رجوعاً معهم ،
فما دخل على الشيخ ابن حنيفة وسلم عليه قال له : يا أحمد ، يا زنديق ،
ما جرائك على الأنبياء العباد ؟ ربي لما خلق عليك من هذا ، فجعله

أن بيت منه وأمره يزوم المذكور فيعد الالة أيام جمع الشيخ ابن عقبة
 رجة عطلة وهو مع السجدة ، فساح لا الله ، ورفع يده ثم قال :
 قروا بنا إلى صاحبكم فقاموا إليه فوجدوا البيت الذي كان فيه أبو العباس
 قد صار ذكاً فقال ابن عقبة : احضروا على صاحبكم فحضروا عليه إلى
 أن وجدوه في زكن البيت وقد طاحت الخشب فطبت حبه فرفع عنه
 الزوم وقد أخطأ الله منه : فما أبصره الشيخ ابن عقبة قال له : الخيل
 قد الذي يصعدك منه ، يا أحمد : هذه آخر خطبة الزينوني وقد غريبك
 غربة من أقصى المغرب فبلغها منك بيدي : وما هي مكسورة من
 غربة : وأخرجها من تحت مكسورة ، ثم لزمه إلى أن انفصل عنه
 فقال له : يا أرحمني يا سيدي ، فقال له منشداً :

مسلم الحمدي ومر حيث عارت
 وانبج رباح القضا ومر حيث عارت

والله حكى هذه القصة غير ابن عسكروا فيها بعضهم أنه لما خرج
 من عند شيخ الزينوني الذي حبه شدة اليهود فصار الناس يجهلونه ولا
 يرون طيلة إلا بهرداً حتى شاع أنه بعض أعداء عند الشيخ فخطب عنه بشرط
 أن يخرج من المغرب .

رد لقولاته :

ونحن لا نرى في هذه الحكاية إلا تطهراً من قدر زروق لوصف
 لركان التلجيل الذي كان يحلوه ، ومن ثم كانت نهايتها (سلم أسلم)
 ولا قال رجل رجل نطلب قسماً ولا نأخذ عن الشرح كما رجل ويرحل
 كثير غيره من علماء المغرب وطبقة واد استجاز الأئمة لفضله ولقبه

من مثاليته وأقرائه حتى ما سبقت الإشارة إليه : وقال ابن الجوزي رحمه الله :
 أناس يصبر مدة واشتغل فيها بالعربية والحصول حتى الجوعرى وقبره
 وأخذ الحديث عن البخاري ثم غلب عليه التصوف : فبأنه إلى التصوف
 متأخر من اشتغاله بالعلم حتى في عصر بعد رحلته ، ولو كان جاء إليها
 طريداً بالصفة التي ذكروها لما بقي له في الاشتغال بالعربية والحصول
 مؤرب ، ولا في استجادة مشايخ الحديث له والغيره من علماء المغرب
 مطلب ، وعلى كل حال قلنا لتزيد في هذه الحكاية فاعلم وهي أن
 كان لما أصل فهو ما يتوافق مع روح ذروق السنية من الإنكار على
 أهل البدع والاعتناء بالاطاعة وتحكيم الأصول لها يعرض من أصول أهل الطريق ،
 وليس ذروقاً وقس له مع شيخه أزيد في خلاف من هذا القيل لفتح
 خيال الشطر من حوله هذه الفصحة .

وان مما يزيدنا بعضنا أن ذروقاً لم يراجع قسط عن إنكاره على
 المتبعين ولم يزد ولا حجة في محاجة الباطل ، ولقد عاد من رحلته
 هذه إلى فلس فكان أوز ما يشأ به مشايخه من أهل العلم الإنكار عليهم
 فيما يتناولونه من أسباب العيش ، ولو كان خرج من فلس بسبب الإنكار
 تلك الخرجة المشكورة وأرسله شيخه الخضر في آخر ما لوصاه به ،
 بالتعليم لملي لكان حرياً أن يستكت وأن يفضي الصرف على القلي منها
 كان الأكر ، ولكن الأمر بالعكس فإن أرجح خرج ليمتلئ بالعلم والافتقار
 في الدين فلم ينكص على حقيقه في علم ولا على وجهه حكايته مع علمه
 فاس على ما عند ابن حنبل أيضاً وعنه رواها غيره قال : : حدثني
 النقيب القاضي أبو عبد الله الكراسي الأنصاري قال : : لما قدم الشيخ
 ذروق قانداً من بلاد الشرقية خرج لفتنائه إلى لقاءه قال : : كنت في
 جملة من خرج معهم للإسلامنا عليه وجامعت في خبرته مبار يسأل الفقهاء
 عن أسباب لغواتهم فقال بعضهم معظم لغوات من الأوقاف بالحجة حتى
 قبور الموتى : فقال الشيخ : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،

يعيشون من لحوم الموتي ؟ فأجبه فقفيه ابن الحبان بأن قال : يا سيدي
الحمد لله الذي جعل يقتلهم من لحوم الموتي وهي مسروقة عند الضرورة
لأن الشريعة ولم يجعلنا تقتص من لحوم الأحياء الممنوعة من كل وجه .
فصح الشيخ مغشياً عليه . فخرجنا عنه وتركناه ككلك .

فكنت تراء كيف سألهم عن أسباب حبسهم أهلياً بالأصل الأصيل
في ملة الدين وهو أكل الحلال وما أُجبروا بإخراجهم بالإفكار على ما
رضوا به من يعيش على الضعفات ثم ما أُجبروا وكان للجواب رجسه
من الشرع لم يترك أن أعلمته حال من الخطبة الهامة لنفسه على عادة
أهل الواحد من شققي الصوفية ، وشكنا يكون زروق في كلا حاله ؟
حال الإنكار وحال التسليم . نوافها للشرح عادلاً يتشقى العم الذي جملته
الله به .

غضب العلماء والأولياء :

ومن ثم أطلع عليه علاناً رحمهم الله . غضب العلماء والأولياء ،
وهي صفة جليلة ضلعة لم يطغرها غير من علماء الإسلام لا إيا قبله
ولا إيا بعده . وانما المحسوب القسم بالحسبة فذلك الوطائف الشرعي المعتر
للي يوم الحصد فيه وشمل كل الوطائف الشرعية حتى الخلافة العظمى
والنصراء : أليست مهمته هي الأمور بالمعروف والنهي عن المنكر ؟ يقول
علاناً رحمهم الله ان المحسوب إذا مر بباب أكبر أو القاضى ووجد
الناس مجتمعين حولك يتظفرون بخروجه ، لأن حبه أن يدخل اليه ويخرجه
لأنه إن تركهم يتظفرون من المنكر ويخروجه عنهم من المعروف ، فيد
المحسوب أفن بسوطة على كل ذي منصب شرعي كبير شأنه أو صغير
علم أو حق ، ولا يد أعظم منها بهذا الاعتبار إلا بعد زروق في
بسطها علاناً هي سفرة الصفوة من أهل الإسلام باطلاقيهم حبه .

العلم والاكولياء وذلك لما رأوه متبعاً لأهولهم وشماعهم وازناً لها بميزان
الشرع ليصبح منها ما صح ويصل ما بطل : ولما تحققوا من ربح
قدمه في النقد وجعلوا مقامه في التصوف من غير أن يخوف نفسه على
تصوفه ، فينكر المقامات والأحوال أو يطغى تصوفه على طقوسه فيعمل
الشعار والرموز .

رأي ابن عجيبة ومناقشته :

عل أن هذه التحلية لم ترق فيها يظهر بعض أئمة الصوفية ، فهذا
الشيخ أحمد بن عجيبة يقول في أول شرحه لفتوة المصنف الشافعي :
« وقد سبق لي شرحه الشيخ العلامة الصوفي أبو العباس ميدي أحمد
زروق رضي الله عنه ، أقصر فيه على حل ألفاظها وبيان ما يدعاه بعض
معانيها غير أنه لم يفتح لي تيار بحر أسرارها على خواص أسرارها ولا
فصل مخام أسرارها ولا دخل بعرائس ابتكارها ، وأمله شرحها قبل أن
يفتح عليه في أسرار الحقيقة ، قال شيخ صبرخا ميدي عبيد الله
وطني الله يقول ما فتح علي الشيخ زروق إلا في أسرار حمراء
حيث لم يؤلف شيئاً بعد الفتح والله أعلم ، وكنت شاعداً بأنك إذ الكلام
وصف الشك ومن تكلم حرف من ماعنه فهو في عموم الطريقة إمام ،
وأما في عموم الحقيقة وأسرار الأذواق فلم يش منها شيئاً لا في أسرار
عمراء كاد أن يخرج منها صغر الدين ، ولذلك كثر اختراجه على أهل
النسبة وظهر في كلامه التشديد والتضييق عليهم : ونفسه رأيه في نوم
كالبقرة نقلت له قد شددت على أهل النسبة في سقطة المريد ، قال : وما
قلت فيها أنقلت له قلت كنا ركنا وذكرنا لك بعض ما انتقد به عليهم
وما شدد . فيه فقال ذلك الذي يناسب مذهب مالك فقلت له الصوفي
الحقيقي لا يقلد بالكأ ولا لمجرد بل بأخذ الشريعة من أصلها والحقيقة من

معدنها يقال من بلغ هذا أو صاحب من بلغ هذا لا ينكلم معه، فقلت له
 والله لقد باغضه وصحبنا من بلغه فغضب عني : وكان بعض مشايخنا من
 الفقهاء يقول الشيخ زروق محض المروية. قلت انما يكون محض مروية
 أهل الظاهر أهل لعبادة الظاهرة والتشكك بالظاهر أما أهل المروية وهم
 الداخلون فلا حجة له عليهم انما لم يحطوا علما بما عندهم. ولقد سمعت شيخ
 مشايخ المروية في زمانه مولاي العربي المروقي انصلي ونبي الله عنه
 يقول الشيخ زروق عند أهل الظاهر شيء كبير وعند أهل الداخل شيء
 صغير :

لا يعرف الشوق الا من يكابد ولا العبادة الا من يعانيها

درجات الأولياء كصفقات الجنان الأعلى يعرف الأسفل دون العكس
 والله أعلم .

هذا كلام ابن عجيبة في زروق وزايد بخصوصي المذهب الذي أطلقه
 عليه العلماء : ونحن لا نخوض في الرد عليه ولا في إبطال ما ذهب إليه
 ونحط الكلمة لزروق فيه أولى بالتدليس عن نفسه . واليت ما قاله في
 هذا الصدد بكسر شرجه لحزب البحر في التجريد الرابع :

وقد أولع كثير من طغساء قوت علوم الأسرار ودقائق الأخلاق
 ورقائق كلام النجوم دون اعتناء بأحكام المعبودة وأخبار الربوبية فانصرفوا
 عن المراتب ، وقرأوا موجبات ازداد وحاصل لهم التعريف في حين ادعاء
 السداد ، ومنهم من أسرى فيه لهذا طهم الكلام فبطلت ذوقاً ودرعاً ادعاء
 حالاً لنفسه فكان طموحاً ، فعن الصادق أن يشغل بمسألة كماله من
 انشغال بالخلق مع الإعراض عن الأعراض ، قال ابن حنبل انما في الحكم
 (تشوقت انما ما بطن فيك من العيوب يخرج من تشوئك انما ما حجب
 حاك من العيوب) ، وقد قالوا: اذا تكلم المرء في مقام لم يباغض حاله حرم

مثله إذ صار فيه صاحب علم ثم لا يأنّ ضلاله به أو أن يثبت في بعض
ومؤرّد أن كان يأخذه من كلام الناس ، الخ .

حتى أن ابن عجيبة بكثرة ما يقل من كلام زروق في شرح التوبة
وضيعة ، يبرهن على أنه لا ينبغي له من الاختلاف من بحره : وإن ما
قله فيه إنما هو شطحة من شطحات اصدقية صدرت منه لما رأى شدة
انكار زروق على أهل الطريقة أو هو مدح لشرحه على مساجرت به
عادة المؤلفين من تنكيت المآخر على المتقدم كما أن مالك في الفيتة :

فائدة الفية ابن مسط

لجاء أسير ملي بعده فقال :

فائدة الفية ابن مالك

والواقع أنه لم يكن لكلام ابن عجيبة أثر في الأوساط العقلية بالنسبة
لأحلاف هذا المذهب حتى زروق ، فإزاله حلالاتهم الله ، وجلهم
أن لم يقل كتبهم عن لهم بجروح إلى التصوف وتعلق بسبب منه ، يحلونه
بذلك التحلية ويصفونه بذلك الصفة ، وإنما قلنا أن جلهم أو كلهم ممن
ينسب إلى التصوف لأن المعروف من أهل القرن العاشر فن بعده أنهم
مالوا بكتبهم إلى سلوك الطريق ، ومن لم يقل منهم أن ذلك بالغالب
والغالب فلا بد من أن يظهر ههنا قليل : مشاركة عن نفسه ما صار
للطريق من الصوة والجد وعظم الثريد . وهذا قل أن قام في العصور
المتأخرة نقلة حيواني من طراز زروق حتى أنجيل فجر النهضة الحديثة .
والمقصود أن هؤلاء العلماء التصوفيين هم الذين لقبوا زروقا بمحسب
العلماء الأولياء - فلا يندرج في ذلك من شدّ عنهم .

وله تورك ابن عجيبة على زروق في شرح التوبة مرة أخرى عند
نقله مساحة من سوانحه فقال : وإنما تصلح التبع على الشيخ زروق نقلة
صحيحة لشيخ المصربي فقد قال عن نفسه أنه صاحب أولاد مائة أشهر

أو نجرد ثم انفصل عنه ثم رجع لزيارته فيضي منه نحو ثمانية أشهر فكان
المجموع من صحبته خمسة عشر شهراً أو نحوها ، قال وانقضت بها
انقضاء لا يخفى له . قلت هذه المدة لا تبلغ المريد عن طبعه بالكلية ولا
تخرجه عن علمه وعقله لا سيما وقد كان متغافلاً في العلوم الغريبة
والغنية فلا يسلخه عنها إلا طول الصحبة بالصدق والتخلة والتجرد التام
كما هو مجرب في شأن أشاهة وقد كان شيخه يكاتبه بشيء من الخلق
لم يفتأ أبداً لا تؤخذ بمجرد العلم وإنما تؤخذ بالمرادية مع تفتي
الصدق والتصدق ، وأعلم أن كثيراً من العلماء أصبحوا المشايخ المزارعين
ولم يأتوا من حقائقهم شيئاً لأهم كانوا يصحبونهم على نظر نفوسهم لا
على نظر المشايخ فإذا أروهم بشيء أو أروهم حسن شيء وزووا بميزان
(طريقتهم) قد وافق نظرهم قبلوه وما خالفه ردوه فصاروا مع أنفسهم
ولم يفرقوا في بحر السرورهم والله أعلم .

انتهى كلام ابن عجيبة ، وبه تعامل كثير على ذروق وحمل علماء
لإسلام جملة وهو كلام لم يهتم بجملة والله أعلم بكون فيه ذلك عظيم
على قتله ، وبهذا منه الآن ما يتفق بذروق فقد زعم أنه تحصل عليه
الفتح آخذاً من السحرة التي أوردوها له وهي كما نأثروا في أعقاب زرجته
أنما تلك على اليهود التي يسلط ذروق في الوصول إلى المعرفة ولا طاعة
ما مطلقاً على ما قبعة منها ابن عجيبة ، وتعليله لتأخر الفتح بقليل مدة
الصحبة ليس بحاجة منهم : ففسد جهلناهم يقرأون أن كلاماً من من
فلان بمجرد لفظة لصير أو بطرقة واحدة ، وكثيراً ما يمشون خلف من
جاء بفيلة ممددة دعماً لآفتيس من المصباح وأشرف نوره في الخيال، وكثيراً
المتغافل في العلوم الغريبة والغريبة عظمة في عارفين الفصح هو مما يخلف فيه
نظرونا مع ابن عجيبة وأشاهة من يقولون بهذا القول : طعن لا نرى
فتحاً حقيقياً حصل أو يحصل لأحد إلا مع هذا التغافل في العلوم، وإليك
المثال في أعقاب التصوفية أنفسهم كاذبيلاني والحناني وابن الفارسي وابن سبكي

وغيرهم ممن لم يشتهر أمرهم في هذا الشأن حتى رشح قدامهم في العلوم ،
وإن حجية نفسه لو لم يكن ذا باع ملتبس في العلوم ما أدرك ما أدرك
من هذا المقام .

وقد كان إزدوق ذا حماسة مرعقة ولذوق لكلام القوم يشهد به
تزيده بالصومع ولعقبه ما فيها من مأخول ومزجج ملحشو واعذاله بالجواهر
دون الأعراض فضلاً عن ورثه للخواطر بميزان الشرع وأخذها بالخطبة
في بيان القول والعمل وإثبات أعاده على ذلك تمككه من لصوم العقلية والفضيلة
ومساوكة المصريق ملوك الحذر اليقظ الذي أخذ الأمانة أكل طريه واستعد
لكل ما يحتاجه ، فلم يكن وحيداً لمحنة من ظن وتخير : بل عن
سريق المعرفة واليقين والعصري أن هذا هو الفتح المبين .

لئن يكن المهدي من بان عليه أئمة وإلا فاضى ذاهباً المهدي

عن أخذ عنه من الشايخ وتلقاه العلماء عليه :

ويعد هذا لا يرى داعياً للتكرار ما كان لزورق وما لا يزال له من
مقام كبير بين طوائف الصوفية وخاصة الكاذبة منهم فقد أقامه الجميع
مقام الحكم الذي ترضى حكومتهم وأثروا له بالإمامة وأثروا عليه التسمية
العالم وتداولوا جهده وتفقوا كلامه بالقبول ورووا وطبقته وبقي كلها
الذكر لزوجة كابر عن كابر ، وهذا فضلاً عن مشايخ العلماء وكبار
الخطباء الذين أخذوا عنه بالشرق والغرب .

فمنهم الإمام الغسطلالي والخطاب الكبير والحارثي الصغير وخمس الدين
ومناصر الدين الشافعيان ودين الدين القسطنطيني تريس مكة والشيخ جد
الوهاب الشمراني والعارف أبو الحسن البكري وهما من عهد أهل التصوف
وغيرهم ، وذكره زائد في سنده الطويل في مرآة المحسن وغيره .

وذكر صاحب طبقات الشاذلية المعية بجامع الكرامات انه لما قدم مصر وصحت بقدرته العلم والفضلاء من أهلها وفدوا عليه ، وحملوا بين يديه ، وكان يحضر درسه في الأزهر الشريف زهاء مئة آلاف نفس من مصر والقاهرة وأحوارها وتولى إمامة المالكية وصار استاذ ردهاتهم ونصبوا له كرسيًا على الأركان بنوع الاتقان صار يجلس عليه ثلاثة : قال : وهذا الكرسي موجود الى وقتنا هذا يروى السادة المغاربة بالأزهر الشريف ، وكانت له صولة ودولة عند أمراء المصريين والقبول الثام عند الخاص منهم وأعلام .

ولعل هذا في غير القصة الأولى التي تتبعها الى مصر وكان فيها لا يزال بعدد الأهل من أهلها : يترك عليه قول السخاوي في القصة الأولى بعد ان ذكر نشأته وقراءته بقصر ، (وارتحل الى الشياخ المصرية فصح وجاور بالمدينة وأقام بالقاهرة نحو سنة مدعى بالاشتغال ، وقرأ على بارئ المرام وبحث على في الاصطلاح بقراءته ولأزماني في التباء وأفاضني جماعة من أهل بلاده والغالب عليه التصوف ، وقد تهرء ومباح وورد له القاهرة بتبعه المائتين ثم تكسر دخوله اليها ولقيني بمكة في سنة أربع وتسعين وصار له اتباع بشيرون وكتب على حكم ابن حزم الله (الخ .

وفي شذرات الذهب قال المازني في طبقاته وهو يعني زروقاً : (عابده من بحر البحر بطرف وعلم بالولاية مصنف التحلى بفرد القناعة واعفاف : يرجع في معرفة نفسه والتصرف والأصول والمخلاف : خطبة الدنيا فخطب مواها ، وعرضت عليه المناصب فردتها وأباحتها) : وهذا مما يروى ما قاله صاحب طبقات الشاذلية كما كان له في مصر من توفد رجاء عند نجاحها وحاميتها .

استقراره أخيراً في طرابلس لغرب ووفاته بها :

ثم أنه زهد في ذلك كله ورحل إلى قطر طرابلس واستقر منه بمصراته
بجهة تبركان منها حتى مات : قال ابن خليون في تاريخه : وكان استوطنها
والخوط في ملك أهلها وتزوج بها من أولاد الشيخ الجعافرة وولد له
منها ريتا بعد موته ثم خلفوا به ، وليس له بها نسل ومقامه مشهور :
وكان يخدمه وأوقفه قوم من أهل سرت كانوا في سالف الزمن ضم
نسله بالمصالحين ونشأ من بعدهم خفاف أخصوا الصلاة والعبادة
الشهوات .. الخ .

وقد زار الشيخ أبو سالم العوالي مقام المرحوم في طريقه إلى الحج
وتحدث عن ذلك في رحته بقوله : ومن الغد ارتحلنا ولنزلنا بزاوية
الشيخ المحقق العالم العلامة المرفق بالله إقبال علي الله صاحب العلمين
وعقبت الطريق ومعمل المذهبين ومرغبي الفريقين نقشني أهل العلم بالعلم
بمتبوع أهل الظاهر وبتبوع الأسرار في سائر الظاهر قطب مغربنا وإمام
المعتمد سيدي أبي العباس أحمد بن أحمد زروق البرنسي القاسمي حفي الله
عليه نسبتنا ونخلص في عينه سريتنا آمين ، وكان نزولنا بإحدى مسجده
يوم الجمعة وزرنا قبر الشيخ بمسا اقتضاه الوقت من أدب ورفار وذلك
والكبر وحسين الجمعة بالمسجد الجامع وهو الذي كان يصلي فيه الشيخ
وخطب أمام المسجد من ورقة وفيه أحسن القراءة منها فإنه كان يقف
حتى في آيات من القرآن العظيم وأصغرت لذلك المكان مع شرفه بجوار
الشيخ وكونه واسطة البلد كيف يستد الأمر فيه إلى غير أهله : ويوضع
في غير محله وقد الأمر من قبل ومن بعد .

ثم ذكر البياضي بعد ذلك ما يفيد أن الشيخ رحمه الله لم يكن عرو
باني الزاوية علي ما أخبره به فيسألها أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن
عبد الشيخ قال :

(لطيفة) وقد أخبرني سيدي أبو العباس المذكور أن جده الأعلى سيدي أحمد الذي كان خديم الشيخ قال للشيخ في حياته : ألا نبي عننا زوية وننخذها أوقفاً ؟ فقال له يا أحمد نحن لا نخرج راحة عنكم إلا بعنا نفوس تحت التراب ، ثم بعد موته وكثرة الوارد من الزواجر وتشاور عيشه في مشارق الأرض ومغاربها إلى تلبية المذكور أصبحت ببناء قبره وسكن عنده بعد موته بعشرين سنة .

قلت وهذا هو اللحن يعلم الشيخ رحمة ونسكه بالسنة قولاً وفعلًا وانتقاداً لرحمة الله ورضي عنه وجزاه عن ابنته والخليل الخزي الأولى .

وكانت وفاته سنة ٨٩٩ في صفر .

تراثه المادي والأدبي :

وذكر لحياتي أيضاً أنه وقف على ورقة فيها زمام تركته الشيخ وعدد ورثته فداقها باللفظ قال : لما استقلت عليه من القوائد : منها المتفادى عدد أولاده وأبن استوطنوا بعده فبني ثم أجد ذلك بعد الفحص الشديد عنه : ومنها التماسي به في قلة ما خلفه من الدنيا مع كون ذاك أولاد ونساء في بلد يشرق فيها البشر ولا يحوزه طمس لو شاء لانتشار حبه وخلعة الدنيا وأهلها له ومع ذلك لم يخلف إلا ما سقوا : وخلاصة ما في هذه الورقة أنه توفي عن زوجين وأربعة أولاد كل منهم يسمى أحد ويتميز بكتابة ريش وأحمد سمها عائشة وخلف نصف فرس وكانت شركة مع لخير وبنساً أبيض وجبنسة صوف وثوباً آخر ومبحة كانت تشيخه الخضري وأربعة عشر سفرًا وكفاشة الخ فنظروا ان شئت لي الراحة العباسية .

حاشا هو تراث زروني المادي فليخجل عند ذكره كل شيخ يزعم
 التصوف وهو أفتى من قاريون ، أما لرائه الأدبي فجموعة من الكتب
 في اللغة والتصوف مؤسسة الفوائد حمزة المقاصد يميل فيها إلى الاختصار
 لكن من ألفي فصول القول ، ويأتي فيها بالباب من العلم الذي يتناوله
 لأنه كان أنصح من أن يشغل قارئه بالتشويق وليس فائده إلا حاشياً متصفاً
 في الدين أو مريداً متوقفاً في مقامات الشوق ولا تحقق بالصحيح منها ،
 وأما حقائق هذه السلسلة الذهبية قيل أن تأتي بطلونات منها تقرأ عين
 الناظرين وليس الشيخ أحمد بابا في نيل الأبراج كان أحسن لائقاته من
 غيره فلننشد قوله في هذا الصدد ونص : « وأما تأليفه فكثيرة يمين
 عليها أن الاختصار مع التحرير ولا يتخو شي ، منها عن فوائد غريبة
 وتحقيقات مفيدة لا سيما في التصوف فقد انفرد بمعرفة وجوده لطيف
 فيه ، فيها شرحان على الرمالة وشرح إلهاد ابن حنكر وشرح مختصر
 خطيبلي وشرح الرغيبية وشرح القرطبية وشرح الملاحية وشرح العقيدة
 القيسية للقرابي وليف وحشرون شرحاً على الحكم وشرحان عمل حزب
 البحر وشرح الحزب الكبير لأبي الحسن الشافعي وشرح مشكلاته وشرح
 الحقائق المحفري وشرح قطع المشتري وشرح الأسماء الحسنى وشرح المراميد
 في التصوف لشيخ ابن عطاء والنصيحة الكافية لمن حصده الله بالعافية
 ومختصره وإعانة المتوجه للمسكين على طريق الفتح والتمكين وكتاب القواعد
 في التصوف وهذه الثلاثة في غاية النيل والحسن ، لا سيما الأخير منها
 لا نظير له : وكتاب النصيح الأتبع والخلة : للمصنف من البدع بالمتة
 وكتاب عدة المريء الصافي من أبواب الفتى : في بيان الطريق وذكر
 حوادث الوقت ، كتاب جليل فيه مائة فصل بين فيه البدع التي يخطئها
 لقراء الصوفية ، وله تعليق على البحاري فهو عشرين كراسة يقتصر فيه
 على نهج الألفاظ وتفسيرها ، وجزء صغير في علم الحديث ، وله
 رسائل كثيرة لأصحابه مشتملة على حكم وبراهن وآداب ونفائذ التصوف

مع الاختصار في أن توجد غيره ، وباجملة فقلده فوق ما يذكر ومن
تخرج لذكر حجة وفوائده وحكمه ومبادئه جميع منها مجملة .. وهو آخر
أداة لفظة الحق في الجاهل العلمي الحقيقة والخبرية .

وبما أن ما ذكره كذا في شيء من أحفل كتبه بالخوائد التاريخية
وتكميل ما ينقل عبد الشرح أحد بابا نفسه وغيره وتقدم ذكرها في زمان
تركته . وله فهرست ذكرها ابن الخاضي في ترجمته من فرة المجال
وله أيضاً ما وثقت عليه ولم يذكره رسالة الأصول الشيعية والخواص
أولها ، ورسالته في أصول الفروع نظمها الشيخ أبو عبد الله العياشي وشرحها
تبعه الخروبي ، ونظم فصول العلمي في غيوب النفس ، وشرح لباحث
الأصالة ، وكتب له بسم في علاج أدواء القلب . إن غير ذلك .

كتبه عدة المرید والهيئة العظيمة :

وكتبه وإن كانت كلها عمرة مفيدة إلا أن عيونها هي الثلاثة التي
ذكرها صاحب زين الانتهاج ويزاد عليها كتب عدة لمرید الذي لا نظير
له في انتفاع من التصوف والقطع في وجود ادتهائه بالحق والبرهان ،
وهو في نظرها عبد الحساب وليس وليس ذين الجزوي وربما فاقه
لاستقامته هذا العلم والكتابة صاحبه صدقة الشصوة أنفسهم فلا يمكن أن
يتحوا فيه بما يشعرون به في فارس وليس وانظر ما قاله لبيدي في
المحاضرات بهذه الذكر عن أهل الوقت فانه لم يبرز إلا التوسع في
العلم والعمل والانصاف كغيرهما وهذا نص كتابه مختصراً :

و لما استفاض أهل الزمان على ما مر ولا شك انه لا يحرم في
لا يفعل في التوبة للحرمة حيث لا يكون معين ... نعم ذكر ما يقع
منهم من الماكر والتعريض بقصد الاشتراك مع الانصاف كما فعل

أبو العباس قدس في رضى الله عنه في النسخ الأتبع وفي عدة المرات فالح
مفيد غير انه يجب منتظر إلى تحقيق المدارك والاضلع في العلوم وتجربة
تامة ، الحج . وناميك بها من مثل اليومى .

وذا نحن أولاً نعرض من كتبه المذكور بعض الفصول التعريف
بقيدته ولتتم التعريف بتركه أسبأ ، وقد صنوه بكلمته لبيان لغرض
من تأييده هذا نصها :

« ليعلم الناظر في هذا الكتاب ، انما لم يقبل ما فيه من حق ووصواب ،
انما لم يقصد به الطعن على الناس ولا القدح فيهم : ولا الاشغال بسايرهم
ولا اظهار عيوبهم ، ولا ارضا الاستظهار بالثبوت عليهم ، ولما قصدنا به
المجالد من الوقوع فيها حذراً منه ، والتحرير ما فيها عليه ، ليكون
حدة لصادق في دينه : وامانة لمحقق في يقينه : ورحمة للمسكين في
حاله ، فمن قصده لشيء مما قصدناه به فانه المسؤول في اعائه ونفعه ،
ومن قصده لغير ذلك فانه المستعان على تلافه ومنعه : وان يصح عنه
من يريد به مثل استنار الناس ويريد به اظهار المفس والافتقار ، ومن
قصده لذلك فانه حسيبه وسائمه ويحوي الانتقام منه لأن من تتبع عورة
أخيه تتبع الله عورته حتى يفضحه ويؤ في جوف بيته ، ولو آمن بالنفس
المخاف والمناق يتبع العيوب وانه في عون العهد ما دام العبد في حوز
لنعمه . ويعلم الله لولا الشفقة على الاخوان الصادقين ما كتبت من حرق مع
ما اخذ على من علم شيئاً أن يبينه ولا يمكنه ، وما ورد من الرعيد في
مكوت اعلم عند ظهور البدع مع ما انضم إلى ذلك من أعصاب خاصة
وعامة ، وحصل الله المتعمد في عموم النفع به وان يجعله رحمة وبركة
حيث ما حل .

ثم أرغب لمن يحبه أن يكتب هذه القصة في حسن نسخه كبرا من
جهل الجاهلین وعلى الله نوابه .

ولنا بحجة إلى اتنيه على ما يفيض به هذا المصدر من روح الانصاف والنصيحة والاخلاص ، فثلك شبهة زروق التي عرفت بها في كتب وأبحاثه وآرائه بعدة ، وذلك الآن انقص الأول من الكتب وهو في تحقيق معنى البدعة وتقسيمها فان :

حقيقة البدعة :

« (فصل) في حقيقة البدعة وخوارصها وأحكامها : أما حقيقة البدعة فشرعاً أحداث أمر في الدين يشبه أن يكون منه سواء كان بالصورة أو بالحقيقة اقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رده وقواه عليه السلام دكل محدثة بدعة كما تقدم ، وقد بن العلماء رضي الله عنهم أن المعنى في الحديثين المذكورين راجع لتغير الحكم باعتقاده ما ليس بقربة قربة لا مطلق الأحداث إذ قد تتولد الشرعة بأمرها فيكون راجعاً لها أو بفروعها فيكون مقبلاً عليها قالوا : ويجب هذا فلا تكون البدعة إلا محرمة أو مكروهة لأنها إن حوت شيئاً لا يصح أن يبلغ بها التحريم وإن تسبقت شيئاً جداً كانت محرمة لا مباحة إن كانت في مقابلة منصوص عن الشارع أو مخالفة لأصل الملة أو خارجة عن قواعد الأحكام الشرعية ، قالوا المحققون : وإنما قسمها بعضهم لأنصاف الشريعة اعتباراً بمطلق الأحداث ومن حيث اللغة ومنه قول عمر رضي الله عنه في شأن الترويع : نعمت البدعة هذه قسمها بدعة من حيث ضرورة البتة وإلا فهي سنة يفعل النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاث ليل من رمضان في حياته : ثابت أقامتها بقوله عليه السلام : إني خشيت أن يفرض عليكم : فيه حين الله ليظهر بشيئ احكم عند ارتضاعها كما أتته عمر رضي الله عنه بإجماع من استجابة في قبوله فان قات كيف تكون البسنة المكروهة لعلنا مع أن المكروه

من قيل الجائر الذي صلى لله عليه وسلم قد حكم على كل بدعة بأنها ضلالة + قلت الكراهة مصروفة للعمل بها : واحداً لها حرام لكنه انقياس على الشارح وتقدم بين يديه وتغير الأحكامه مع وجود شبهة منه .
ثم من خواص البدعة ثلاثة :

أولها أنها لا توجد غالباً إلا مقررة بحرم صريح أو آية إليه :
أو يكون تبعاً لها . ومن ثمل ذلك وجهه في كل ما قيل فإنه لا ينحرم بحال كراهة عليه ان شاء الله تعالى .

الثاني أنها لا توجد غالباً إلا في الأمور المستغربة غير المألوفة في الدين وهي في الكيفيات من السنوات وتواريخ الأحوال وما قبل اليه الفرس وشعبه كذلك كسر والذلاوة والصلاة والصوم بما ينخلون عليها من الكيفيات ونحوها والمذكور ونحو ذلك - فقامه .

الثالث أنها لا توجد غالباً إلا مستندة لوجه من التشريعية أو معنى من الحقيقة يلتبس على قليل العلم فيتجهز أو يسلم ويدرج على الجاهل فبظنه شيئاً قبيحاً من حيث لا يعلم . وما غيره في ذلك ولا شبهة الأصل وتسليم من يحقق فيه العلم والفنيل . ولكن لكل شيء ميزان يظهر به الحق من الباطل يعرفه العلم ويغيب الجاهل فيكون ضلالاً بفعله مضالاً بدهوى الخلق إليه غير معلوم في أمره لعدم تبصره إذ الدين مبني على التبصر . وبالله التوفيق .

ولا يخفى تخريب هذا الفصل وأنه على اختصاره جميع بين تحقيق النظر في معنى البدعة وتقسيمها الصحيح إلى قسميها الطبيعيين الحرام والكراهة ولم يجر اصطلاح الفقهاء في عصره على تقسيمها إلى أقسام الحكم الشرعي الخمسة . وإن بين وجهة نظرهم في ذلك التقسيم ودلله ثم عرض لما يفرهم من أن البدعة المكرهة لا يخرج فيها بين أن الكراهة إنما تتعلق بالعمل

بها وما أصل لحياتها لحرام وبذلك حسم المادة في أمر الابتذاع وأغلق الباب في وجه المبتدئين ومن ثم نخلص إلى الكلام على خواص البدعة بما لم يدع في أمرها اشتباهاً. وهكذا حرر هذا الفصل تحرير الجوهري وتركزه وتركيزاً موجهاً بحيث جميع لأرضي .

وهناك فصلاً آخر بين فيه الأسباب التي تنحو إلى الابتذاع وخاصة في الطريق وهو نظير سابقه تحريراً وتركيزاً : قال :

الابتذاع وأعباءه :

(أصل) في أصل ظهور مدعي التصوف في هذا الزمن بالبدع والابتذاع ليس لهم عليها ، لأنما ظهورهم بالبدع فله أصول ثلاثة :

أولها نقص الإيمان لعدم العلم بحكمة الشريعة وقد نور الإيمان الخادي إلى اتباع الرسول عليه السلام قال الله تعالى : « وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » وقال أحمد بن حنبل رحمه الله عن أبيه الدليل لا يبع والطريق واضح والظاهر قد أجمع فما فتنهم بعد هذا إلا من أعياهم وقال ابن صلاء الله رضي الله عنه في حكاية لا يخاف عليك إن علبس طريق عليك وانحس يخاف عليك من غلبة أخرى عليك وقال أيضاً : « تكن حلاوة أخرى من القاب هو الماء العليل قال بعضهم تحت الجبال بالأنظار أسير من زوال الهوى إذا تمكن قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلله الله عسل علم الآيات ونوره تعالى فمن يهده من بعد الله يعني أن الحيل والأسباب لا تنقذ في هدايته ليتمكن الباطل من نفسه ولقد كان نور الإيمان من قلبه لو من لم يحسن الله نور فانه من نور » .

الثاني الخلق بأصول الطريقة واعتقاد أن الشريعة خلاف الحقيقة وهذا

هو الأصل فكبير في ذلك وهو من مبادئ الزندقة ومنه خرجت الطوائف كلها وصار الفروع والجماد لا يتوافق في سب الصوفية ، والمتصوف لا يتوافق في انفراد من العلم وأمله ويخالف ظاهر الشريعة في أمره ويرى ذلك كمالاً في علمه حتى لقد سمعت من بعض من تقفر من طلبه الوقت انه سمع حكاية من حكايات الخارجين أوجبت أثراً في الوجود فطلق فاصح زندقته وجهله بأن قال ظاهر الشريعة حرمان ، وهذا والعياذ بالله كفر والبلال انجر له من جهاه بالطريقة واعتقاده الفرق بين الشريعة والحقيقة وهذا هو الأصل الذي ينبغي عليه المارتون أصولهم واستطاعت الطوائف بأعمال خارجة عن الدين وأحوال موافقة للواقع لحمل الصانع على الكاذب والمصيب على الخائب ، ووقع الكل في جهالات لا يمكن تفصيلها ولا تبسيط تأصيلها. ودلج ذلك لا يكون الا بتقرير أصول العلوم ومنفرد له فصلاً بعد ان شاء الله .

الثالث حب الرئاسة والظهور مع الضعف عن أسبابها وانقصور فيضطربهم ذلك لأحداث أمور تستعمل القلوب لكونها مجردة على استحصان الغريب مع جهلها بما يشين ويريب وحرضها على الخير وظهور هذا الشخص بصورة ذلك وحقائق منه مع ما يجري على يديه من خوارق شيطانية أو يعلو لشايعه من ثقة نفسانية أو يدركه من أخواق طبيعية يظنها فتوحات وأسباب وحسن لينتد لها الفروع والأصول مع ما يعينه على ذلك من احتراز الأمور للأثولة واعتقاده ان المقام العجيب لا يدرك الا بالأسر الغريب، وان العجالة في صورها ووجوهها لا تحيد التصود الا بإضافة أمر فيها فيقتاد بذلك عند ظهوره ويصل به فيجتهد الأمر له بذلك وينشئ عليه بما ظهر له من ذلك وما هو الا الجهل والانقياد لوجه وعلم الثابت والفهم نال الله السلامة منه وكرمه .

وأيه في الهندي المستظر :

وقله جبل من فصول بينه^١ بين نظره في أشياء مما ضلت فيه أراء
النوم ، فمن ذلك لونه في الهندي المستظر :

« هذا مع أن كثيراً من النجباء يقولون بأن الفاضلي قد انقضى زمانه
وانه عمر بن عبد العزيز أو غيره على اختلافهم في ذلك ، ولكن إن
الأمر فيه مبهم وإن الاشتغال به مما لا ينبغي لأشباه الأمر واضطرابه مع
عدم الاضطراب فيه ، وهب أنه نزل بباب المدينة التي أنت فيها ليس
في عنقك بعة أبهرها فلا يعل لك المخرج إليه لما في رقبته من حق
شعرك ، هذا إن تحقق لنا ذلك ولأمر متروك أصحته في أنه غير
متحقق المتأخير في وقوعه ».

الغنية والنصوي :

ومن لونه فيه ، في غيبة الفقه من التصرف : وقالوا وما مثل الغنية
إلا كجواب الملك والنصوي الملقى صاحب سره فإذا حدث النصوي عن
عجائب بيت الملك فاضى فيه الفقه أنه كنت سارق أو كذاب أو متجاسر
لأن أنى بأمره من الملك والأفحجة أبواب عليه قائمة وانكاره بسعيه
فإن لم يصح انكسار الفقه على النصوي ولم يصح انكار النصوي عليه
فأعترف ذلك .

وأيه في كتب الخافي ومشاكلها :

ومن قوله في كتب الخافي ومن عن مشاكله في أعداد الفصول من

« فاما كتب اخواني وابن مبرين وابن الخضر وأبي العباس البوني ومن جرى مجراهم قتلوا رجالا ، ولم في الخزانين مجال ، وعندهم في التمييز مقال : فلا يشفع بها في البداية الا غوي ولا في النهاية الا غلي ولا في الوسط الا ذكي يأخذ بما يك رشده يعلم ما وراء ذلك ليس من آفاته وما هو الا كما قيل :

من تحلى بحيلة ليس فيه فتبطلت شواهد الاستدلال

أخذنا الله من البلاء بمنه : .

أحزاب ابن سبعين ودعوات البوني :

ويشهد قوله في أحزاب ابن سبعين ودعوات البوني في أحد فصول الكتب ونصه :

« (قوله) في أمره أوقع بها بعض الناس وفيها مضمحل ما، منها أحزاب الشيخ أبي محمد عبد الحق بن سبعين وهي شتوية أصل حقائق وعقائق وأمر عالية بمباراة لائقة وشفائق عظيمة بعضها في الأقطار وبعضها خارج عنه ، فذلك وجب على لقصد انتفاؤها وكون التصاميم فيها أولى من العمل بها الا حزب اسلامه ربه ما فيه لعدول عن الالتفات الشرعية الى حيلهم الخبيثة لا تدري ما قصد بها ان لم يكن الايقاع في النفس ، وباجتماع ذلك وقع له بحسب حاله ومقامه . ونحن لا نأخذ إلا ما جمع التعريفية والأدب والتأثير لا غير ذلك طافهم . ومنها دعوات البوني وأقسامه المروية على السماعات وغيرها ، وقد نهي العلماء على ان ذلك بدعة مكروهة ويعتدون بعدم بد لها غيره من الجهال فلا حديث عليه وهو ممنوع منه بكل حال . »

كتب الصلوات المداونة :

ومن هذه القليل قوله في كتب الصلوات المعروفة من طهال التمر :
« ومن ذلك لصيف بعض الناس في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
بكيفيات يعتمدها ويأني فيها بالفاظ مستطربة وأنواع متخبة تألفها نفوس
العوام وتتحرك بها نفوس الخلق لتصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في
الجمعة : والأولى بأهل التوجه الاقتصاص على الألفاظ الواردة عنه صلى
الله عليه وسلم فإن التغير كله في الألفاظ والمفتح الكامل في التحيد بالتحافه
عليه الصلاة والسلام فلا عدل بها شيئاً ولو نكثنا فقليلها كبر وسعد
كبير » .

لصيحة لأبياته :

وأخيراً استمع إليه فيه وهو يحلر التماسه من الاقتداء به في أمور دينه
صبرته منه عن غير تعدد ولا أسرار ، ولكن التبعه التي جعلها
هجرته وعظم النفس التي هو دينه أعبأ عليه هذه الجملة :

« وما زلت أسلم الأصحاب من الاقتداء بي في غنى أمور :

أحدها - العمل بالمواع والتبحة في حيوتهم .

الثاني - التوسع في الأكل حقة ومقدراً فإن ذلك إساءة أدب .

الثالث - مخالطة كل أحد ومهبطه وذلك هينة وقتة مريضة .

الرابع - كثرة المزاح والأنساق والتوسع في الكلام لأسه يجر إلى
الشرب والنفس .

الخامس - النظر في كتب الرقائق والعمل عليها دون غيرها .

لاني لا لعل ذلك واقع عن روي ولا اختيار وما كتبت المحذرات
ها هذا إلا لكيلا أجهل حجة فيه ويبلغ القوفين .

هذه الأصول والنقول من كتاب عدة المريد تخففك على فهمه وتعرف
منها آراء زروق في المسائل الصوفية الحقيقية ، وهي آراء موزونة بميزان
الشرع ترد على المنصوف الاسلامي اختياره وتعود به مبركة الأول التي
كان عليها في عهد اجنيد وعلقت من اصوله الأختيار .

آرايه وأكواله في السلوك والطريق من كتابه القواعد :

وقد استوفى كتابه قواعد التصوف التي بعد حجة في هذا الباب على
كثير من هذه الآراء التي نطن انه مجرد من كتابه الأول وأوردني في
القواعد كما استوفى على حقائق أخرى لها أهمية كبيرة في الموضوع :
وتحسب لفائدة تورد بعضها هنا في ذلك قوله :

لا يصح الكلو الصوفي على الفقيه :

« فاعلم » قلت حكم عام في العدم لأن مقصوده إمامه رسم فسي
وربط منه واضلر كالمته ، وحكم التصوف خاص في الخصوص لأن
معاملة بين العبد وربه من غير زائل عن ذلك . فمن لم يصح انكار الفقه
على الصوفي ولا يصح انكار الصوفي عن الفقيه ولم الرجوع من التصوف
إلى الفقه والاكتفاء به دونه ، ولم يكف التصوف عن الفقه بل لا يصح
دونه ولا يجوز الرجوع منه إليه إلا به وإن كان أحمل منه رتبة فهو
أهم وأعم منه مصلحة ولذلك قيل كن لها صوفياً ولا تكن صوفياً
فهيلاً - وصوفي الفقيه أكمل من فقيه الصوفية وأسلم لأن صوفي الفقيه
قد نحتق بتصوف حلال وعملياً وفوقاً بخلاف فقيه الصوفية المشكك من

عمله وحاله ولا يتم له ذلك إلا بفعله صحيح وفوق صريح لا يصح له
أحدهما دون الآخر كالسب الذي لا يكفي حله عن التعزيرة ولا
العكس فانهم : .

تحديد ما لم يرد في الشرع بقصة :

ومنه قوله : « (قصة) تحديد ما لم يرد في الشرع تحديده ابتداء في
الدين لا سيما ان عرض أصلاً شرحاً كتصيام يوم لفوات ورد ليسه
الذي لم يجعل له الشارع كفارة إلا الايمان به قبل صلاة الصبح أو زوال
اليوم وكذا قراءة الفاتحة قبل الصلاة ونوحيات ورد الصلاة ونحوه مما لم
يورد من الشرع نص فيه لا ما ورد فيه نص أو إشارة لصلاة الرواتب
واذا كان ما بعد الصلاة وقراءة القرآن وصيام النفل ونحوه - فانهم : .

الشفاعة والوسيلة :

رث قوله : « وسبب لا يمتنع عند الله أحد ولا يذنبه وتسهل له
بإتداء الوسيلة إليه قيل هي لا إله إلا الله وقيل اتباع رسول الله وجيل
اتباع في المصوم ليتوسل بالأعمال كأصحاب الغر الذين دعا أحدهم بالفضل
عليه وبالأشخاص كتوسل صبر رضي الله عنه بالعباس رضي الله عنه
في استشفائه وجماء الترغيب في دعاء المزمع لأخيه مطلقاً وقال عليه السلام
لصبر رضي الله عنه حين ذهب لعمرة له شركنا في دعائك يا أخي
وذلك لتعليم وإلا فهو حبه السلام ومهابة الوسائل وأساس الخيرات والفضائل .
وقد روي عن مالك لا يتوسل بمخلوق أصلاً وقيل إلا برسول الله صلى
الله عليه وسلم وهذا كما قال أبو بكر بن العربي في زيارة القابر : لا يزال
المتضرع به إلا قبره عليه السلام .

انما تعلم بالعلم :

وقوله منه : « (قاعدة) لا علم الا بفهم عن الشارح أو من فاه
منابه لما أتى به فقال عليه السلام انما تعلم بالعلم وانما العلم بالتعلم ومن
طلب الخير إله ومن يتق الشر يرفقه ، وما تفهده الشورى انما هو فهم
يرافق الأصول ويشرح المنصور ويوسع العقول ثم هو مقسم لما يدخل
تحت دائرة الأحكام وما لا يدخل تحت دائرة العبارة وان كان مما
تناوله الإشارة ومنه ما لا يفهمه الضمائر وان أشارت إليه الخطائق مع
وضوحه عند مشاهدته وتكليفه عند متلقفه وقولنا فيه فهم لا يثبت أصله
لا غير لما عرفت ما أشرنا إليه رباعه التوفيق . »

شذرات من شرحه للمباحث الأصلية :

ومن شذرات القيمة قوله في شرح المباحث الأصلية تعليفاً على قولهم :
من تعرف ولم يفتضه فقد تردى : ومن تفقه ولم يتصوره فقد نفسى . ومن
جميع بينها فقد تحقق : قلت : تردى الأول لرفعه الحكمة والأحكام
ونفسى الثاني لخوضه من صدق النية فيما هو به والعمل به وتحقق الثالث
لقيامه بكل في علمه فراجع كلام الأصولية في كل باب لأحوالهم رالا فلا
تفاني بين أحوالهم لمن تأملها وذلك خلافاً لمذاهب غيرهم لمذاهب الغير
يطلق عليها الإبهال ومذهب أقوم يرجع الى وثاق الحلال فإن لم يقبل
ذلك طاب من مذاهبهم .

منع لیس الحرقه :

ومنها فيه أيضاً : « (تنبيه) الذي ينبغي أن يحزم به في هذا الزمن

مع الخير في والدعوى عليها مما عليه الناس من الشج والاعتلال في الغالب
وإذا كان الغدر في النفوس طبعاً فالنقطة بكل أحد عجز .

وله العالم لا يرفع عنه الأحكام :

ومنها فيه أيضاً وقد أورد في عدة الزيد مختصراً : « سئل شيخنا
القوي رحمه الله عن ابن العربي الحنفي فقال أصرقت بكسل من من
أهل كل فن . قيل له ما سألتك عن هذا ، قال الخشيت فيه من الكفر
أن القضية قيل له فما ترجع قال اتسليم (قلت) وذلك لأن المعرض
للتكفير خطر واضطر المزية زعماً حتى لا يفتد به في التوابع أو
لاعتقاد ماهره والله أعلم . ومن هذا النوع ما تضمن ذكره من جواب
الإمام شمس الدين النووي رحمه الله إذ قال الكلام كلام عوني (وذلك
أما قد خلت لما ما كتبت) الآية وطول بعض المغاربة المجاورين بمكة
في ضيق معتقد في ابن العربي الحنفي ليصل بعض القضية أن حقوبه
وأذنبه لكونه منكراً له ومنكراً فقال اشهدوا أنني مؤمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر وما كان من كلامه بلان موافقاً بظاهره
لنكتب ولست طأنا أقول به وما كان على خلاف ذلك فأنما نحن صلبه
أن أرياه فلم يجد له ميلاً . ووقفت لأبي زينة العراقي على جواب
في شأنه وكذا ابن القلزم ذكر فيه كلام الناس من المنكرين وغيرهم
ومال إلى أنه يعرض على الكلام ويؤكد لقائل لا خيال فيه ونحو ما
وهذا وجه من السلامة أيضاً .

والحقيق في ذلك أن وجه الطريقة مراهي ومعنى الحقيقة سقوط
وحرية العلم لا يرفعها عاقل ولا سهاول ولا يخفضه وربت من العلم
والدين لا ترفع عنه الأحكام فتعبر خبراتهم من حيث حقائقها بأن

بالجدة منها ما دلت عليه من المعاني الصحيحة السائلة من الاعتراض ويظهر في الإلتفات من حيث ما يقتضيه موجب الحكم في عدم دلائل يهمل حتى لقد ليه وحيدة الشريعة بالعمل به ولا يتحمل عن صاحبه بأن هذا مذموم لأن دلائل انتباهه عنه أكثر من دلائل ثبوته وحسن الظن في محله مقدم على سوء الفتن والمؤمن يخلص التعديل والمثلل يتبع الميوب. وهذا الوجه الذي قلنا أعلم الوجوه وأحسنها شرعاً وحقيقة ربانية التوفيق .

وهو كلام نفيس ومحدود من علم صوفي يزيد ثقافة ولعل غير زروق من المتصوفة الذين أتوا بعده لا يمكن أن يحكي هذا الكلام، وإن حكاة فمما لبطن به في زروق ... أما أن يكون له رأي من هذا التقبل في الشيخ الأكبر فهذا هو الكفر أو أكبر . وبذلك تعرف مقام زروق في العلم والعمل ورسوم قلعه في التحقيق والشرح .

وعنها في شرح الحزب الكبير للإمام القشيري عند قوله (يا من هو هو يا هو) فتح مبيناً حكم إطلاق هذا التفسير على الله تعالى ما نصه : « معناه الذي لا يمكن أن يشار بجلاله وحكمته فهو هو » ، ولذا في هذه الألفاظ بحث والكار على الصورية ، والتحقيق أن إطلاقه في مثل الآيات المطلق أصح أدب وفي مقام التفسير بأشعره واستشعره وشواهد وقراءته لا بأس به لأهله .

الحجج بالخطوة :

وتعرض في شرح الوصلية للحجج بالخطوة : الشيخ ذكره بن أصل هذا الشأن : فنسأل هذا السؤال : « وتظار هل يجب على أصل الخطوة (يعني إذا عدت الاستطاعة) وإذا قيل هل يجوز له أن لا يد من اعتبار قلعه حيد السلام . »

قوله في كتب الحرم :

ثم إلى جانب هذا الاحتياط المشروع نجد له إرشاداً عظيم الفائدة في تمييز كتب القوم لمن يريد أن يتناولها وهو ما أشار إليه في أحد شروحه للبيكنس بقوله : « كتب الحرم تحتوي على أربعة أنواع (التذكير والوعظ) وهو حظ الأعرام والخواص منه نصيب ومواده من كتب ابن الجوزي وبعض تعاليق المحاسبي وشيء من كتب الإحياء والنفوس وتحرير القشيري وما جرى مجراها (والكلام والأحكام) أي أحكام تسمية الأهل وتصحيح الأحوال من واجب ومنه ومنسوب وآداب خائراً وبائناً وهو حق المعوجهين من كل فريق وكل طريق ومواده من كتب العراقي والسهورودي ونحوهما (والكلام على الأصول) التي تحقّقها وتحقّق القدمات والأذواق والمنازلات وحسب نصيب المرادين وربما كان تنبيهاً أو تشريفاً لغوهم ومواده من كتب الحاشي في المعاملات والبيوت في المنازلات ونحوهما وفي رسالة القشيري مواضع من ذلك : وفي الجمع مهناوي فأخذوا بصعوبة فهمها (والكلام على الحقائق) أي المعارف والمعارف الإلهامية وهو نصيب العارفين المحققين ، وكتب الحكم بحر على الأضراف الأربعة لا سيما الأخيرين منها فهو جامع لما في كتب الصوفية المطولة والمختصرة مع زيادة البيان واختصار الألفاظ .

ونظر في القواعد إلى هذه الكتب نظرة فنية طعنها تعنيفاً آخر بحسب الأذواق والبيوت التي تكون لكل فريق فمن يسلط الطريق فقال :

(فائدة) تعدد وجوه الحسن بقضي بتعدد الاستقصاء وحصول الخبر لكل مستحسن فمن ثم كان لكل فريق طريق فلعامي تصوف حرمه كتب المحاسبي ومن لم يحرمه والفقهاء تصوف رأيه ابن الحاج في مدخله والمحدث

نصوف حاتم حوله ابن العربي في مراجعته ولما به تصوف دار عليه
القراني في متابعه والمتمري في تصوف به عليه لفتنري في رسالته ونسبت
نصوف حواء القسوت والاحياء والحكيم تصوف ادخله الحانفي في كتبه
والمنطقي تصوف لخوا اليه ابن سبعين في تأليفه ونطليحي تصوف حواء
به لبرلي في اسراءه وللأصولي تصوف غلام الشاذلي بتحقيقه ، لطيعير
كل بأصله من محله وبينه الترقيق .

وتظن ان هذا الاستعراض لسريع لأرائه في التصوف والتصولية والحكامه
عن اهل القوم ومازلاتهم يكفي للدلالة على صدق من لقبه بمحسب
العلم والأولياء واصحابه في هذا القلب .

وكان يودنا أن نضرب كل ما تخبره من كتبه واسواق نظرتنا
من أبحاثه وما استحدثه من رسالته الجامعة بل اخوانه ومريديه ، ونعقد
بعضاً للكلام على طريقته الفقهية وتأليفه في هذا العلم فانه كان حلياً من
أعلامه ومقامه فيه كغايته في التصوف يأخذ ويعطي ويقبل ويرد ،
ويستشهد بأقوال غير المالكية من علماء المذاهب الأخرى مما يدل على صحة
ألفه وكثرة احتلاجه ، ولكن عوف الأمانة والموضوع عن المضاء في هذه
الترجمة جعلنا نكتفي بما تقدم ونقف عند هذا الحد في التعريف بعفوية
الرجل والدلالة على مكانته العلمية المتقدمة .

١ الابن العربي مراجعته : مراجع المصنف وموسم من شهر ربيع الثاني ، ومراجع
الربيعين ومعه انوار هذا .

٢ يعني والطائفي صاحب علم اسرار الخروف وطائفتها المصنف في عالم الحقيقة بها برعا
فركب منها من الجمع على حسب ما عهد في ذلك .

مباحثة من مباحثه :

تم نختم بهذه المباحثة الصوفية الجسيمة من مباحثه : التي كانت تشمل انتقاد من الشيخ ابن عجيبة هي ما سقت لإثارة قلبه وهي قوله : « علمت مشارق الأرض ومغاربها في طلب الحق ولمستطعت جميع الأسباب المذكورة في معالجة النفس بقدر الإمكان في مرضاة الحق لما طلبت لرب الحق شيء إلا كان معندي ، ولا علمت في معالجتها بشيء إلا كان معيها لما ، ولا توجهت لأرضاء الخلق إلا كان غير موفق بالتقشود فخرجت إلى النجاة به عز وجل في الجمع فخرجت بفضل ذلك على رؤية الأسباب فخرجت إلى الاستسلام فخرج لي منه رؤية وجوبي : وهو رأس الملل فخرجت نفسي بين يدي الحق مبحاة طرحة لا يصحبه حول ولا قود . فصبح عندي أن السلامة من كل شيء بالشورى من كل شيء والخبرة من كل شيء بالرجوع إلى الله في كل شيء اعتدلاً بالحكمة والقدرة وقياداً مع قطيع بشروء الانطباع : وما يرد من فعل أمراً ونهياً وخبراً وظهراً وعبودية لا تصحبها رؤية : ورؤية لا يصحبها اعتدال وانساعاً لا يصحبه ضيق وضيقاً لا يصحبه انفعال فتشلت في ذلك قول القائل :

فلم كنت لحجب أن وصلك يضاري	بنفاس الأيون والأرباب
وخلت بهلاً أن جلك هيئ	تكنى عليه كرام الأرواح
حتى رأيت فجي ونقص من	تخساره بطل الغد الأصباح
فعلت أنك لا تذاك بجملة	فلو كنت رأيت تحت يدي جدي
وجئت في عيش الغرام إقامتي	له خدري دائماً وروحي

وليس ما نقلناه من أقواله في الإنكار على أصل الدعوى العريضة

ورفعه لا يصدر عن القوم في شطحاتهم من الكلمات المأثورة من سراج
 الورع هو وحده كانت في رده هذه القصيدة الثانية التي ذكر الشيخ
 أحمد بابا جملة منها في تكميله للديباج وذكرها كلوبا ابن مريم في
 بيانه، لأنها مما يخالف طريقته واحتجاده وخصمه لنفسه وامتناره للعداوى
 بالكلية ، ونقض أن أحد أتباعه المزمعين هو صاحبها وضعها على لسان
 الشيخ تنقياً لما وتديلاً على المصحف ، وكم لك من نصير .

عبدالله كنون

المخالف بين التقليد والسرعة والخيال

للأستاذ عثمان السكحات
شولس

ما هي الثقافة ؟ الثقافة هي مجموعة المثلومات والآداب والفنون
العلمية والفنية التي اكتسبها شعب من الشعوب : أو دولة الشعوب
خلال فترة معينة ، أو طول حياة الفترات .

فالآداب اليوناني في عهد آل بهوس الميعن بمسبة قمرني (الملاحات)
هو قسم من الثقافة الأدبية التي هي من العصور التي تشمل أيضاً الآداب
الغربية والآداب العربية وهي المصنوع والآداب العربية .

وإذا نظرنا إلى بعض جمل والأمثال الشعبية سواء بهجات عراقية
أو برقة أو زن ، وإلى الأحاديث والشعر العامي (العام بركة مثلاً)
والعربية التي هي من الثقافة الأدبية الغربية أو الحديثة وجدنا أدباً
شعبياً عربياً غنياً نرى التعبير هو مصدر للثقافة وأدبها في حد ذاته
وهو من فن قديم بقاء ، وإلى جانب ذلك ظهر مصطلح ثقافتين

الشعب ونبوع استحاء نكتاب الروايع والمرحبين والمرحبين والشعائين
والنوميقين الخفيين .

هذا الأدب الشعبي العربي الطريف الذي عاش به الشعب قرناً
وعازال يهمل به ، والذي عبر به عن أحاسيسه للرأية كما عبر به
عن حيلته الوعني ، هذا الأدب الشعبي هو جزء من الثقافة الشعبية
التي تشمل أيضاً علم الأثراء وليطرد والفلاسة والنعوم والحب
والسر والتمودة الشعبية .

ومواء العرب هذه الثقافة الأدبية بالوقت الكلاسيكية التي برزت بالبلاد
كالبديرية والبيوتية واليونانية واللاتينية ، أو التي استقرت بها نهجاً
كواحدة فكر - وهي العربية - أو تلتزم هذه الثقافة بالهجات ولكن
بلسان عربي لصيح فإن هذه العناصر كلها هي مجموع المزايا الأدبية
التي تجمع في الروايع منسجم بين النظم والكيف .

ومواء دوحنا الأدب العربي الأول المتلوش على منحور القبيبي
والنقار والموود والنصير بالمثل نصيراً والياً مبيراً حالياً فاطكاً فصوله
في صمت : أو الأدب العربي الثاني الموجود عند النحويين والأوجيين
والقننين والقصاصين والمطوري .

ومواء دوحنا الأدب اليوناني بالكلمات الشيق من تلك الجامعة العلمية
الافريقية الكبرى التي بتكاد أسرار آل هودس الرومانيه فانهجت أمثال
قالبغس Callimachus أول من وضع علم دوا الكتب ومن القيدرس
وعن لييلوغرافيا (النصير) والفند الأدبي وثنية وضع للموسوعات
(دواير المعارف) وبني أربعين سنة مديراً مكتبة الاسكندرية ، أو
الستيلس الأدب المسرحي الليبي : أو البرطوسينس أكبر الرياضيين
في عصره ...

... سواء أدرست ذلك أو درست الأدب اليوناني والعاظمي بهرايوس
في عهد آن سافوروس .

أو سواء درست هذا الأدب اللاطيني اليوناني المستر بركة وطرايوس
بعده من سنة ١٤٦ ق.م .

فإن كل هذه الآداب هي جزء لا يتجزأ من الثقافة الأدبية لليبيا .

الثقافة اللاتينية في ليبيا :

عندت الثقافة اللاتينية في ليبيا من سنة ١٤٦ ق.م . إلى سنة ٦٣٢ ب.م .
أي إلى سنة ٥٢٣ حينما فتح عمرو بن العاص ليبيا والمنظمت الثقافة العربية
فيها إلى أن يوث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

واللغة اللاتينية هي لغة هندية أوروبية أصلها من السنسكريتية لغة
الهند المنتشرة الأولى . جاءت هذه اللغة في صورة بداية إلى أوروبا مع
الأنوم المنود الأوربيين ، ولما جاءت جيوش شيوك وانصرفت على
البحرطين في لغة جديدة ومظهر حكم الرومان بعد انصرفت على آخر
ملك من ملوك البربر : طلائت ليبيا تابعة لهم . ونشر هذا عند لغة
لاطينية درجة بين طبقات الناس في القطر الليبي المنطق والمنزحت
بعضهم لغوية يونانية ورومية وسردانية وبونيقية هي الخصوص وتأسست
جامعة قرطاجنة ، إلى جانب معاهد الشحات والمعاهد كنوية بصراحة
روبه (طرابلس) ولبيس ماخذ (الحس - ليل) وبرنين (بخاري)
وشوكرة والمرج (بركة) والشحات (طرقي) ودونة (دانيس) .

وتكونت أدب لاتيني أو يوناني النثر بين الناس في القطر الليبي ، ونفع
به نطاء الكتاب والشعراء والمترجمين والطهارة ورجال النصب والحقوق .

وتكاثرت المعاهد والمصنف والمعارض والتوازي الأدبية والفنية وعجائس

العلوم والفنون : مدافع المسيحية .

ومن أشهر هؤلاء المؤلفين المسيحيين الذين نبهوا في عهد الاحتلال الروماني :

١ - كورنيليوس التلميذ (المسيحي) .

لم يكن بمضي قرون وانصب على الاحتلال الروماني فيبلغ القرن الأول بعد الميلاد حتى تكاثرت الآداب وازدهرت دولة البلاغة والديع وانضمت لهم الخطابة باليونانية والملاطينية والبروتية ، لاسيما على غرار الفن الغربية الساحية من طنجة إلى الاسكندرية . فذهب ان الشاعر الروماني جوفينال كان يصيح أبناء رومته فيقول : اذهب يا ربي ان ابريقية ... اذهب ليها فانه تعذي انصعب بياني للحرارة ، تنقل ان تلك الأرض القلبية إذ شئت ان تسجل مواهبك في الخطابة ...

على اننا لا نعلم - مع الأسف - أو لا نعلم إلا قليلاً من الخطابة الأولين الذين نشأوا ببلاد الأطلس من الغرب إلى الجبل الأخضر . وقد ضاعت معظم تصانيفهم ولم يبق منها إلا كتاب واحد في فن البلاغة ألف باللغة اليونانية . فذلك ان يعظم أسرار هؤلاء الخطباء قد فُتحت من الوجود ، ولم يبق في التاريخ الشحيح إلا بلمس : هذه خطبات ولا شك ، لخدماء كورنيليوس التلميذ والثاني مافاروس الجدي بلادي . ولقد كورنيليوس بمسنة ليتيس دانتا أي ليتيس الخيري . المدينة الأثرية المشهورة التي قامت عليها عظمة الأفرقة البربرية عظمت الرومان أنفسهم وفي نفس بلدانهم .

من وثق ٢ لا تنوي على وجه التحقيق - ودرس بمصنفات الأولاد والثنائية فخرج في الآداب اليونانية والإيطالية والفلسفة وأحقوق : ثم انتقل إلى جامعة برنجة فأكمل بها دروسه وحالف الأوساط القانية

لعمري حتى مهر في الخطابة والفلسفة ، ثم انتقل إلى رومة . ولا نعلم متى انتقل إلى رومة لكننا نجده هناك على عهد الإمبراطور نيسارون والإمبراطور قلوذيوس^١ .

وكان بغير يومئذ كأحد أكابر مملكة العاصمة الرومانية التي كانت عاصمة الحكم والآداب والفنون في العالم القديم في ذلك العهد .

وكان أحد أخصبة المدرسة الفلسفية الاسطورية أو الرومانية التي تقول بالملك والحق وتجاهل العالم وتطلب انصاف البشر عنها .

قال في الشاعر برسيوس Persius أحد طلبة ومريديه :

« أنت يا كورنوتوس بعلب لك أن تفني لبيك ماضياً نطالع
الكتب إلى أن يصغر وجهك من الأرقى والنعيب ، كل ذلك لتقي أن
التعلم على طه الشباب الضعيف فتدفع في عشرة السيم بغير المدي
السياسة التي جاء بها الفيلسوف كيراتوس . »

تعالوا أيها الناس من شباب وشيب : تعالوا طمعوا لئلا تحكم بغير
الغنى وجواهر معانيه . تعالوا وانصتوا لعلوا يا هي لعمري من الحيرة
وكونوا زانكم من هذه التعاليم كوني قربة فتوصكم في راحة الشبهادة
الحرية . »

لا شك أن هذا المحدث شاعر : اعني به الشاعر اللاتيني
برسيوس^٢ .

١ فلورس ليس أبراسور روماني ولد سنة ٢٠٠ بعد الميلاد . روى القريش عن قلوذيوس ليس
تصكم من ١١٠٠ م . بعد ١٠٠ م .

٢ برسيوس شاعر روماني ولد بشرقية (١٠٠ - ١٠٠) . كتب كورنوتوس والشعب
بناط .

المصدر : كتاب الفيلسوف ج. الأندلس . ١٠٠٠ . وخصوصاً ما ورد في كتاب « حياة
برسيوس » : G. Zeyl. Jan. O. Jahr — Berlin. 1888 .

صدر برسيوس تعليقاً لكورنوليوس في السابعة عشرة من عمره :
 تتعلق به منذ ذلك الحين وإلى آخر نفس من حياته . فالتحق بغيره وحسن
 بها وأتبع أفكاره الفلسفية بتركه الخصم وطبقها في سلوكه وسيرته
 وصرق الحكيم . وأتبعه في تربيته ومرشدته ومديره حميداً في الحياة .
 هذا كان بذوقه فقط .

وفي بيت أستاذة التي برسيوس بشعر وروائي آخر يسمى لوفانيوس :
 لكن برسيوس تأثر بشيخه أكثر من لوفانيوس أو أي مرشد آخر .
 فكان بعد أفكاره وشاعبه الفلسفية حادة . فكان يوليه إعجابات الخلفاء
 المتحسسين واحترامه الصادق وبخلافه لغيره .

ثم ما لبث أن اعتاد بعض آيات قصيدته المقدمة ليحرب له عن مشار
 حبه به واحترامه بحمله عليه . قال :

يا أيُّها الذي الجليل فتح لك نفسي بأكمه لكني أريد يا أستاذي
 بخليل وصديقي أحسم أي مكانة لك عندي ؛ أي ساعدك لك على نفسي .
 فلتخبرني وبجربتي أنت الذي اعتدت باختيار الأسماء وقد ألتزم ومعه
 الصادق من الجهرج والحق من الباطل وما هو ملياً حساً وأدباً وأخلاقاً
 طيبة وما هو تفرغ من فؤاد أم بوسني .

أنت تعرف الفرق ولا مشاحة بين هذا المذهب والحق الموهب بذهب
 ثم قال :

كنت في أول عهدي ومفروق طريقي الحياة حينما تسلمت النفس

لوفانيوس شاعر لاطيني ولا بد من ترجمة (١٠٧ ب . م . ١٠٩ ب . م .) كما سجدت حيث
 كليلون الاميني والاساني الامر هو ايضاً . فافهم في رتبة رتبة انتم ولوفانيوس والف
 ملحق بغيره آخره فافهم .

مربعة مضطربة أي مسك تسك . وجعلت دليلي . واعتدت بهدك .
فكملت ونكتت . يقود خطاي والسبب في كورسواء السبيل . قتلت شدي
لن ساحل السلامة وأردتني راحة القلبية الشعة . كنت أغلى من
مالدة طعائل كما كنت أهل من ساحل صعلك وكلامك وكنا تنمي اليدي
نوب فنجوم ونمحص العلوم ونشعل الفهوم .

وتوفي برميوس صغيراً لبكاه أعتاذ ونفع تآليفه ونشر اصالح منها
ونكتت بقية عمره .

لم يقد الامبراطور الثاني قارون . فلم نعم عنه شيئاً .

ترك لنا كورنوثوس عدة تآليف تتعلق بمواضيع مختلفة جداً . فقد
كان يهتم بشدة موسوعية وفكرأ فسيح الابدان . كان فيسوقاً وشاعراً
وعظيماً ونحويأ وكاتباً في شعر المنويات سواء باللاتينية أو بالاغريقية من
ناب لالوتي .

من حيث انه فيلسوف ألف رسالة رت فيها عن استحداث أرسطو من
كتاب كاتخورياس .

ووضع كتاباً في اللاهوت اليوناني الميتولوجي القائم على الاساطير
بين مذهب الامطوثيين في ناول رموز هذه الاساطير والخرافات الدينية .

ومن حيث انه شاعر ألف عدة مسرحيات فاجعة .

ومن حيث انه بلاغي ألف كتاباً في العلوم البلاغية عند ايونك القمامي .

ومن حيث انه نحوي (اختصاصي في اللغتين اليونانية واللاتينية) ألف
عدة تآليف باللاتينية منها شرح مختصر للمحنة فوجيل (الانباضة .
الحاربات الرقيقات الخ) . ووضع تأليفاً آخر في الصور الفكرية :
وتألف في علم الرسم (رسم الكلمات) في اللغة اللاطينية بلغنا منه ملخص

فه كتب في عهد الامبراطرة الاطليانية .

ولم يبق لنا من كل تلك الكتب إلا تأليفه عن الالهوت اليوناني ، وهو كتاب ليس غريب ولا مبتكر من حيث الاصل ولكنه نافع لمعيد المطالعة .

ولم يلبث من ذلك الوقت القيسي القديم أي تأليف آخر في صورته الأولى على الأصل . وبذلك صار يصغر علينا أن نحكم حكماً باتاً فيما يخص فضل هذا الكتاب ومزاياه وإن تقدر مواهبه الكفية حتى قدره وإن نقيم ليوغنه انقلي .

إنما نعلم أنه كان عظيم نصيب في قديم حياته ؛ وإن هذه المسعة الطيبة الدائمة عاشت بعد ذلك . طبعه ماضي قرون على قصده نجه كان لا يزال معروفاً في الاوساط الثقافية عذراً أجمعاً تقدير . حتى كان الكتاب انماشون يولعون كتبهم وينسبونها اليه ما له من نصيب أعني عظيم .

لا شك أن لسانه الشاعر لوقانيوس ومرشد برسيموس وصديقه الحميم كان طليعاً مقدراً وعزاً غانماً وشخصية نبيلة وفكرًا متفتحاً نرجاً مستغياً متطعاً مستقلاً متبعاً .

فهو بموسوعة علومه وبشاع مواهبه ومطام فوقه كان طليعة الكتاب الأتارقة الذين سينشون في المصور كالتة .

سيميوس سافلاروس الجلد . في السنة التي تلى فيها الامبراطور الجاهل كوزنوفوس كان مواجته الشاب سيميوس سافلاروس قد انتج عبده بالحاماة الذي يحكم رومة . وسرعان ما اكتسب صيتاً فاضلاً وانتبه بالشعبي لشدة والخطيب الضعيف .

ولك سيميوس بحيرة لينس ماذا التي سيصوره حفيده الامبراطور تضاهي رومة الكبرى نجلها وكولها ورجالها رسامها بمشاهداً ومعالجاً .

أريد متحدثاً من عائلة برجوازية يونانية مشهورة تلك المدينة ذات
 الأجر قاهرة إلى الآن . وهي من تلك العائلات اليونانية العربية التي
 أتت : في لباسها وعلومها وسوارها وآدابها وفنونها وعلومها منذ القرن
 الرابع قبل الميلاد . لكن حافظت إلى جانب ذلك على يونانيتها التي لم
 ترض بها بدلاً . ثم لما طرخت رومة الرومانية سلطانها على هذه
 الأصناف تروست تلك العائلات في لغتها وعاداتها وفنونها وآدابها . فكانت
 سبقة إلى احتضان الحضارة الرومانية . وليس عليها في ذلك كثير مكفة
 هذه الحضارة الرومانية إلا مزيجاً عكس نسبة العناصر مركباً من الحضارة
 اليونانية ومن الحضارة اليونانية التي أخذها الرومان من صقلية وسردينيا .
 وما كانت هذه العائلات البرجوازية يونانية الأصل يونانية الثقافة فلم يكن
 جميعاً حبيداً احتضان الحضارة الرومانية : حضارة هذا القادم الجديد .
 درس سافاروس بسقط رأته أولاً : ثم سرعان ما انتقل إلى رومة
 في سن مبكرة .

كتب له في ذلك الشهر ستامبوس^١ أحد أصدقائه : « أنت عظيم الحظ
 يا صابقي حيث انتقلت منذ نعومة أظفارك إلى رومة فلم تعرف العز
 الأفريقي . نزلت بأحد لغز لوسونيا ورضعت لبنان الآداب والفنون
 اللاتينية من ثديها الصميم . وقد أحسن الذي تبتك فقد جعلك تعوم ثابت
 أنوار في بحر العلوم والفنون بولاية نوسكافة التي هي بلادها الطبيعية .
 كبرت بين أبناء أعضاء مجلس الشيوخ الروماني ونعمت برقية سافروس
 السيف وأقسم . واجتهدت كل الاجتهاد وواصلت ليأت بتهارك في العمل
 المحسن . »

١ ستامبوس أحد الشعراء الرومانين المشتهرين في عهد الإمبراطور ي . ملك بابل (١٠٠ ب . م .)
 (١٩) كتب : محبة شعرية مدونتها : « ملهقة » و « نيك » غنية يصعب نسخها القليل .
 يمتاز أسلوبها بالبريق ولكن فيه تسليح . وترجم عنها السريدي .

وأتم سافاروس درسه برومة ، وحاضراً ذلك الشاب الهادئ الروماني
المحضر الخشب الصوح : وقف على عهدهم فيما تلا من الأيام وبنوا على
عهد ، فزومين كثر الرومن ، وخرج أحسن تخرج في اللغة وللاحدة
والخطابة والفتون والحنوف ، حتى ظنك قيل له : « أريهم أن تكون
وذلك هكذا بعيداً في أعماق بلاد العرب عسيرة لينين ؟ : احتفاهم
انكاري : لي لا يجوز ولا يكاد يصنف به .

فمن سمع ذلك لغة اللاتينية الغنية وتلك الخطابة التي فاضت خطابة
شيشرون وذلك المحضر الروماني الذي يحكي قصة الحرب (أبناء رومة
للمسيحيين) لا يشك في أنه قد صلى تحت أخيل الذي بنى عليه رومولوس
رومة : وأنه ما أدرك عهد القضاء حتى شرب من بنات يونس اليونانيس
فرومن الحسن زومين .

كان سستيريوس غنياً : فصيحا : جيد الملمحة جميل المادرة حلوا
الذكاة عيباً لجميع حسن المعاشرة يرغب الكل في صداقته والاجتماع
أبه : حتى هذا الخطيب للاثني اليومي في لوساط رجالات الأدب حتى
المعصرين : تلك الأوطان التي كان يختلف إليها كوتيليانوس إسماع
للأمة اللاتينية . والتي كانت لا يفرقها العالم الطبيعي فليبيوس الصغير
ولا الجوارح منسوبة .

نحن نعرف سافاروس الجاد من خلال ما حدث به الشعره «عاصروا»
الذين كانوا يعيشون معه برومة . فمن ذلك أن الشاعر مارسياك صديق
أحداء أربعة مدافع ، يقول في أحدنا : لقد دعوتك للعداء على عاتقي .
ونعلك تنجب أبا العلم القاص من أن أمدحت هذه كاريات . فأن
شغل منها فكيف تتأثر بغيرها ؟ يوما علمت أن جوية الإلاد الأعظم
قد شيع من الفسار الامعية وشرب أطيب الرحيق ونحن مع ذلك لا نترن
تقرب إليها القرائين والمحررين التي والهمود التي لم نلني ؟

كنت حباك لأفك بكل المزاج وأفرغوا حبيك حتى الكمال فون لم تحبل
هداياك للتواضع صناد بقي لك أن تقبل ؟

ذلك لأن سافروس كان شخصية من فوات الوزن في هذه أمة
الرومانية المتنازعة ، وكان يقبل في بيته مجتمعاً متنوعاً بحسب الحكد تلك
حبيب . عندك مثلاً أن الشاعر مارسيل أهدى إليه أحد كتبه : واضطر
عند التقديم بأنه يقدم شيئاً ذاتها لرجل عظيم ، فهو يضع عليه رداءاً ثميناً
في مطالعة سافروس لا معنى له .

وفي يوم آخر نائب الشاعر مارسيل صديقه البلاغي الخطيب حتى أنه
أبداً في مطالعة كتابه الجديد وتقدم بالاحتفاء منه . فقال : أعلم بما
الآن واستعني في نشر كتاباتي الجديدة . ما بالك يا صديقي ؟ لا أراك
نطاع منها مفرح حتى تسترقيها بأذنك حتى جعل طالباً منها انهم .
وسرعان ما يادر إليك تكميم السات والخلق ، ومع ذلك فهي هي عينها
انفصال التي كنت تطلب مني اعادتها على مسعك والي كنت تندر إلى
نحيلها في الوقت : وهي التي كنت تحفظها من شهر قلب من سراج
ونقلها إلى الأدب والمراجع .

...

لقد خدمت ككاتب سافروس التي ألتها ، فلم يسبق منها شيء ،
لكن تلمع شخصيه المرموقة بوضوح في مدائح سانسورس ومارسيل ،
كان خطيباً مصقلاً ممتازاً محترماً موفراً الكرامة في نيوحه وفي سيرة
حياه .

قال له ميسورس : يا سافروس اغارس الخوار والخطيب المصنع
والبلوغ ، تصعدت تصبح ، وشرائح الناس على لسانه الشعبية للاسراع

الذي : كذلك لا نبيع إلا فلك وميثاق لا يحتاج إلى مداورة غملا .

لقد كانت ثروته ومربته الاجتماعية السامية يسعدان له بأن يعمل مستقلاً . فلم يكن يتهافت على التصايا ولا يبتذل في التحاكم . بل كان يوزن لقبه فرائضاً يتفق موجداته في بضاعته الفكر واداءة الذكاء والمهنة . فكان مع أصدقائه يتجاذب أطراف الحديث في شؤون لأدب ، فلك دينه ، دأبهم في رومة وتكلموا منحت له الفرحة حاجر إلى لبادية المروعة . فينقل إلى حقول إيتروريا أو صاينا ، وهناك بين الهلال وخيل والبحرات والمروج والقيات ، على خفيف الأوزان وحريز ليلاه وتغريد الطيور ودخدخة ألحمة الشمس التي ترمل لها الذهبية إلى الأرض . . . ينقل سقاروس على الدراسة . ويرجع لظلم الخلف المكتب لكثرة التي صعباً . أنها كتب « ملاحظات عن فن البلاغة » الذي لم يعلن والملي أحمد عليه كواثميانوس البلاغي الروماني الكبير ، مطلقاً أحمد ابن رضى في كتاب أعدته على تصانيف شيخه عبد الكريم النهشلي .

وتراه أحياناً يفرض الشعر ، حتى قال فيه الشاعر ميسوس أحمد ما يطلب لك أن تعيش بالآريش : وأن تستجم بالبدية ، وهناك قالت كليلك الشربة . لكنك أحياناً تنزل إلى شعرك . فبتلك في عزلك القلعة تواقع على غرد الشعر أبدع البزات : فخرج الصورة أعدته من صحتها .

قال ذلك أصدق سقاروس : « انك أنطقت لاقامة برومة منذ لومة اعتادك حتى لم يبق منك من الألفرة شيء . طمست لوطاحياً ولا يوبينياً ولا لياً . فلا ترى في فغلك ولا في دلائلك شيئاً من القوطالجنيب » . قالت يوعاني أصل من طلب أبطالاً . ويوجد برومة من ضمن أرومانيين أبناء ليا يشرفون بحضارتهم وبلاغتهم وآدابهم وسلوكهم مستط زعيم .

إذا كان الغاية بارصين في نقصر الجهاديات فالطبيعة غلاية على شومها . وأضرتك سقاروس الشبخوخة ، فرجع إلى مستط رأسه ليس

مدلاً بالأخوام والمجد والعلوم والآداب . واسترجعت القريفة الدائمة
مناحتها وتلك بضاعتها ردت إليها . وهناك حضر حانانوس الشريخ المظيب
الفارس ولادة حفيده الحقوقي الخطيب الأميراضور .

ومضت شجرة حانانوس القريفة من جديد منذ الله في أرضه . حتى
أن حفيده الأميراطور الشيخ لم تكن تعرف حرفاً واحداً من اللاتينية .
وأن حفيده الأميراضور الكبير حافظ إلى آخر أيامه على حرش رومة على
الهيئة القريفة .

ستيموس حانانوس الخطيب :

من فضل القدرة القريفة وحسن القرب بها أجيال رجال سياسة ناجحين
من صميم القريفة القريفة جلسوا على حرش رومة .

ومن هؤلاء البنوس السوسي . ولد بمدينة مومة بنوس . وكانت
نفسه خضروميتوم : ومنهم آل غوربانوس الفاضلة اللين كانوا
أدباء يقدروا كانوا حقوقيين . وكانوا معارفين بقوم ما كانوا رجال
دولة . فاهبت لهم بنوا قصر الحزم بن مومة وصفاتس الذي بضاهي
لكوليزيوم برومة العظمى .

ومن هؤلاء الإباطرة اعطاه ستيموس حانانوس الخطيب وأخوه
الامسكندر كلاهما من أبناء ليس وحفيد حانانوس الشيخ الفارس
الخطيب .

ولد بمدينة أبتيس التي لحياها وجد حياها ووريح رابنها وشبه معانها
وأذاع صيتها : ودرس بها ملك أهدانه وأرفع في سلم الطلاب درجة
خوجة من الميرك الأسفل إلى القمة . وأخبر في ملك العلية كافر سيط

واكتسب نرجسته درجة درجة إلى أعلى النوب .

ولد بلدية ليس سنة ١١٦ ب. م. وأقضى فيها طفولته وشبابه .
وأثر بها إلى آخر أيامه كما تأثرت به إلى آخر أيامها .

فقد إن عائلة بوليفية برجوازية عريقة ، وأبها تهايت ثم ترومنت
وبقيت مع ذلك على بوليفيتها وأغريقتها . لكنها كانت تحب محمد السيف
وعبد القلم . فاختتمت بترية سافاروس الصغير كل الاهتمام وسبرت على
أن يفتح كل مراحل التعليم .

فقد لأن العائلة لا تزال مسرعة ونفاليدها تقايد علميخ والشباب هو
أبعد كثر الطموح . رأي عوب في ذلك ؟ فلا صبر عليه ولا حصار .

ومع أن عائلة ما زالت تتكلم اليونانية وتكتبها وتحرص على نفسها
والحفاظ عليها منذ نوز فانه تسم لبونانية ولاحية ذلك لأن العائلة
ط ربة فارس وقد تكتب كثير من ثرائها في وظيفة قاضي نصارت
اليونانية لغة الوطن . واليونانية لغة التجارة . واللاتينية لغة المهنة .

ولا بلغ لفتي سافاروس المهمة عشرة كان يشرب من الاتقاء حسب
التقاليد الجارية يومئذ . فكان يلقي الخطب المترجلة في الساعات العاسية
معدة ليس ليخرج في الخطابة أسن تخرج بالتدرب عليها في كل يوم
حتى تزول عنه الحسنة ومنع الجسوع ولذلك ضعف الاستعداد .
كان حقيق المسن باليونانية ولكنه لا يزال يومئذ قليل المعرفة باللاتينية .

ثم لا بعد ماركوس أوريليوس (صاحب غزون لرحم . الأثر
الروماني الحليل جنينة حواليس) عرش رومة انتقل سافاروس إليها
وهناك تعاضى دراسة الحقوق على حدة أساتذتها في قوانين مثل مكينولا
Macculola . لم تأسى حواسه هناك أنه إلى تكية ، عاصمة
اليونان والحقبة اليونانية ، فأكمل هناك بعضه الأدبية والفلسفية والطبية .

وكان يتدرب في الآن الواحد على خطابة الاساطير والميتولوجيا عند
الأغريق .

ثم نقل راجعاً إلى رومية الكبرى : وتعلم بها عدة مهني . باشر
أولاً مهنة استاذ بلاغة وخطابة في المختبر اليونانية واللاتينية : ثم سجل
ميد ضمن قائمة المحامين لدى المحاكم الرومانية ورعى المنفع من القضايا
الحزبية . ثم سرعان ما تبين له ان هذه المهنة قليلة الربح فنزل إلى
ميدان الحياة .

وفي سنة ١٧٢ م. دخل محسن الشيوخ كرتيب : وكان يوشك
في السادسة والعشرين من عمره : وسعد براتب اعظم سياسي . فصدر
خطيباً عسكرياً وزجراً حريماً ومعيناً لدى بروتستانت (لمقيم اعدام)
بإفريقيا : وادخل عدة معارك في كثير من الحملات العسكرية واضطلع
بأعمال عدة وظالت : ونجح في كل واحدة منها .

وبعد ذلك لم يمس عليه إلا سكان حتى بويج ابراطوراً على عرش
رومة سنة ١٧٣ وفي بصرى إلى سنة ١١١ . وكان دينه طول الحياة
احمداً : فلما أخذ يختصر كان آخر لفظة تليق به *Laboremus* : لنعمل :
فدأبت شعاراً .

كان بعض كل أيام حياته : فاذا صرف عطية أولاً وبالذات لتوتون
لدولة فانه لم يسجل ثمر الآداب والعلوم : فكان إلى آخر أيامه يذكر
انه ابتدأ عمله كخطيب وخدم .

كان خطيباً مصنفه إحصائياً أعاداً لأفكاره فكتب البيرات في خطبه
الموجهة إلى الجنود : أما خطبه التي ألقاها بمحسني الشيوخ فقد أفرغ عليها
ثوباً من الخيالات الكسروانية نسياً : فبلاغته بلاغة رجس واد ليهم ويريد
ان يطلع .

وكان إلى جانب ذلك شياً ندرس الطب وحده ، فكان يهتج شخصاً ما
ويحس منه زاد المسافر من الأدوية ولتخبر إلى وعشها جالينوس
وقد نعت في حراسة السمعة وحقوق الرياسة والمصانة والآداب
ولف حدة زائف ، منها ، مذكرته ، التي كتبها باليونانية ولورد فيها
حياته الخاصة والعامة بنية صداقة إلا أن كان يحاول أن يحضر عن
قصوره لاسيما مقتل مزاحمه الهرس الذي كان يرأسه على عرش رومة .

قال عنه المؤرخ جون كاسيوس الذي كان يعرفه عن شخص : « كان
شغراً بمعرفة الآداب أكثر مما كان ينبغي فيها فكتب نجد لديه كثيراً
من الأفكار وتللاً من عبارات الجملة » .

وقد رد بعضهم عن ذلك بأن جالينوس لم يكن يعرف حقيقة جون
كاسيوس ، فإذا حكمه عليه من خلال خطبه التي كتبها بمجلس الشيوخ
فبعد سفر الأسبوع إلى أربعة عشر يوماً ، ليس هناك إلا قوة
وعزيمة وإقدام وإيجاز وبرود وبرز .

كان جالينوس يحب أن يحيط به رجال الآداب ، لكنه لا يحب مجراً
أهل رومة ولا يتلقاهم ، فهو يصبر الفريسي الجب لليس ، قد تزوج
ابنة سورية من حمص ، لك وآدابها يونانية ، وهو هو الذي يعرف أسرار
اليونانية ولم يحاذق اللاتينية إلا قليلاً ، فكان في قصر جالينوس
يعيش في عدد أدبي يخطف فيه لأفارقة والبربان . قرئ فيه كثيراً من
الكتب والعلماء المشاهير ، مثل الشاعر أوفيدوس الذي تغنى في معروضاته
بملكات الحب فهو مثل الشاعر لوطوط العربي في طرائفه ثم أبي نواس
في طردهاته : والملكات سامونيكوس : والمحرفين أوبيانوس وبيثانوس
وبد كانا جديدي في الدراسة وكلاهما من أهل سوريا : والجيلسوف
ديوجينيس لاكزيموس والمغنيب القريبي أبلوس والشاعر الفرنسي فوريانوس
الذي كان في ذلك شاعراً ردياً يصنع عرش رومة وبينهم مسرح الجمل

اشتهر ، والفصاحس ايلياكوس المثقب بلسان فصل اعلمية قصه رجال
حكايته وموسيقية الخاطه .

في هذا البلاط الأتوبي والعصي والمصنفي والسياسي كان الناس
يتكلمون اليونانية لغة الأمبراطورة السورية الحمصية ، وهي أيضاً لغة
لمحبية قلب مينيموس . وذلك لأنه نشأ على معرفة اليونانية لغة أبائه
وأجداده وكانت دراسته يونانية وما جاء للاصينية إلا مؤخرأ .

فهو يوناني أساساً . ومنذ صغره تظفاره كان يتعلم هذه اللغة في
جهاذه وحجبه العسكرية واغلاجه لآزبقياً والغرب . وما جلس على
عرش رومة أولى أوطانه الأفريقية اهتمامه وحديثه ، فيني وشيد ومستر
وأخبا وعصمه للفتون الواحد على الجميع وأيد الأمن وأمسى شرطة قوية
الفعالية ونفع الجير المصري والنفع الأرضين لابناء جلده ربي الطرف
والجور .

وأكثر بيومته للموظفين الأفارقة فكان وزيره يوليوس من أبناء
مديته .

وكان بلاطه عامراً برجال العلم والأدب من الأفارقة .

هنا هو الرجل العظيم والسياسي الماهر والكاتب المشهور ، الخطيب
المضيق والرجل الثاني الذي قال عنه منجموه : « كان الأفارقة يعبدونه
عبادة الآلهة » .

الامبراطور سالاروس :

هو أيضاً من هذه العنقة من لياصرة الافارقة وخاصة من آل
سالفاروس ، جلس على عرش رومة واكمل مهمة مينيموس . كان

عظيماً مصنفاً وشاعراً" وثاقداً الذي نضاه حجة القباصرة .

وأنهم عن الخصوص بلهجات وتأسيسها وتنظيم القصم لها ، فليبري
منح للترجمة الوضحة على تعدد العديد من الطلبة الأفاضلة الفقهاء وأسس
برومة والولايات والأعراف جديداً وفيراً من الفكر العربي الجمعي للترتيب
للإضافة والنحو والطب والعرفه والتنظيم والرياضيات وغيره الاثقال .

• • •

الأدب العربي

إذا أطلقنا في الحديث عن الأدب العربي قبل الإسلام وبلغت غير العربية
فلا أن مجهول ندين في الغالب وهو أكثر مدون لا نستطيع به ولا نعتد به .
أما الأدب العربي فمع احتياجه التأكيد معرفة معناه هذا انظر إليها
العزير ومع حدة شوقه إلى توضيح ملامحه فهو مصوم بالحيلة .

بدأ هذا الأدب سنة ٦٣ حين فتح عمرو بن العاص ليبيا . واستمر
بهذه الصوف إلى يوم الناس هذا والمستقبل له ، من مستقبله أنظم
وأغنى . وقد أحسب هذا الأدب على وجهه الخجلة فوجدنا أن رحلات
هذا الأدب بالمراسل القصص لا يغفل عن مسألة ربح . وليس عند
النبي ، القليل في خطر الليل المكن بالاضافة إلى مساهمة : ولكن هذه
معقول بالنسبة إلى الدرر الثقال الذي قامت به ليبيا بين الشرق والغرب
خلال العصور الإسلامية الزاهرة .

وبداسة هذا الموضوع الطويل العربي على أي منهم بها لولا
وبالذات .

لنقول :

أولاً - المصح الثقافي في ليبيا :

كل دولة تطمح إلى النهوض وتزوي بسهم مصيب في ميدان الحضارة تبدأ بالمصح الثقافي : أي بإحصاء تراثها الثقافي الذي هو تراث لم يصبح تراث شعبي . وإذا كانت هذه الدولة قد بقيت حيلة ما تحت الاستعمار اليغبي : فمن مصادر البحث عن ثقافتها وعلمونها وآدابها ولغزاتها تكون موال تلك الحقيبة بلغة الأجنبي المختل . أو بلغات أجنبية مختلفة .

وهذا عام في الانتظار العربية ولا يزال قائماً إلى الآن مصادر البحث عن شجون المغرب الأقصى الشبلي المسمى قديماً ياريف الذي كان تحت البحر الأميني وقد كتبت كلها أو بعضها باللغة الأمينية . واكثرية مصادر البحث عن الجزائر والمغرب الأقصى (المنطقة التي كانت فرنسية) ولونس وسوية ولينان هي بالفرنسية . وأغلبية المصادر المتعلقة بالجمهورية العربية المتحدة أو الأردن أو السودان أو فلسطين أو العراق أو الكويت هي بالانكليزية . وغالب المصادر المتعلقة بتاريخ ليبيا وجغرافيتها وجيولوجيتها وحيويتها ونباتها وأحوالها الصحية وحياتها وغازها وطبقات سكانها وحياتهم وفلكلورهم ولباسهم وأقلامهم قد كتبت باللغة الإيطالية .

يبحث أن العلم العربي الآن يعاني أزمة بيبلوغرافية ولا يشعر بها لأن غالب العارفين والباحثين يعرفون لغة الأجنبية التي بها المصادر والتي كانت لغة المحلل فلا يرون غضاخة عليهم أن يجهدوا فيها مباشرة . وقد تريد أن ينصروا غير هذا ؟

إذا لم تكن إلا الأسماء مركباً في حيلة للتضليل ولا تتحجب

إلا أنه حدثت لزمان ثلاث جديدة .

اللزامة الأولى للشعور بكرامة اللغة الوطنية التي هي لغة العربية لغة القرآن الكريم ولشريعة الطهارة والخصارة الإسلامية والمغرب العربي ولغة الوحدة والمجاهدين الذين استشهدوا في سبيلها .

فأخذ الناس يشعرون كل يوم أزيد فأزيد بأن لا يجدوا عن العربية مع معرفة لغة أو لغات أخرى وجوباً .

تكن معرفة العربية تقتضي تحويها من جديد إلى لغة مصادر تكفي بنفسها ولا تستند إلى غيرها .

وهذا يذكرنا بالازمة التي وقعت في تونس أمام الأمرين وثوابل عباسيين : فإن المسلمين بعد ظهور الإسلام وجهود الفزاة المحدثين وجدوا أنفسهم في رأس امبراطورية عظمى استوعبت أنصارهم الوطنية ووحدها وأضافت اليها معظم الامبراطوريتين السابقتين : الامبراطورية الآشورية (بنو سامان) والامبراطورية البيزنطية والرومانية . دولة وجيوش ودولتين حكومة وولاية وحيدتين كسوراني كامل ، ولكن لكل يعتمد على كتاب من السريان أو من اليونان يكتبون بالسريانية أو باليونانية . وما لغوية إلا انصبب اقليل . فكانت لغة المراسلات الرسمية والعسكرية والادارية . ولم تكن لغة الخرافة والرياضيات والحساب والطب والنبات والحيوان . إذ ذلك أمور المسلمين بغضه هذا المراع فاقبلوا على عمليات من مثالبه :

العملية الأولى : السج الثقافي : أي احصار حالة اللغوية . لانبرى روافد لغة بجمعوك اللغة : ورواة الحديث بجمعون الحديث ، ورواة الأخبار بجمعون الخبر والمغربي والمغربيات .

العملية الثانية : انشاء العلوم الإسلامية الضرورية للإسلام كعلوم

العقيدة والمبادئ والمعاملات . المحتاجون إلى إيجاد علوم آية تفهم العلوم
الإسلامية . فلا تفهم القرآن الكريم أو الحديث الشريف إلا بمعرفة اللغة .
ولا تعرف اللغة إلا بجمع مفرداتها وتفسير معانيها ، ولا يفهم معانيها
إلا من جمع الشعر وفقه مدلوله وضبط موازينه ، ولا انتهى إلى ضبط
الحركة الأخيرة ومعرفة صلة الكلمة بالكلمة من معاني الأعراب إلا بالبحر
ولا يصلح الانطلاق والمعاني إلا بالبلاغة . فأمس المسلمون وبلغوا امتداد
من الخارج كتب اللغة والمعجم والبلاغة والعروض والنحو والفرائض والنحو
والصرف وعلم المعاني وعلم الشعر واشتد الأدهي .

ثم أسوا علوم الحديث من علم رجال وطبقات ومصطلح حديث
وقد سبوا بالتجريح والتعليق وغنى الخط . ووضعوا علوم القرآن إلى
غير ذلك . ثم استخرجوا من الكل العلوم الإسلامية من فقه وفرائض
وحجة وعقيدة وميثاق .

المصيبة الثالثة : وجد المسلمون الشعوب التي احتلها بن يوقان وهنود
ديوانين ورومان وفيرة العلوم كثيرة الكتب فكانوا ألقى منها مسألة
وأعظم منها دولة وأقل منها علماً . وهذا توازن على تعبش في الدولة
الإسلامية في خطر عظيم . فترجعت كل تلك الكتب في عملة المواضع .
لما مضى قرن إلا واللغة العربية التي لم تكن لغة مصدرة بل هي لغة
بالإضافة حتى إلى نفسها قد صارت لغة مصدرة عالية بل هي اللغة
المصدرية للعامة الوحيدة . وذلك أن كل لغة كانت مصدرة بالنسبة
إلى نفسها : فبما ترجم العرب من كل اللغات صارت العربية مصدر
المصدر ولغة العلم والأدب والفن والسياسة والبرلمان .
وأضداد العرب إلى فتوحات العقيدة فتوحات السيف ، ولعل فتوحات العقيدة
والسيف فتوحات القلم ، وأتموا دولة السياسة بدولة العلم .

والعملية الثالثة : هي تهذيب الترجمات والمعربات وتحسين اللغة والتركيب .

العملية الرابعة : شرح هذه المؤلفات .

العملية الخامسة : الاقبال على المؤلف الأصلي باللسان العربي . وتقدم العلوم واختراع الاختراعات والآلات والمآلف في المستحدثات التي احلها المسلمون في علم الهند والأدب والفن والملاحة والعسكرة والزراعة والصناعة وغيرها .

العملية السادسة : جميع ما تفرق من العلوم في موسوعات . أيضا رسائل اخوان الصفاء ، وذلك لتبسط ما وصل فيه العلم وتحرير مسائله وتقرير أصوله وتقريب مطالبه .

ثم جمع ابن خلدون التاريخ وقدم له مقدمة في العلوم التاريخية والسياسة والاجتماعية والاقتصادية : وجمع ابن فضل الله العمري العلوم الجغرافية وجمع ابن منظور العلوم اللغوية وجمع التويرقي العلوم الأدبية في كتابه نهاية العرب في علوم الأدب . وجمع القفطندي العلوم الانسانية وعلم جراً .

لقد هو المسح المقتال الذي تم في الدولة الإسلامية والتي نحب اننا نأمله الآن في جميع الدول الإسلامية .

صحة لعلم الإسلامي اليوم هذا الاعتبار في حياته في عهد الأمويين : دولة سياسة عظيمة تحتاج إلى استغلال علمي ومهني وإن أن تكون دولة علم إلى جانب دولة سياسة . فالعملية الوحيدة هي إعادة التعليم التي ذكرناها والتي تم بها المسلمين في بحر قرن الجمع بين دولة السيف ودولة القلم : والسيادة السياسية والزيادة الثقافية في العلم .

إن قراحت المهي بحد نقد لأم لغات مصاصرية ثلاث قد درست

مواقع بلاد - التركية ثم الإيطالية ثم الانكليزية هي حسب فوائ
لغات الترجمة التي تعاقبت على البلاد . وقد عمل العارفين بالتركية . ونضال
عدد الذين يعرفون الإيطالية . ودار لغوية مكرمة المرموق في التعليم
فانخص نسب الانكليزية .

إذا كان الباحث قد تمكنت من أن يقرأ المصدر في لغة الاصلية من
تركية أو إيطالية أو انكليزية فإن يصاحبه في لغات الأجنبية في انشغلي
في تسليح به بالبحر في المصادر وتناولها مباشرة . فلا هو يستطيع قراءتها
باللغة الاصلية الأجنبية ولا هو يجدها بالعربية مترجمة . بحيث أصبحوا
في أزمة وعلى بوابة أزمة . وحل هذه الازمات بانقطة الياس لا يكون
إلا بذلك المسح الفضي الذي لم يطلع الإسلامي في صدر الملة . وعملات
المسح الثقافي هي الآتية :

العملية الأولى : عملية ترجمة . والترجمة تكون حسب الأصوات الثلاثة :

الأصل الأول - ترجمة المعوم والأقارب والمترجمين والتواريخ اللبية
أي باللغات اللبية القديمة من يونانية ويونانية ولاصينية . ولا ضرورة
لمعرفة هذه اللغات لتقل منها فتوجد مترجمات لها بالانكليزية والإيطالية
والفرنسية يمكن الاستقاء منها مباشرة . غالب هذه الكتب موجود في
المكتبة دائرية متحف الشحات .

الأصل الثاني - ترجمة المصادر اللبية التي كتبت بالإيطالية أو الانكليزية
والتي تسمى في الغالب بالمعوم الآتية :

١ - الحيوان النسي .

٢ - النبات .

٣ - الزراعة .

٤ - طبقات الأرض .

٥ - الري .

٦ - الأكراد .

وكل هذه الكتب أو الرسائل أو المقالات مجسدة في شبكة العلوم الطبيعية الـحيية الموجودة نسخ منها بمكتبة الجامعة ببنغازي ومكتبة الآثار بقرابلس . وقد أنامت هذه الشبكة تجاويد نقدية بالمقالات في هذه العلوم .

ثم :

٧ - الموجات .

٨ - الفولكلور .

٩ - طبقات الأجسام الـحيية .

١٠ - تاريخ ليبيا

١١ - الفنون الـحيية .

١٢ - النباتات الـحيية .

هذه المواضيع قد درستها كتب الايطالية الصالحة بالنص في الـحيية ولا سيما كتب الدكتور استير دانيلا Ettore Danello ودكتور المعارف الايطالية Zec.Hel. في مواد المدن الـحيية : قرابلس - بنغازي - عات الخ ... وكلها معقبة ومثيلة بالنص .

الأصل الثالث - التعريب القصصي والأصيص والروايات والمسرحيات والمسجلات وكتب التاريخ التي كتبت باللغات الأجنبية الحديثة والتي عرضت مواضيع الـحيية . وهي كثيرة وتعطي صورة أدب ليبي أصيل بطريقة أبناء ليبيا من هذا الشباب الناهض .

العملية الثانية : وهي عملية مسح للثقافة اليبية وتشمل الأصول الآتية :
الأصل الأول - وضع معجم مختصر للشؤون اليبية فيه دراسة قصيرة لكل فصل وتلخيص الدراسة بأوفر المصادر الصحيحة بالموضوع مهما كانت لغتها .

والمواضيع على ثلاثة أضرب :

الضرب الأول : اعلام الاشخاص من رجال أدب وعلم وسياسة وصناعة وجهاد واقتصاد وعسكرية في أي عصر من العصور عاشوا .
فأخذ شخصية عمر المختار مثلاً وترجم لها في نصف عمود وتلخيص بالمصادر .

وتستخرج عنه التراجم من :

الاعلام للزركلي . معجم المؤلفين لعمر زحبا كبحالة ، مكتب التراجم اليبية ، الدلائل الخاصة بياض ، الدباج المذهب لابن فرحون ، وموتقات الأستاذ علي مصطفى المصراحي الخ .

الضرب الثاني : اعلام الاسكنة اليبية من مدن وقرى ومدائر وولايات ورجال ومهول وأنهار وخلجان ورؤوس إلى غير ذلك .

تستخرج هذه الاعلام من كتب الجغرافيا القديمة والحديثة مثل اليخويين والادريسي والبكري وليون الافريقي (محمد الوزان) والنجاشي وكتاب الجغرافيا لبيبا . وتقبل كل كلمة بالمصادر بأوفر ما يكون .

الضرب الثالث : الكلمات الخضرية مثل سومبية ، جهاد ، حرب ، موسيقى ، طعام ، لباس ، سكن ، معار : أدب ، أدب شعبي ، زواج ، غنن ، طريقة ، إلى غير ذلك . هذه الكلمات على اختلافها من اعلام شعاعين واعلام جغرافية وكلمات حضارة ترتب ترتيباً ليجداً وتخرج على الاختصاصيين من النيبين والعرب والأعجب ، وترجع إلى

لجنة مركزية تتولى نشرها .

الأصل الثاني - ينقل ما يوجد في كتب التاريخ والجغرافيا والأدب والفن والترجم الإسلامية ما يتعلق بلبنيا وينشر في مكتبة على حصة تسمى مكتبة الميية على غرار المكتبة العربية لجمعية المكتبة الإسلامية ومكتبة الحرب العالمية . يفرض ان لا تقلد قسم المعلق التاريخ فنقل فيه ما ورد عن نبينا في ابن خلدون وابن الأثير والخروج وعلم جراً . وفي قسم التراجم نقل ما جاء في مدارك الفاضل عوامس والكياح لابن فرحون والمحرسة الاصنافي ووفيات الاحيان والوفاء المصدي وغيره جراً .

الأصل الثالث - وضع المجمع انظمة الآثار والموسيقى والفنون والحجون والأمكن والمعارف والمواكوز والمهجرات بطريقة علمية .

مثل مجمع قصود لبا : ومجمع استقونات البرزخية واللاطينية والعربية والتركية : ومجمع الامم الميية : ومجمع الانجلي : ومجمع حادات البحر من ولادة وفن وفن وفن : ومجمع الائمة : ومجمع لصناعات التقليدية الميية : ومجمع الفخر الميية . ومجمع القود على اختلاف الصور الى غير ذلك .

الأصل الرابع - جمع النظم طائفة الميية الموجودة في المجلد ونشرها ونشرها نظراً عنها مع النصوص المخرجة

الأصل الخامس - جمع ما يوجد في خزائن الدول من وثائق دبلوماسية وعربية وغيرها ونشرها ونشرها لفضها الى دار لمخطوطات الميية ونشرها في مجاميع .

الأصل السادس - جمع الصحف الميية التي توجد في متصرف الخارج ونشرها لنقل صورة منها للصحف الميية بطرابلس .

...

كل هذه الاصلان تحتاج إلى هيئة تشرف عليها وتسيرها . فلتسهم
هذه الهيئة بمعهد الدراسات الالهية أو للجمعية العلمي العربي ، بالأمر بمرء
إلى اخواننا القريبين أنفسهم . ولكنه من الأهمية بمكان وهو طويل النفس
فالبادرة أولى . وفوق كل ذي علم عليم .

فيان الكمال

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

آراء في تفسير طبيعة الأصالة عبد الله بن عبد الله

للدكتور شكري جعفر
أستاذ مادة اللغة في جامعة القاهرة

استرعت ظاهرة الأصالة أو الابتكار أو الخلق أو الأبداع في العمل الفني ، بما فيه الشعر ، وفي العلم ، انتباه الباحثين منذ أقدم العصور . غير أن الباحثين القدماء لم يستطيعوا ، لعوامل اجتماعية وعلمية معروفة ، أن يفسروا طبيعة هذه الظاهرة السايكولوجية تحسراً مقبولاً عقلياً لنا للامرة . ويبدو أن المحاولات الجديدة التي بذلت في هذا السبيل ، في ضوء المعرفة الحديثة ، لم تبدأ إلا في النصف الثاني من القرن الماضي . وقد ارتبطت أصالة التفكير : منذ ذلك الحين ، بالعقيدة : التي تكبر من التعيين بدولتها وإن انحرف هؤلاء ، إلى درجة التناقض أحياناً ، في تفسير طبيعة العقيدة وكيفية حدوثها عند بعض الأشخاص دون غيرهم . وهناك مؤتمرات علمية ، على وجه التحديد الدولي ، لدراسة

هذه الظاهرة دراسة تحليلية ، مستفيضة بالنظر لأهميتها في نظر الفرد والمجتمع
على حد سواء^{١١} ، فنشأت لي بحري البحث الآراء التالية :

أولاً ، رأي بوردو :

أوضح بوردو (١٨٣٥ - ١٩٠٩) ، الباحث الإيطالي وجهة نظره
في العبقرية في كتابه : «حداشب العبقرية» في الفصل الذي سماه «العبقرية
والجنون»^{١٢} التي نشره في أعقاب دراسة خاصة تناول بها بعض
الشخصيات العلمية التي اشتدت بالامهالة واضطراب السلوك في أواخرها ،
ولمنا نجد بوردو يعتبر الشخص العبقرى فلكة بالجنون من تلك الطبيعة
لأن العبقرى يختلف عن الشخص الاعتيادي : يفكر ، يفكر ، يفكر ،
تكوين دماغه من الذخيرة التشريعية الباثولوجية : وإن علم الذكاء هذا
يظهر عند العبقرى ، على ما يقول بوردو : إذا تضخم بصره في حجم
الدماغ أو تضخم المسحوظ كما هي الحال عند المصابين بانصرع ، الداء
الجنون ، على ما يصعبه بعض الباحثين . ولا رابطت العبقرية بالجنون
من تلك الحين ، ولما كان رأي بوردو هذا مرتبطاً بأرضي الارتباط برأي
في تفسير طبيعة الأجرام وما ينظر لكون الباحثين اعرب قد تولوا ذلك
عداية كبيرة ، فلا نرى سبباً لمخول في تعديل هذا الرأي بل تكشف
بالنظر الذي ذكرناه .

ثانياً ، وجهة نظر كالون :

شرح السير فرانسيس كالون (١٨٢٢ - ١٩١١) العالم البريطاني

وجهة نظره في تفسير طبيعة العبقرية في كتابه العبقرية الموروثة^(١) الذي نشره عام ١٨٦١ : وفي أبحاث أخرى لاحقة في اعتقاد دراسة تحليلية مقبولة أجراها على طائفة من رجال الفكر البريطاني في حقل السياسة والاقتصاد والقضاء والعلم الذين تربطهم روابط القربى والنسابة. فوصل الى تعريف العبقرية على أساس أنها : « قدرة عقلية عليا فطرية فريدة » أو أنها « ذكاء حاد يقدّر به بعض الأشخاص دون غيرهم » . ثم امتاز كالكون ، في سني بحثه الأخيرة ، الى « الانكسار الطارقى » : في تفسير طبيعة العبقرية ، صفات أربعة أخرى اعتبر تلاحماً منها لطرية وحزب الرابعة الى عناصر بيئية^(٢) . هذه الصفات الأربع هي :

١ - استقامة أو انحناء : بمعنى جريان تصور الذهنية والأفكار عند العبقري جرياناً غير عادي يحدث للقياس أو بصورة خطية ، وتعقل المدح السلوك بالأفكار التي الجديدة قادر ، من وجهة نظر كالكون ، على جعل تلك الأفكار تناسب مخرجه يسر وتتابع والسجام وتكامل دون ان يصدها حتى من أي نوع كان .

٢ - المثقبي أو الاستقبال أو التسليم : بمعنى استجابة لشعر العبقري يسر ما يجري حوله من مؤثرات بيئية غير محدودة المقدار والتنوع .

٣ - الانغماس : الذي هو ، عند كالكون ، حس نفسي يترك انظر من لفافضة المستعمية بشكل مباشر دون الامتناع بأداة حسية أو واسطة باقية .

٤ - الشهامة التي تبدو في المثابرة ومواجهة الجهد الفكري المضى والتحكم الصحيح بجملة وكفاية وثقة بالنفس .

أما طريق : صنع « العباقرة » عند كالكون ، فهو تحسين النسل Eugenes الذي يتم عن طريق تزاوج افراد الأمر التي تنصف بالعبقرية.

وقد أدى انتشار مبدأ : تحسين النسل ، إلى نشره جمعيات خاصة تدعو إلى تطبيقه وتطبيقه في أوردبا الحربية وفي الولايات المتحدة : فتشأت أول تلك الجمعيات في الولايات المتحدة في عام ١٩٢٦ ، ثم اتسع نطاق هذه الدعوة فانتقل إلى الجامعات ومعاهد البحث العلمي في فرنسا وإنكلترا والولايات المتحدة التي سيطرت فيها تشريعات خاصة أهمها : قانون التلقيح الذي وضع موضع التنفيذ في ولاية كاليفورنيا قبل اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية . وأخطر عجلو هذا المبدأ ينشرون مجلة شهرية تنطق بأصواتهم منذ عام ١٩٢٨ . كما أن مؤتمرات دولية متعددة قد عقدت لمناقشة قضايا : تحسين النسل ، أشهرها مؤتمر نيويورك في عام ١٩٣٢ الذي أوصى بضرورة انتقاء العناصر ، الأكفيلة ، من السكان وتشجيع تزاوج أفرادها : وبحرمان الأوساط الاجتماعية ، الحربية ، أو ، المتعدية ، من التفاضل وذلك عن طريق العزل والتعقيم وعن طريق التشريع المراجع . وقد استعمل ذلك كله على أوسع نطاق في الآلية النازية . كما انتهى عن رأي كاشمور في : عبقرية الموروثة ، مبدأ : الذكاء القطري ، الذي ترجمه منذ مطلع هذا القرن شارلي سبيمن عالم النفس البريطاني ، ومبدأ : الاختبارات أو مقاييس الذكاء ، التي نادى به ، في مطلع هذا القرن أيضاً : ألفرد بيني (١٨٥٧ - ١٩١٠) طبيب الفرنسي .

ثالثاً ، رأي كريشمر :

شرح كريشمر : علم الأمراض العقلية الألماني ، في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، رأيه في تفسير طبيعة عبقرية بكتابه : علم نفس ذري العبقرية ، الذي نشرت ترجمته الانكليزية في عام ١٩٣١ ، بالامتنان إلى وجهة نظره في تفسير طبيعة الأمراض العقلية التي شرحها في كتابه : البيئة الجسدية والخلقية ، الذي نشرت ترجمته الانكليزية في عام

١٩٦٥ : ربما ان وجهة نظر كريتشمير في تفسير طبيعة الامراض والاختلاف المزجة الثامن او مظاهر سلوكهم : وهي اساس رايه في تفسير العبقرية : ثم تلقى العناية التي تستحقها لدى الباحثين العرب فقد أثرت شرحها ، بشيء من الاجاز غير النخل : تمهيداً لتوضيح جوهر العبقرية عند صاحبها .

ينقسم البشر عموماً ، من وجهة نظر كريتشمير : الى ثلاث مجموعات او انماط كبرى من حيث اللامع البارزة في تركيب اجسامهم . هذه الانماط هي :

أولاً : النمط الضعيف *Weakness* الذي يصف وجهه بالطول والاضراج القليل في نهاية الغضن : مع قك اغفل خدام بعض الشيء : وبوجه هل نسق الجسم يتصف بالنعافة والامتداد من طراز ابراهيم لتكن احد رؤساء جمهورية الولايات المتحدة في القرن الماضي .

ثانياً : النمط القوي الجسم *Strength* من طراز المخصصين برفع الاثقال من ذوي العضلات الفتولة والوجه الذي يشم بروز عظامه ودفعة حكة وبألفه الخاضع *Recessive* .

ثالثاً : النمط الغليظ الجسم القصير *Pygmy* إقامة صاحب الوجهه المستدير الذي تبدو عليه سمات الصحة والانشراح : مع ذقبة غليظة قصيرة .

ينقسم أونتث جميعاً من ناحية امزجتهم الى نوعين : كثر يقول كريتشمير : هما النمط الشكس على تصه والنمط النبط الذي يجتمع نحو الاختلاف بالآخرين . يتصف اصحاب النمط الانطوائي *Schisoid* عند تعرضهم لأمراض العصبية : بظهور الوسواس والاوهام وهم المصابون بالزولونيا . اما في حالتهم العلية *Schizothyme* فيشعرون بالفساد

والانزواء والتهيب وبالطوار ولوناء ودراسة الاخلاق والتأمل في مظاهر الطبيعة . وأوضح مثلاً على ذلك النمط : حيث كريتشمر : ابراهيم لنكولن ودي فيلبر الزعيم الابرلندي ومعظم ملوك النكلترا من أسرة ستورت ولعلم الفيزيائي روبرت ماير الذي اكتشف مبدأ حفظ الطاقة . هذا النمط بالنمط *Opeloid* فيكشف افراده ، عند تعرضهم للاضطرابات العصبية : بنوبات عصبية متكررة متعاقبة تفراوح بين الكتابة والرسو . أما في حالتهم السليمة *Opeloid* فيصفون بانظرف وزوج المصاصة والفازل ورقة القلب ولتأرجح بين الحب والبغض السريع ذاتعفاء . ويحس كريتشمر غوتي الشاعر الألماني افضل من يمثل هذا النمط وقد حل بحرق حياته تحليلاً مفصلاً لا نرى لزوماً يبحث .

لما العنصرية ، في رأي كريتشمر : فهي المخاوف بالتولوجي عصبي وراثي موجود لدى بعض الأسر المصابة بالشذوذ العقلي . ويستشهد بالمرء يتوخر دخولي روبرت ، وياخ ويخطئ الخيل . وقد حدد كريتشمر صفات عقلية معينة تملو حامل العبارة المرضي الذين هم من نمط *Belomothyme* تميزهم عن العبارة المرضي الذين هم من نمط *athymothyme* . كما حدد أيضاً صفات عقلية خاصة ومختلفة منوكة معينة تميز بصرفات العبارة لمرضى الاصاب والتمالين تميزهم عن العبارة المرضي لعلماء في كل من الشخص على افراد . العبارة الادباء والمخانون لمرض من نمط *Sidomothyme* يصنعون ، على وجه العموم ، بنظر كريتشمر : تميزهم نحو الرومانسية والشككية عموماً . في حين ان العبارة لعلماء المرضي ، من هذا النمط ، ينجحون نحو الامتد الميتافيزيقية والنسقية المجردة . أما الاكباء والمخانون لمرض من نمط *Opeloid* لهم : بنظرة ، واقعيون وهزبون في العادة وكذلك العبارة لعلماء المرضي ، من هذا النمط ، فانهم واقعيون أيضاً ينجحون بشولية للخصوسات ولا يكتولون بدوامه النظريات والتفصيا الفكرية المجردة .

يعبر كريشمر ان غوتي (جيت) الفصل من يمثل النمط البسيط، وان جسمه من النمط الغليظ القصير ؛ وان حياته كانت مسرحاً لتوسعات عضوية متبادلة تصبغها الكتابة او العلم حياً وتضمرها البهجة والرهو لحياتاً اخرى . ولد بدأت اولى ارباب الزهو عندما بلغ غوتي ثلاث عشرة من عمره في عام ١٨٩٧ أثناء وقوعه في غرام فتاة تدعى كاتلين سكوتيكوف. ثم اصبحت نوبة الزهو هذه نوبة غم وانكماش وتزمت في الشين، امتصت سبع سنوات تخط بعدها غوتي في عام ١٧٨٠ لتترك عنه الرمي ، دون ان يجبر رئيسه او يحصل على اذن منه ، ويظهر فجأة في ايطالية حيث ارغم بالحضام النجون الذي قاده الى ان يتزوج لفتاة حاملة من اسيرة تضطر الى السبعة المحترمة . ثم عاد من جديد الى حياة الركود . واخذ يتراجع بين الحالتين بفترات متعقبة تفصل بين كل منها سبع سنوات حتى عام ١٨٣٠ . وكانت له مبهت ذلك فترة عجيبة بدأت في عام ١٧٩٤ عندما الام غوتي علاقة صداقة مربية مع الشاعر شيلر بعد جفوة امتصت بينها سبع سنوات ، وكان يقع في نهاية كل فترة من الفترات الاربع الواقعة بين ١٨٠١ و ١٨٣٠ بغرام إحدى الحيات . كل ذلك لاحظته كريشمر . كما لاحظ ايضا ان اسيرة غوتي كانت تصنف بالانحطاط العقلي الذي هو اقرب من البقرية التي هي من النمط المبسط . فانه كانت ذات جسم من النمط القصير الغليظ ؛ ومزاجها من طراز *Pyelothymic* . مما ابره فكان غريب الاطوار . ومع لغوته الخمسة فكانوا ضعاف الاجسام : مات اربعة منهم في سن مبكرة إلا احد كورنيل التي كانت من نوع *Schizoid* وتوفيت في السابعة والعشرين من عمرها بعد ان عاشت مضطربة الاعصاب غير موية مصابة بالارهاق والوساوس .

ومن الطريف ان تشير هنا الى ان كريشمر يستبعد النساء من حضيرة العزلة إلا في الحالات التي تنصف لها بعضهن بعض صفات الرجال ، كما يقول ، مثل الشاعرة الالمانية دورست وملكة بريطانيا

انزياحت الاولى والامبراطورة كاترين الروسية وملكة السويد كريستينه .
ويعزو برودهن التاريخي الى كورنيل ، بطريرك : رجالاً ، يري نساء .

رابعاً : العبقرية من وجهة نظر مدرسة التحليل النفسي :

أ - رأي فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩) :

احرب فرويد عن وجهة نظره في تفسير طبيعة العبقرية ، في المجال الفني بصورة خاصة ، في اماكن شتى من ابحاثه في التحليل النفسي تاتي في سياقها دراسة المسنيقة لحياة ايونر دو دافنتي وملاحظات العامة المتعلقة بحياة درملويشكي وبعض روايات شكسبير . وقد جرت هذه الابحاث في اطار نظريته العامة في تفسير جميع مظاهر السلوك والاحلام من حيث هي رغبات مكبوتة في اللاشعور ، جنسية المحتوى في الاعمال ، تتخذ مبدآن الرموز واجهته او متناوياً لتسريها الى الحياة الشعورية تغافياً لاصطناعها بتقاليد المجتمع والفننة الفرعية التي لا تسمح هذا بالتعبير عن نفسها إلا بالغة الرمزية المقسمة^(١٣) .

لنقتطع فرويد حوادث خارجية او الحارات حادثة وردت على السنة الشخصيات الأدبية التي درستها واعتبر ثلاث الاشارات مفاتيح يداك بها المستغلق من حياة أسطحها بعد ان فسرها بالشكل الذي يرتضيه في ضوء نظريته العامة لأن غرض التحليل النفسي ، عنده ، هو الكشف عن المحتوى او المضمرات اللاشعورية او الاماس الذي تستند اليه الواجهة الرمزية للتدخل في عمق الفنان والكشف عن الرابطة بين هذه الواجهة الرمزية وبين الواقع الذي يعيش الحدث فيه .

اما العبقرية الفنية ، عنده : فهي « قدرة فطرية » او « طاقة حيوية » Libido تساعد صاحبها على تحويل محوالات اللاشعور الى عمل

ففي واقع يشتركه الآخرون النشع به ، وانسان ليفكر او الاصل حرة
 كالعالم الخلاق ، هادة ، فطرية ، خاصة او ، طاقة حيوية ، تفرد
 جذورها في ، ارض ، الاشعور وتحدد انفسها وفروعها نحو ، صماء ،
 الواقع الموضوعي او البيئة التي يعيش فيها الانسان . معنى هذا ان ، الطاقة
 الحيوية : - الجنسية المحوى في الاصل - الطاقة الكلية الموجودة لطرباً
 لدى بعض الاشخاص - ابقارة - من الممكن ان تفجده ، في آخر النصف
 شانه مجرى الحياة ، الى حقل الفن او الى مجال العلم فبرز صاحبها في
 المجالين مع تغلب احداهما على الآخر وفق الظروف البيئية المحيطة والتكيف
 الذي يبنيه هذا العنصرى أو ذلك في أحد المجالين المذكورين . فليس
 نأرجح ليونارد دافنشي بين الفن والعلم وبرز لديها معاً في فترة من فترات
 حياته لكنه انتهى بالعلم في أواخر أيام حياته حتى حساب الفن . اما غوتشي
 فقد صار بشكل معاكس لانتهى بالفن وقام العلم وتفر عنه الى درجة
 أصبح فيها من مثاوي نظريات نيوتن في الفيزياء .

يقول فرويد^{١٤} ان الابتاع الفني شكل من أشكال الاحلام الموجهة
 نحو العلم الخارجي لا نحو الذات . والاعلام ، عند فرويد ، وظيفية
 الصلة بالفن وان كانت تختلف عنه في الهدف او الغرض : فغرض الفن
 البحث عن الله . وغرض العلم تجنب الألم . أي ان العلم يسيطر على
 جميع مظاهر الحياة بما فيها الفن ، ومن الجهة الثانية فان العلم والفن
 يبران أبعداً ، بنظرة ، عن دوافع مكبوتة بسبب عدم السماح بالتعبير
 عن نفسها شعوراً وبشكل صريح . ولهذا نجدهما يتحدان قروماً ، على
 ما يقول فرويد : اسماً للتعبير عن عثراتهما . والفنانون جميعاً ، بدون
 استثناء ، برجسيون : بمعنى أنهم يحبون ذاتهم حباً جنسياً : - أي أنهم
 ذرو ملفات جنسية على حرار ما هي عليه عند العقل *ego* - *superego* :
 حيث لا يتجده الدافع الجنسي نحو الأشخاص الآخرين بل نحو الذات
 نفسها . معنى هذا ان الابتاع الفني حالة جنسية باثولوجية شاذة من

وجهة نظر فرويد ، وإن الفن ، في مراحله المايكولوجية الكبرى ، ومبدأ من وسائل الهروب من الواقع المر الذي لا يستطيع الفنان أن يتجسم معه . وهنا يعني ، بعبارة أخرى ، أن الفنان يقطع عن إشباع ميله الغريزي الأصلي بالأسلوب الطبيعي للألف وذلك باستعمال أسلوب آخر يتخذ الفن مبدأً له مستعياً بالحيول باعتباره وسيلة التعبير عن نفسه . أي أنه ينطلق بالحيال المبتنع أو الجامع بعيداً عن الواقع المر ليعود من جديد إلى نوع طري من الواقع .

ب - وجهة نظر يونك (١٨٧٥ - ١٩٦٦) :

بحث يونك موضوع الأمثلة في العمل الفني والأدبي في مقال عنوانه : علم النفس والأدب ، نشره في كتابه : الأمثال الحديث في بحث عن الروح . : ١٨١ تناول يونك : بالبحث المفصل : أمثلة الشاعر الألماني خوتي . كما بحث له تلك الأمثلة في رواية غاوست التي شرحها في ضوء افتراضاته المايكولوجية الأساسية الثلاثة (: العلاقة الحيوية ، Libido ، والأمزجة البشرية أو الانحطاط والاشعور الجمعي) ونقش عرضاً وجهة نظر فرويد التي مر بها الحديث عنها .

افتراض يونك أن لدى كل شخص : طائفة حيوية ، وأنها تأخذ أشكالاً متعددة تختلف عند الأفراد حيث يعبر كل فرد عن : طائفة الحيوية ، بأسلوبه الخاص . أما الانحطاط فزلفة ، عنه ، من صفات أربع متميزة تختلف متغير بعضها بالنسبة لبعض بالتحولات الفردية . هذه الصفات الأربع هي : الانحطاط والفكر والالهام . ونفس عنه : يتسبون ، من حيث انزجهم ، إلى قسمين متباينين : أحدهما اجتماعي النزعة يحب الانحطاط الآخرين ويرغب في العمل الجماعي المشترك : *relativ* . في حين أن القسم الآخر يشعر منحنى معاكساً فهو ينظر إلى

نفسه interact . على نحو الانزواء او الانكماش . ويتضمن كل من هذين
المتحيزين الكبيرين ، بنوده ، الى اربعة انماط فرعية تظهر في كل منها
الصفتان الأربع المذكورة بمترتبة بسبب غير متكافئة الامر الذي يؤدي ،
بنظر يونس ، الى نشره ثمانية انماط فرعية اربعة للنمط الاجتماعي وحدها
النمط المتكامل . هذه الانماط الفرعية الاربعة بالنسبة للنمط الاجتماعي هي :

أولاً : النمط الاجتماعي التزعة الحسي الذي يدرك ظواهر الطبيعة
والتجميع ادراكاً حسيّاً بالدرجة الاولى وذلك لطغيان الجانب الحسي عنده
على اجواب الثلاثة الاخرى . وهو تقيض النمط اللبهم .

ثانياً : النمط الاجتماعي التزعة العاطفي الذي يدرك ظواهر الطبيعة
والتجميع بمواقفه ومشاعره المتصفخة بالدرجة الاولى وذلك لطغيان الجانب
الاضطالي عنده على اجواب الثلاثة الاخرى . وهو تقيض النمط المفكر .

ثالثاً : النمط الاجتماعي التزعة المفكر التي يدرك ظواهر الطبيعة
والتجميع بشكليه بالدرجة الاولى وذلك بغلب التفكير عنده على الحس
والعاطفة والالهام .

رابعاً : النمط الاجتماعي التزعة اللبهم الذي يدرك ظواهر الطبيعة
والتجميع والالهام الاحسي بالدرجة الاولى وذلك لغلب الالهام عنده على
الحس والعاطفة والتفكير .

اما الانماط الفرعية الاربعة الاخرى بالنسبة للنمط الانطوائي فهي على
نقيض ما ذكرناه لكنها تشترك جميعاً بتزعة الانطواء على النفس .

ذلك ما يتصل بالفراضين السايكولوجيين الاساسيين الاول والثاني ،
حت يونس . اما ما يتصل بالفراض الثالث فن الممكن تلخيصه بالشكل
التالي : يقصد يونس بالاشعور الجمعي ما سمناه : الالهام او الاساطير
والذكريات الموجودة . نظرياً و لبي كل من منقولة اليه بالوراثة

البيولوجية عبر الأجيال المتعاقبة منذ أقدم العصور إلى اليوم . ولهذا قلنا
خلط غريب الشكل من المزايا التي نشأت لدى أسلافنا الأقدمين الذين
عاشوا في الماضي السحيق . وإن الحياة الشعورية لدى الإنسان تستند :
كما يقول يونك : إلى مشروبات الأشعور الجمعي التي تتلفح على
الحياة الشعورية .

يقول يونك : " : نحن فرويد : دون وجه حق ، أنه صر على أكبر
لعن النبي الأصيل في أعمال الفنان ذاته دون النظر إلى الأشعور
الجمعي . واستمر يقول : لنا نرتكب خطأ فاحشاً إذ حاولنا أن نختق
عضلة الفن من العوامل الشخصية مع المعنى في الفن من حيث اختيار
موضوعاته . وإن تركيز الاهتمام في الجانب الشخصي هو في الواقع اتفاقية
لتطوير الفن وحتى جريئة تركيها بحقه . وكلما زاد اهتمامنا بهذه العوامل
الشخصية أو الذاتية زاد بعدنا عن الجانب النبي الأصيل . إن ما هو أساسي
في العمل الفني الخلائق هو : متى ما يقول يونك : أن هذا الجانب
الشخصي أو الذاتي لا بد أن يرقى إلى مستوى الحياة المثلى التي يشدها
الروح الإنساني معبراً بها على لندن الفنان . معنى هذا أن الخبرة اللاشعورية
الاصيلة *profound* المشقة لدى كبار الفنانين من مكونات الأشعور
الجمعي ، هي مصدر الأبداع الفني عندهم ومبعث الذي لا ينضب . وما
إن كل عصر من العصور التاريخية له طابعه الخاص وتشعباته المعنوية :
على ما يقول يونك : أو برؤية العايكولوجي الذي يستلزم تكيفاً تعريفاً
تماماً كما هي الحال عند الأفراد فمن ما هو ذو أهمية خاصة للرعاة الفن
الأصيل ، في هذه التعريفات اللاشعورية الجماعية : هو أنها توافق
تكيفية تعريفية عن الحياة الشعورية . معنى هذا أنها تخرج نحو الانسجام
مع حالة شعورية وحيدة الجانب أو مبتورة غير متكاملة أو منحرفة كلياً
وخطوة تدر كآب حالة طبيعية . ونستدل على ذلك : بنظر يونك :
من كون الفنان القائد لرائد يسمح لنفسه بأن تقومها بوجهة خفية

غير معبر عنها انبثقت من روح العصر الذي يعيش الفنان فيه فتجسده
بنجته ، بالقول أو بالفعل ، نحو تحقيق ما يسعى إليه كل شخص بعاصره
بشكل اعنى وبصرف النظر عما اذا كان ذلك السعى المرغوب فيه شراً
او خيراً : يخفت آلام ذلك العصر أو يزيد من متاعيه .

يقول بونك^٨ ان العملية التكيفية التمرضية البارز اليها تظهر بوضوح
بارز : بجانبها الاجتماعي : في الأحلام وتظهر : بشكلها السلي ، واضحة
لدى الفنانين الصباغين بالاضطرابات العصبية . وهنا تنبؤ ، على ما
يقول بونك ، وجهة افراض فرويد الذي مفاده ان الفنانين : بدون
استثناء ، نرجسيون وغير متكاملين النضج الجنسي وأنهم اقرب الى الخطأ
أو الاطلاق الهدمين - يفتح الالم - الذين تفتي الحياة الاجتماعية بطنها
ووضارها على كراهتهم الطرية منذ نعومة اظفارهم فيزداد اهتمامهم
بذاتهم ونشأ لديهم مزاج اجتماعية رديئة ، ينظر المجتمع ، فيستبرون
طواك حياتهم اعتدلاً في تعبيراتهم الانفعالية ضعفاء امام متاعب الحياة الامر
الذي يحث لهم خرق شرائع الاخلاق والخروج على ما يراه القانون ويشكك
بإيجابية واضحة .

الفنان الخلاق ، عند بونك ، هو الذي يسمح للفن ان يعبر عن
نفسه برسالته فيحوّله بنفك الى انسان « جمعي » او شخص يصنع الحياة
للاشعرية الاجتماعية لتتوح الانساني عبر تاريخه الطويل ويعد مجموعها وفق
مستلزمات روح العصر الذي يعيش فيه . ولهذا فان ملاوسك ، من وجهة
النظر هذه ، هو الذي خلق خوئي لانعكس كما يغفل الباحثين السطحيين .
معنى هذا ، بعبارة اخرى ، ان الفنان المبدع مزيج متكامل يتناسق من
اتجاهين متناقضين اولهما حياته الخاصة وثانيها عملية الابداع الفني للاشخصية .
وان الاصلالة الفنية نوع من انواع الميول الفطرية المخزنة تحبس صلاحها
بنفس في الفن باعتباره ذاته ، وان هذه القدرة الفنية الخاصة تعني صرف

أو استئناف مقسّم كبير من « الطاقة الحيوية » في حقل الخن دون
سواء الأمر الذي يؤدي إلى إثراء الجانب الفني على حساب إهمال جوانب
الحياة الأخرى . ذلك لأن كل فرد من مزود ، بنظر يونك كما لمناقشة ،
يقدر بعين من « الطاقة الحيوية » وإن هذه « الطاقة الحيوية » تنحصر
عند الفنانين على الفن وحده .

يتخذ يونك غوتي موضوعاً يستدل به على صحة وجهة نظره تماماً
كما فعل كريستجر بطريقة الخاصة بالشكل الذي تحدثنا عنه . غير أن
يونك جعل فلوست محوراً لتحليل شخصية غوتي وقسمه قسمين على أساس
الجانب السايكولوجي ودعا الآخر الجانب الخيالي واعتبر الفرق بينهما بأنه
الذي يميز الإبداع الفني السايكولوجي عن الإبداع الفني الخيالي .
فالجانب السايكولوجي المستند من واقع الحياة بما فيها من خدمات تفصيلية
وأزمات نفسية قد عبر عنه غوتي «روح تعبير بحيث يصغر هي الخبير
جاءوا من بعده أن يشبهوا إليه شيئاً جديداً أو أن يعيدوا صوغه . ولم
يترك غوتي ، على ما يقول يونك ^٨ : «هلاً» أعمالاً لفنس لاحقاً ،
مزيد من التحليل السايكولوجي إلا ما يتعلق بالكشف عن الأبواب الخفية
التي جعلت لارست بيم بفرايم كريستجر والمعامل التي دعت هذه فنس
طفتها . وقد يبدأ الجانب الخيالي في الإبداع الفني للتعبير بتسوي لارست
ومعناه : ويبدأ الاستمرار عن علاقة الجزء الأول من فلوست بروح التعبير
الذي عاش فيه غوتي . أما الجانب الثاني فيستلزم شرحاً وتفسيراً لمصعنه
العام ولكن لفرة من فوائده على الأفراد . ولا يرى يونك أي عجز
لاعتبر أن القسم الثاني من فلوست ينقض أو يعدل أو يسخ ما هو موجود
في القسم الأول ، كما لا يرى معزاً أيضاً لمولي كذلك بأن غوتي كان
شخصاً سورياً عندما كتب القسم الأول من فلوست في حين أنه أصيب
بالانهيارات العصبية عندما كتب القسم الثاني منه .

بواسطة : وجهة نظر بونكاريه (١٨٥٩ - ١٩١٢) : شرح هنري بونكاريه ، عالم الرياضيات الفرنسي ، وجهة نظره في الاصابة ، في عقل التفكير الرياضي ، في محاضرة القاء في الجمعية التكنولوجية في باريس عام ١٩٠٨ عنوانها : الابتكار الرياضي ، نشرت بعد ذلك ، مع مقالات اخرى ذات علاقة ، في كتاب عنوانه : العلم والاصول ، ١ . وضع بونكاريه ، في تلك المحاضرة القصيدة ، كيفية توصله الى اكتشاف بعض المبادئ الرياضية العامة التي ارتبطت باسمه واساطير التمام عن الظروف الاجتماعية التي احاطت به أثناء ذلك .

كتب بونكاريه ١ : فيما يتعلق بتوصله لأحدى معطياته الرياضية في موضوع Riemann Function ، القصيدة الطويلة التالية : كنت اجلس يوماً في مكتبي واصبرف من وهي ساعة او ساعتين لمدة نصف شهر ألهم أثناء ذلك بوضع معادلات رياضية متعددة للوصول الى الحل الصحيح لمسائل لرياضية التي بين يدي . وقد تناولت مساء احد الأيام قضباناً من القهوة ، بخلاف عادتي ، فعلمت حل " الرقود وبدلت ، وأنا مشتت على الخرائط ، انفس ذهني في افكار رياضية ومعادلات لا حصر لها : اثبات على ذهني اثباتاً - أثناء لوفي - بشكل مترابط احياناً ومفكك مبتر احياناً اخرى . ومصادف ان حصلت في ذهني ، في مجرى ذلك كله ، ارتباطات منطقية مستقرة نسبياً بين بعض تلك الافكار . وعندما لبتن الفجر اسرعت الى مكتبي وبادرت بكتابة ذلك في بعض ملاحظات وفي ملاحظة اخرى بشأن موضوع Elliptic Function و Theta Function ذكر بونكاريه انه تعلم حلها الوصول الى حل رياضي متبع فتوقف مؤقتاً عن مواصلة الجهد . ومصادف انه اشترك في سفرة علمية جيولوجية ، مع خبراء اختبرتهم مؤسسة التاجم الفرنسية ، ولحقى ، أثناء السفر ، كل شيء يتعلق بعمله الرياضي السابق وشغل ذهنه بأسرار السفر . وعند وصوله ، كما يقول بونكاريه ١ ، قريباً من الموقع المطلوب (مكان

علينا ان نركب إحدى سيارت النقل الكبيرة لوصولي الى ذلك المكان
ورد لي ذهني الحل المطلوب بمجرد وضع اسمي على سلم السيارة بعد
ان نسبت كل شيء أثناء السفر . وبعد عودتي ان منزلي في نهاية السفرة
تحققت بالفعل من صحة ما ورد لي ذهني ودونته على الورق . وفي
مناسبة اخرى تحول انتباهي ، على ما يحدث برونكاريه ، الى معالجة بعض
المسائل الرياضية فسمعت الى انجساردا بجهود فكري متواصل ولكن دون
جدوى . فحسرت النظر عن مواصلة الجهد مولداً ولحظت ذهني بأمر
اخرى عندما قررت قضاء بضعة ايام على شاطئ البحر ، وفي صباح
احد الايام ، عندما كنت اسير على الشاطئ وبدأت تنظر البحر ،
وردت لي ذهني فجأة طلائع حل المعضلات الرياضية التي تركتها دون
حل وتعبت كل شيء عنها أثناء وجودي على شاطئ البحر . وعنده
عودتي لي منزلي انزلت القلم والورق ودونت الحل الصحيح بدون حياء ،
ويسمى برونكاريه في حديثه الطريف هذا ريثمكر ان يمتصعده ان يمشي
في الاستشهاد بأشدة من هذا القبول كان قد خسرهما في بحري حباله الحسية .
وقال ان الشيء البارز ، في ذلك كله ، هو هذه الوضعية النفسية الخاصة
التي هي ثمرة حل الاشعوري متواصل طويل لا شك به .

يوضح ان ان برونكاريه يتحدث عن ، ويشرب الاثقة على ، كعبا
ورود على الصحيح للمسائل الرياضية المستعصية بشكل مفاجيء وعفوي
وفي ظروف انشغال الذهن بأمر اخرى ، وانه يعزو ذلك الى نشاط
الاشعور اذ النفس الحسية ، هي ان نشطة انشغاله ، في ضيق
المسألة الطوائف المألوفة في عالم الرياضيات : هي ان الانشغاف
الرياضي هو في صميمه ترابط يحدث بين الافكار البعثة او تلك ذليل
بين ما يبدو ظاهرياً كأنه منزل منها عن بعض . وقد شدد برونكاريه
كثيراً ، في وصفه عملية الانكسار في مجال الرياضيات ، على الجواب
الاشعوري التي تظهر بشكل سريع مفاجيء عند نضجها . وذكر ان

الترابط الأكثر خصوصية ، ينتقبه الذهن من بين حلود متراحة من الترابطات
 لغمية والاقلي خصوصية ، هو ذلك الذي يستمد مقوماته من مجالات متباينة
 بصورها ، اللاشعور أو ، النفس التصانية ، *sublimated* ، أما كيف
 يحدث ذلك ، بنفرد ، فهو على الشكل التالي : توجد دائماً ارتباطان
 لدى الشخص هما الشعور واللاشعور الذي يستطيع ان يبرز بلباقة وبإتقان
 بين الأشياء من حيث أهميتها البتقي أكثرها ملاءمة بما لا يرقى إليه الشعور
 شريطة ان نسبق هذا ونستند لفترة تبرز شعوري تزود الذهن بأداة الانشاء
 البدائي أو السهيدتي الذي تتشكل فيه أو تعزل الارتباطات القديمة عن
 بعضها ، ثم تبدأ ، بعد ذلك ، ارتباطات جديدة لامتتاعية وتتميز إلى
 ان يلوح أو يلمح في ذهن الترابط الجديد المطلوب الذي يتفهم الحل
 الصحيح لفضية موضوع البحث : ولكن كيف تتم العزلة التكرية لهذا
 المقادير الخافي من الارتباطات لغوية لتوصل إلى أخصبيها وطرح ما كان
 خارج لصددها منها والشراح ، بعد ذلك ، للحل الصحيح ان يصير ان
 الشعور من جديد ؟ ينسرك بونكاريه ^٩ : ان الأساس الذي تستند
 إلى هذه التجربة السايكولوجية هو : الاحساس بالجمال : أو بالإبداع أو
 الخلق . معنى هذا ان الارتباطات لاسيما أو المقيدة هي ، بنفرد ، أكثر
 جلاءً أو أكثر قلرة على الحجاب ، المختص في الموضوع من غيرها
 من الارتباطات الأخرى المتكررة اعداد .

وفي ضوء ما ذكرنا نستطيع ان نؤكد مرة أخرى ان الامتالة في
 حقن الرياضيات ، من وجهة نظر بونكاريه ، هي شيء أولي من مجرد
 قيام الذهن بتكوين ارتباطات جديدة في القضايا الرياضية المعروفة سابقا
 لأن هذا العمل يستطيع ان يتجزه أي شخص له أدنى بلمة بالرياضيات
 ومن الجهة الثانية فإن هذا الفرض من الارتباطات التي تحدث بهذا الشكل
 يكون مثل المقادير يتعذر حصره ، وإن معظمه لا يثير الاهتمام للباحث ،
 معنى هذا ان الامتالة ، كما يراها بونكاريه ، تقتصر على الإبداع عن

الاثباتات النهائية او الحقيقة لا تصبح المعجزات المبرهنات الاثباتات العلمية
 المفيدة لقيمة الحقيقة المبرهنات. اي ان الاصلية اكتشاف ، انشاء او اختبار
 او تخير . كيف يحصل هذا الانقياد ؟ يجب بونكاريه : ان
 الحقائق الرياضية ، التي تستحق الدراسة ، هي التي ، عند موازنتها
 بخلاف اخرى ، تظهر قسوتها على اوضاعنا نحو معرفة قانون رياضي . كما
 كما ترشد الحقائق المخبرية ان الكشف عن الفارق الفيزيائي مثلاً ،
 انها تلك الحقائق التي تكشف علاقات مستمرة معقولة من بين حقائق
 اخرى معروفة منذ امد طويل كان يقطن ، دون حشد علمي ، انما
 مضككة او معزلة عن بعضها ، وهذا فان الاثباتات التي يختارها المبرهن
 من بين حشد لا متناه منها هي تلك الأكثر ثمراً حجباً يستلزمها للنسب
 من عناصر متخوفة من محاولات متعددة متفرقة . غير ان مجرد الجمع بين
 عناصر متعادلة ، وان كان شرطاً لحدوث الابداع الرياضي ، كما يقول
 بونكاريه ، الا انه بحد ذاته لا يكونه . ذلك لان الجمع يشتمل على
 ترتيبات كثيرة شديدة . فلا بد ان من طرح هذا التقدير جانباً ، ولهذا
 فان عملية الاختيار هي عملية انتقاء ذهني : واختيار عند بونكاريه كما
 ذكرنا . غير ان كلمة ، نظام ، او ، اختبار ، قد لا يكون الجمع
 الحقيقي مما يقصده بونكاريه لان الاختيار يتم في العادة بين نتائج عديدة
 المبرهنات وجزءاً منها كما هي احياناً مثلاً في البصائع التي يشتملها الجاع
 لنتائج ليخصصها هذا الاجر واحدة بعد الاخرى لكي يتم عملية الاختيار .
 في حين ان الماذج في موضوع الرياضيات الاجتماعية المبرهنات في العما
 والنتائج والنظريات بحيث ان حياة الانسان بأسرها لا تكفي لخصصها كما
 يقول بونكاريه . ولا بد من من توافق عقل نقاد لا يتركه انضباطها . ويمكن
 ان هذا الانقياد التفضيل الى احدى الفواجر العلمية كما قال بونان مثلاً
 عندما شاهد سقوط البوم في حديقة منزله فانه قد ان وضع قانون
 الجاذبية بعد دراسة عميقة شاملة مبثت تلك المشاهدة التي لم تكن سوى

الحال الرياضي مع أن كثيرين قبله شاعروا طرأه عمالة دون أن يستطيعوا شيئاً ذا قيمة علمية . معنى ذلك أن عمالة التفكير : حل ما يقول بونكاريه : شيء ، صاحبها أن يقوم ذهنه ، بلمحة صبر ، بعمل ارتباطات بين عناصر مألوفة ، وأن يوثق بين تلك العناصر بوضع كل منها بمكانه المخصص له باعتبارها أجزاء في شئ عام مشترك . ويعزو بونكاريه هذه العملية الذهنية الخاصة إلى « النفس المتسامية » كما سلف أن بدأ . كما يعزو أيضاً الأساس الذي يتم حسب مستلزماته : انتماء الارتباطات الجديدة إلى « الاحساس بالجسم » على الشكل الذي المثل إليه .

ذلك هو بالتحديد رأي بونكاريه في قضية عمالة التفكير العلمي في حقل الرياضيات الخطيرة إلى التبعث فيه لأنه يكسب المعرفة الأولى لقراء العربية على ما نعلم ، وهو رأي صائب من حيث حدوث عملية الابتكار في الأساس : كما سيأتي ، ولكنه يفتقر إلى استند المسجعي التي يدمجها . ولا يستعمل بونكاريه مصطلح « اللاشعور » أو « النفس المتسامية » ، المفضل للمصطلح المسجعي : « الخ » أو « القدرة المخفية » لاستكمال عمه العميق شريطة العلمية ، ويجري مجرى رأي بونكاريه رأي عالم الرياضيات الأميركي المناصر جون هادامارد " الذي تطرق بتوسيع أن القاعدة في العمل الذهني الرياضي الاصيل هي العمل اللاشعوري . وذكر ، من جملة ما ذكر ، أنه يحتفظ فجة من نوعه في أحد الأقسام على الر منخب في المكان المتجاوز وفي ذهنه : دون سابق هيئة شعورية ، حل مفاجيء لأحدى مسائل الرياضيات التي حاول عبثاً ، قبل ذلك ، أن يوصل إليه . واستشهد ، في مجرى دراسته لطريقة لظاهرة الإبداع في حقل الرياضيات ، بآراء طائفة من الرياضيين اللاحقين في الولايات المتحدة لتأييد وجهة نظره عند التي تستند : بلوغها ، وجهة نظر بونكاريه . غير أنه أضيق اسم « الأرقام المعقوى » على ما سمع بونكاريه « النفس المتسامية » .

وقد سهرت : في الاطار العام الذي اوضحه بونكاره ، خبرات
عالية سابقة طريقة سجل بعضها لمير (١٧٧٥ - ١٨٣٦) ، الذي سيجي
التيسر الكورباني باسحق ، في مذكرته عندما دون في يوم ١٨١٢|٤|٢٧
الطروف التي احاطت بتوصله الى قول مكتشفاته الرياضية عندما ورد من
ذمت حل مضاعف ، لاسحق المسائل الرياضية التي استعصى حلها عليهم
زهاء سبع سنوات ^{١١} . ووصف تكوس (١٧٧٧ - ١٨٥٥) الرياضي
الاناني ، واحد راضي الطلبة الاقليدية ، في رسالة بعثها الى احد
احدائه ، كيفية توصله الى البرهنة ، بشكل مفاجيء ، على صحة
احدى نظرياته بعد ان اخفى في ذلك طول اربع سنوات سرها في البحث
القي ^{١٢} . وذكر كيكوي : عالم الكيمياء الاناني الذي عمل في
القرن الماضي ، قصة الطريقة البحتة بتوصله الى احد مكتشفاته الكيميائية
الكبرى : بيها كتبت جانباً في احد ايام الشتاء عام ١٨٦٧ قرب بيروت ،
اخلاقي سبعة نوم رايت انماذا في الحلم المعادلات والارتباطات الكيميائية
نوقض امام عيني هبات متعددة ووصفوت خبر متزايدة استقرت لي
آخر لطاف على شكل لعين تتحرك وانماذات متعددة وقد نظرت لها
على قصد ولست ذنب على جسمه فاصبح كانه يندفع ذنب ، بالبقع
مدحوراً وفي ذهني ، بشكل مضاعف ، حل لأهم من قضايا الكيمياء
العضوية حيث بدا لي ان جزئيات بعض المركبات المعنوية اليها ليست
تركيبات متنوعة بل هي سلاسل متلفة على اسق الحية التي تلعب ذليها ،
ولقد سجلت كثير من المفكرين في مختلف الانحاء أحداث حوادث مثالة من
حيث انشاق على شكل مفاجيء فتدربا جامعة ولذبة عريضة من ذلك
مثلاً ما سجله موزا (١٧٥٦ - ١٧٩١) الفيلسوف المصري ، والشيخ
الخراساني برك فليري (١٨٧١ - ١٩٤٥) ^{١٣} .

لما الآن ، وقد تمينا من استعراض أهم الآراء العلمية التي تعبر
طبيعة الاتصال في العمل القوي والعلمي ، نرى ان نقول اسبق لغنا

تجهيداً لعرض وجهة النظر الحسية الجديدة المستمدة من العلوم الفساحية التشريعية التي انتعشت في أعقاب الحرب العالمية الثانية والتي ما زالت بعيدة عن تناول المختصين بعلم النفس باعتبار أن هذه العلوم ، بنظرهم ، أكثر اهتماماً بالفن جنباً إلى جنب مع النفس . وفي مقدمة العلوم المشار إليها : علم تركيب خلايا المخ ، Cyto - Architectonics^{١٦} ، و علم اتسجة الجهاز العصبي ، Histological - Neurology^{١٧} ، ودراسة القشرة المخية بالميكروسكوب الإلكتروني الذي يحل حجم الخلية العصبية التي لا ترى بالعين المجردة لصغرها : بزدام زهاء (١٩٥٠) ألف مرة :
Electronmicrophotography^{١٨} .

لقد أصبح رأي لبروزر في متحف التاريخ بعد أن ظهرت لسيد العامة أمام زحف العلم الحديث في ميدان الفسحة . لقد ثبت : بشكل لا يقبل الجدل أو الشك ، أن الاختلافات الموجودة في حجم أدمغة الراد لدرج الانساني باجتماعه المتعددة وفي أدمغة أفراد كل جنس على أفراد لا تدل على اختلاف مستوى امكانياتهم النفسية ولا حيلة لها إطلاقاً بتفاوت اتجاههم الذاتي : فقد بلغ مثلاً حجم دماغ العالم الطبيعي الفرنسي كوفييه ، (١٧٦٩ - ١٨٣٢) والكاتب الروسي نرجيف الذي نشر روايات ساينسولوجية واجتماعية في القرن التاسع عشر الانكليزي بيرون^{١٩} (١٧٨٨ - ١٨٢٤) زهاء (٢٥٠٠٠) سم^٣ ويبلغ من هذا المستوى أيضاً حجم دماغ الإسباني الألماني سبارك (١٨١٥ - ١٨٩٨)^{٢٠} . في حين أن حجم دماغ الفيلسوف الألماني كانت (١٧٩١ - ١٨٥٤) والكاتب الفرنسي التاتون فرانس لم يتجاوز نصف ذلك المقدار^{٢١} . وباع حجم دماغ الفيلسوف لايسز (١٩٤٩ - ١٧١٦) زهاء ١.٤٢٢ سم^٣ . ولم يكن كانت والتاتون فرانس ولايسز اقرب برزواً في مجالات تخصصهم من كوفييه ونرجيف . وحجم دماغ الجنس المغولي اكبر من حيث ماعدل من حجم دماغ الجنس القوقازي دون أن ترتب على ذلك نتائج

بايولوجية تطورية أو لورق في مستوى التفكير والاشراج العلمي أصلي
 اجلس المغولي وربما كان العكس هو الواقع لأن هذا المقدم المضاري
 أشي بهد الجس قفقياسي في الوقت الحاضر اجتماعي الجذور كما سوى .
 وقد لبث غلباً في الوقت الحاضر ان الوراة البايولوجية للوجود لدى
 الانسان الحديث كانت قد نشأت في الأصل لدى الاسلاف الاتسدين
 نتيجة اثر ظروف العيش منظوراً اليها من الناحية التطورية . لى لها
 نشأت لدى الاسلاف الاقربين بالانكساب لبيبي في هوى وجودهم التاريخي
 اثناء حماية النشوء والارتقاء البايولوجي في نول الامر ، والاجتماعي بعد
 ذلك وعلى اسلمه . ثم لحقت بالمشراء الدنيائيكي المون عبر عشرات
 لثلاثين من السنين للاثام ظروف الحياة المضطربة بصورة عديدة الانقطاع .
 فاليه غير المشورة تجعل بعض الصفات البايولوجية القديمة يفقد هويته
 في التغير الاثن ليغيره الشعور او الانتشار ليصبح المجال لنام حداث
 جارية ملاحمة لثمل مكته بالتربيع . ولهذا فان دراسة تاريخ الروح الانساني ،
 من ناحية تطوره البايولوجي ، يجب ألا تجري بمعزل عن دراسة لظروف
 المعاشية التي مر بها الانسان في سيرة التاريخ الاجتماعي . والعكس صحيح
 ايضاً . وما يصدق على النوع الانساني . في اوايل نشوئه ، يصدق ايضاً
 على الاجناس البشرية ككل على افراد ، وهذا يعني ان الاختلافات
 البايولوجية المعاصرة للوجود بين الاجناس البشرية المعاصرة كانت قد
 حدثت في الأساس بتأثير ظروف جغرافية واجتماعية متعددة اقسام النوع
 الانساني ، منذ نشوئه ، بحسبها الى جماعات متوزلة ،عزلاً نسبياً عن
 بعضها وتختلف اختلافات جسمية وفكرية ملحوظة . غير ان تلك الاختلافات
 مع هذا ، لم تؤثر بعمق في جس التركيب البايولوجي للنوع الانساني
 باجنايه المحددة وفي تكوينه الفكري ولطوره الاجتماعي الاتح . فثبت
 الاجناس البشرية مائة في مظهرها العام وفي مكوناتها الاساسية من ناحية
 المورثية لانا ذات اصل مشترك وليست بواحد تطورية بايولوجية

مختصة سرّياً بها النوع الانساني ولأن العزلة عن بعضها لم يكن ممكناً او
حاصلاً . وما يصدق على الأجسام البشرية يصدق ، وعلى الحد الأكبر ،
على أفراد كل منها .

أما وجهة نظر كالتون فيستمد جذورها من استنباط مفروط توصل
إليه في الثلث الأخير من القرن الماضي في أعقاب دراسة طائفة من رجال
الفكر البارزين في مختلف التخصصات . وقد نشبت عن استنباطه
المفروط هذا نتائج حادة على تصورات التعليم والاجتماعي مما زلزال
بعضها إلى اليوم . تتجلى جانبها الاجتماعي في مبدأ : تحسين النسل ؛
جانبها النفسي . ويظهر الخائب التعليمي في مقاييس او اختبارات الذكاء .
يستند مبدأ : تحسين النسل ؛ إلى فكرة مفروطة بحقيقتها لأغلبية المراهنة .
فماذا ان تفاوتت التي نتاجه بين الأمم ودخلوها ، فيما يتصل بمستوى
التفكير والثقافة ، راجع إلى تفاوتهم التكنولوجي ، اعطري ؛ لا إلى
تفاوت ظروفهم الاجتماعية . وفي هذا الادعاء مسخ ظاهريته ناتج عن
دعوة اصحابه إلى ان يحل مبدأ الانتخاب الاصطناعي في المجال الاجتماعي
على مبدأ الانتخاب الطبيعي البيولوجي الذي توقف عن العمل في حياة
الانسان الحديث بالنظر انتمحه الثقافي . وقد أدى هذا المبدأ المفروط إلى
تشويه جمعيات تحسين النسل انشغلت في كثير من الاقطار الرقبة لاسيا
الولايات المتحدة في مطلع هذا القرن وإلى الخيلولة بالتخريب دون تراوج
ذوي الصالحات . كل ذلك تجلّى بأوضح اشكاله في كتابها الثانية .

ذلك ما يحصل مبدأ تحسين النسل . اما المبدأ التعليمي المفروط الذي
المرنا إليه والذي مقاده أننا نستطيع ، عن طريق قياس لغوات الطالب
الفكرية ؛ النظرية ؛ ان نحدد مسطاً اهليته لتلقي نوع معين من التعليم
وممارسة نوع خاص من النشاط الذهني يهيئ لهنة معينة يمارسها في المستقبل
دون سواها . معنى هذا ان اختبارات الذكاء تدل على أو تشير إلى

وجود « قنرات » نظرية محدودة المقدار ، منذ الولادة ، لدى كل شخص ، وإن توح تجميعه ونداء بتوقفه على مقدارها الذي تكشفه التجارب الدكاء . فكانت هذه الاختبارات ذريعة ماينكوانجية لطرح من النظام التعليمي السائد بكل واقعه أو لتقسيم المواطنين ، داخل الأمم وبينها ، إلى مراتب ودرجات متميزة عن بعضها في مستويات ذكائهم الفكري المرحوم . وقد أصبح الطلاب المختلفون في ذواتهم ضحايا ، وتعتبر تحالفهم بأنه نتج عن بلادهم « انظرية » بدلاً من بلادة مراد أصبح والمالبث المتوهم وحتم الإدارة المدرسية .

قد ارتبطت منذ الولادة « انظرية » المشار إليها فزجة ماينكوانجية غيبية واحدة بزمجها ، في انكسار مثلاً ، السيم كودفرتوسون مثلاً من ثلاثين عاماً : مفادها أن ذكاء سكان انكلترا أعلى بالتحقق ، على وجه العموم ، بسبب هبوط معدل حاصل ذكاء أطفال المراتب الدنيا في المجتمع ، رغم أن ذكاء السكان ، بشكل يؤدي إلى هبوط أو تدوير معدل الذكاء العالي الذي يمتنع به : نظرياً « أطفال المراتب الاجتماعية العليا . أما على الصعيد الدولي فقد اتخذت مقاييس الذكاء أساساً لتصنيف الشعوب إلى راقية ورطاقة من ناحية ذكائهم الفكري المرحوم . فقد اعتبر ذكاء الشعوب المختلفة (بسبب الاستعمار والاضطهاد) التي تقع آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية أوصافاً من مستوى ذكاء الشعوب المتخلفة التي تسكن الولايات المتحدة والانتظار الأوروبية لآسيا الحية وفرنسة وانكسار وفي هذا عهد : شعور جديد : إلى تقرير وربما إلى بحث عن ثقافة ورثة الرجل الأبيض : - ومن المريب أن يساهم في هذا الاتجاه التكنولوجي للأعشى والالتصاني بعض حاسبات الأسلحة المتفجرين وفي عقولهم مكثروا كل احد سائدة جامعة لندن البارزين : حيث يقول : لقد أصبح واضحاً أن الأمم ، كالأفراد ، تتكون ببطء بصفة عن الحالة البربرية القديمة لتصل إلى مستويات من الرقي لم يتوصل إليها الإنسان البدائي :

هذه الامم تسير بمراحل مختلفة - بعضها متعلقت عن التركيب وتطور عقل
مركز القيادة فيؤلف الطبيعة الانسانية الرائدة . وقد أدى اختلاف هذه
الناحية بالذات قوامها الى مواجهة مشاكل مختلفة نجحت حسن الاختلاف في
لهم العامل الوراثي الذي يميز بعض الامم عن بعض . ان الاستمارة بين
البشر توضح بأجلى صورها في المجال السايكولوجي . وليس من قبيل
الصدفة ان يوثق بعض الأشخاص صفات وحطوبين وبذلك كثر من في العمل
المراتب الاجتماعية

وأما وجهة نظر كريتشمز ونظريته التحليل النفسي ، يبحثها بعضاً
لذاختها : بالمقارنة النفسية الحديثة التي سيأتي ذكرها هنا سوف
لا نسمى لها اعتباراً . فسير اذا نود ان نشير هنا الى ان الاضطرابات
النفسية تسمح شخصية الفرد واعلم الشيء تعقيد وتزوي قدرته على العمل
والابتكار وغمرتها عن مجراها الطبيعي . ونقدم في حياة الرمام البريطاني
لويس وين مثلاً جيداً على ذلك . فعندما اكتشف مرض الزوفرييا اخفى
في رسم أي شيء بكتشف عن قدرته على الابتكار والابداع ، بل ذلك
برسم القسط دون غيرها . ومع ان المرض التحلل قد يعجز أحياناً عن
صرف القدرة على الابتكار عن مجراها الطبيعي غير ان القدرة على الابتكار
ليست مرضاً عذاباً بأي حال من الاحوال . كما اننا سوف لا نناقش
وجهة نظر بونيكاريه بل نكتفي بالإشارة الى عرض المبدأ السايكولوجي
الذي نتجت منه وان نقسها الامامي النفسي كما ذكرنا .
وسوف نتجى ، أثناء مراجعتنا البحث ، نظام وجهتي نظر كريتشمز
والتحليل النفسي ضمناً ويوضح ضعف رأي بونيكاريه في ضوء معطيات
العلم النفسية التشريعية التي سبقت الإشارة إليها . وقبل الدخول في
سبب ذلك لا بد من ابداء الملاحظات التمهيدية التالية :

يؤكد العقل ، كما هو معروف ، ضعفاً من الجانبين النفسية

والاجتماعية في مجتمع يضم منتجات النوع الانساني عبر تاريخه لتحويله
مع تفاوت مفرع بين المجتمعات ودخلها من حيث مستوى تقدمها المادي
والثقافي . ولا يضاف الطفل الى المجتمع كما يضاف جناح جسد ان
هذه البنية : ولا يوجد الطفل في المجتمع على نسق وجوده في هذه
البنية . بل هو يعيش فيه ويمس داخله وبه ومع . ويوجد فيه كما
يوجد جذور الشجرة في التربة لو بد الانسان في جسد بشكل غير قابل
للانزعاج ولا لاغراض الممارسة النظرية . ولا يبقى الطفل غائبا او مفرجا
على ما يجده في المجتمع من منتجات مادية وفكرية : بل هو يتفاعل
مع ما هو متوافر له منها ويمس بوساطته ويعبر عن نشاطه باستجابته على
نسق ما يفعله لارتداد الحيطون به . نشأ لديه بالتدريج قدرات الفكرية
بالامتداد الى الاساس المنطقي المنفي المائل لدى جميع الافراد الاسوياء .
معنى هذا ان قدرات الطفل الفكرية تنشأ وتطور في مجرى حياته باعتبارها
ظواهر اجتماعية جديدة نشأت لديه لا قوى فكرية كامنة في طبيعته
البيولوجية . ومعلوم ان الطفل يسيطر في لون الامر او يستحوذ على
الادوات المادية والفكرية لا غرض بالادوات الفكرية الغضة (المعرفة)
المتوافرة في الأسرة التي يتخرج فيها . وتخرج قدرات الاطفال وتختلف
مستويات تطورها وفق المستوى المادي والفكري الذي بلغته الأسرة التي
يتخرج كل منهم فيها . ثم ينتقل الاطفال الى المجتمع الاكبر ، بما فيه
المعرفة في حاله وجوده ، فزيادة تنوع قدراتهم ويتفاهم اختلاف مستوى
نموها . وهذا يعني : بلغة الفلسفة الحديثة ، أنهم يستثمرون مقدورا مختلفا
من رصيدهم المنطقي المائل من جهة وفي أوجه مختلفة من نشاط الذاتي
من جهة اخرى . حيث نشأ الخروق الفرعية الفكرية بينهم باليؤر ،
فالبلهاء أو الاغبياء هم الذين يستثمرون الحد الأدنى من رصيدهم المنطقي
في الموضوع الذي اهتمهم بالبلادة فيه ، ويحدث العكس لدى المراتب
الفكرية الأخرى التي تلحج على الترادف صفة الاحتمال بمختلف مستويات

تسلطها المساعد من المهارة فالألمعية فالمبغربة . ولا شك في أن الصفات
الثلاثة تذكر نسبة لا مطلقة : فليس هناك شيء في جميع الموضوعات
والأخصاصات . كما أن من ينسوس تاريخ العبارة يفرغه تفكيرهم
المضحك ، وحتى البعيد شيئاً ، في الموضوعات التي تقع خارج دائرة
الخصاصهم .

يتضح إذن أن القدرات أو الوظائف العليا العقلية تمر أثناء نموها
وتطورها عند الفرد بمرحلة خارجية لأنها في الأساس عند الفرد بمعنى
أنها اجتماعية النشاط . ثم تتحول ، بعد ذلك في مجرى حياة الفرد ، إلى
وظائف داخلية لتصبح عقلية أو ما يكتولوجية . أي أنها في الأساس علاقات
اجتماعية بين الأفراد ثم يتركها كل منهم باعتبار أن الوسطة أو الأداة
الاجتماعية التي يؤثر الشخص بها في نفسه هي في الأصل وسيلة التأثير
في الآخرين . فالكلمة مثلاً : من حيث هي أداة التعبير الاجتماعي عن
قوى الفرد الفكرية : يجب أن تكون ذات معنى بالنسبة للشيء الذي ترمز
إليه علماً بكتسبها الطفل للمرة الأولى في حياته مع الآخرين : أي لا بد
من توالف علاقة موضوعية بين الكلمة وما تعينه لأن فقدان ذلك يجعل
متعلقاً حدوث تطور لاحق فيها من حيث مرونة استعمالها وارتباطها بغيرها
من الكلمات . ويستمر الراشدون المحيطون بالطفل ذلك الارتباط الموضوعي
بين الكلمة ومدلولها استقاراً وعاطفياً باعتبار أن ذلك هو أداة الاتصال
الفكري بالطفل . عندئذ تصبح الكلمة ذات معنى بالنسبة للطفل . معنى
هذا أن الكلمة : من حيث وجودها ومن حيث مضمونها : ظاهرة اجتماعية
خارجية بالنسبة للطفل في أول الأمر ثم تتحول بمرور ذلك إلى ظاهرة
داخلية أو ما يكتولوجية . وهذه الطريقة تتحول بالتدريج جميع أشكال
الاتصال اللغوي الأساسية بين الراشدين والطفل إلى وظائف عقلية أو
قدرات فكرية . فالقدرات العقلية إذن ليست قوى مرونة مسجلة في
صفحة الدماغ . بل هي تنشأ وتنمو وتتكامل في مجرى حياة الفرد على

أساس الامكانيات الفسلجية المثالية الموجودة لدى جميع الافراد الاسوياء غير ان ذلك لا يتم دفعة واحدة بل يمر بسلسلة من المراحل التصاعدية ويعبر عن نفسه على هيئة : اعضاء مخبة وظيلية ، او حلقات فكرية مترابطة ، لكن بعضها لا يتكون احياناً عند بعض الأشخاص بل بعض الموضوعات تتوغل لاجتماعية صرفة ، وقد يتكون بعض آخر بشكل ناقص أو يسرع تبدو آثاره السيئة في النمو الفكري للآخر ، والأشخاص الذين نعوزهم : اعضاء مخبة وظيلية ، في موضوع معين فانهم يوليون حصة ولا يبدلون فيه الجهد الفكري المطالب. أي أنهم يحدروا لسلجة: يستمرون الحد الأدنى من زرعهم الفسلجي فتأخر عليهم إمارات البلادة الاجتماعية الجذرة . ومعلوم ان مختلف الطفل ، من الناحية السايكولوجية ، مرد ان تختلف الفسلجي الاجتماعية . فقد ثبت ان دماغ الطفل يبقى غير مكتمل نحو قبل السنة السابعة ، وان القشرة المخية تستمر على النمو ، بعد ذلك ، ولا يتكامل نموها عند الشخص سليم إلا عندما يصبح عمره زهاء ثماني عشرة سنة^{١٩٨} والقشرة المخية التي تبلغ أربع درجات مرونتها في السنوات الخمس الأولى يمكنه التحجور عند تقدمها الظروف البيئية لللائمة. فالطفل الذي لا يتخذ الاجراءات الاجتماعية الكفيلة بتوجيهه ، طسول السنوات الخمس الأولى من حياته ، يصبح ، بعد ذلك ، صعب الترويب ، ويحزى عندما ارتجاع تفكير الأشخاص البدائيين الراضعين الى مستوى معين من الثقافة الى ان لغتهم المخية ، لم تجد في فترة نموها الفسلجي ذاته المطلوبة : الظروف البيئية اللائمة التي كوانر لدى اقرانهم في الشعوب الراقية . وهما يزيد الطين بلة ما يتعرض له هؤلاء المساكين من نقص في التغذية من حيث مقدارها ومن ناحية ترويعها . ولا شك في ان غيابا القشرة المخية تحتاج الى كمية كبيرة من الغذاء المتنوع الذي هو مصدر طاقتها العصبية . وهنا نجد ان تجهيزا بشبكة من الأعوية الدموية وانها أكثر اجزاء الجسم تأثراً بنقص الغذاء الذي يورثها لضمون والتجامل في اثناء

مهمتها الفكرية .

لقد مر بنا الحديث عن موقفة الأخيلاء أو المرتبة الدنيا من مراتب أفراد المجتمع من الناحية الفكرية . ونحن ان تحدثت عن الأسلوب الذي يتبعه من تصفهم بالمهارة والاعلمية والعبقرية لاستثمار إمكاناتهم الفسلفية ، حتى أفضل وجه . يحمل بنا ان نوضح ما يميز الماهر أو المبدع أو المبدع عن الموهوب أو الأملح أو الموهبي أو الجتهيد والعبقري أو الفاعل . يمكن الفرق الرئيسي بين الأول والثاني شيئاً (الماهر والأملح) في ظاهرة الابتكار الواضحة عند الأملح لأن الماهر يردد ما كان ، في الأعم الأغلب ، ما اشكره غيره . ومع ذلك فإن تلويع العلم والمهنة الرفيعة والتنظيرية يسجل مهرة مبتكرين يعدون الأصل في تطوره العلم ولكن بأسلوب يفوقه في المروعة . كما ان الكثيرين ممن يشغلون بمن الرواية في الأماكن الأثرية والمنازل والمخطوطات من يخلق عالمهم اسم *Restoration* هم بعد من ان يكون ما يتصوره مجرد نسخ طبق الأصل *Stecotype* أو : تقليد . إنهم يضيفون على ما يريدون إعادة ان يصفه أنفسهم شيئاً طرأً يدل على الحاجة أو الاصل . وفي الشعر العربي امثلة رائعة على ما ذكرناه . استمع الى هذا البيت الرائع الذي يصف به صاحبه الفيل الطويل المزمج :

كليني لهم يا امة ناصب رليل اقصاه بجليه الكواكب

ثم وزن بينه وبين المعنى الأروع الذي صاغه في شاعر جاء بعده :

خليل يا بال الدجى لا يزحزح وما يات ضوء الصبح لا يوضح

أعنى : النهار المستبصر طريقه أم الدجى ليس كله ليس يبرج !!

والذي صارت الألفية انذاك يخيل حسب راي القصة في موضوع

المخصص . ولا يقتصر الفرق بين الآلي والعقري في مدة الابتكار أو مداه وعمقه وإنما هو يظهر أيضاً ، وإلى الدرجة الأهم : هل أن الفكر العقري يأمب دوراً إيجابياً فريداً في مجال تخصصه بالنسبة لتأريخ العلم والنظريات الاجتماعية . ويأوح أن الآلي والعقري يتصعان عازاباً فلسفية دوراً ما زال البحث مستعراً ، على ما نعلم : لكشف الغائب عنها .

وبقدر ما يتعلق الأمر بدعم الملاحظات العديدة التي ألقاها بونكاريه دعماً فلسفياً في غيوه لمعرفة العملية الحديثة نستطيع أن نقول : أن الأساس الفلسفي لعملية الابتكار هو أن تركيز الانتباه لفترة طويلة من الزمن في موضوع معين ، بالاستناد إلى الآلام الواسع الحقيق به ، نشاط عصبي تنوم به خلايا القشرة المخية التي بلغ فيها الاهتمام أقصى درجات ارتفاعه . هذه الخلايا تنشط : في لحظات اهتمامها ، الجانب المدع أو المتكر في القشرة المخية . ذكر باللوب (١٨٤٩ - ١٩٣٩) : قبل زهاء نصف قرن ، لو أن غطاء شفاط عيط بالقشرة المخية ، بذلك الجمعية ، ولو أن يلمطاعتنا أن نسلط عليها ضوءاً ساطعاً من داخلها ، أرتبنا خلاياها التي بلغت ذروتها أو نشاطها أو تركيزها أعلى الدرجات فليج على هيئة قطع مربعة متألزة وسط خضم مسالج من خلايا القشرة المخية الأخرى التي تبدو شبه منسدة أو باهتة اللون . ومن الطريف أن نذكر هنا أن بعض الباحثين متطاج : قبل بضع سنوات : أن يعمل جهازهم بعض الكلاب متفقة يرى الباحث بعينه ما يجري داخلها وذلك بتوكيب لولادة زجاجية من مادة Plexiglas فيها ، وأحرف من ذلك أن المايكروسكوب الإلكتروني ، عندما سيطر على خلايا قشرة أيتشين (١٨٦٩ - ١٩٥٥) للخبرة دليل وفاته وأثناء انشغاله على بعض المعادلات قد سجل دفءاً غريبة عن عوا ما ذكرناه . وعندما لاحظ المختصون حدوث تشويش غير مألوف في تلك البقع الضوئية تزين عم ، بعد ذلك : أن أيتشين كان قد ذكر : في شرح عمله الذهني ، أخطاء واضحة ارتكبها في يوم سابق فالتفت

فهذه بتصحيحها مما انتهى إلى حدوث التشويش المذكور .

نقد مر " بنا القول ان الإشكال : من حيث هو محبة ذهنية استجيبة منظورة إليها من زاوية تركيز الانتباه لفترة طويلة من الزمن في موضوع معين : بالاستناد إلى الامام الموسع الصحيح به ، هو الخطأ حصي تقوم به خلايا القشرة المخية التي بلغت إكثارها حدّها الأقصى ، معنى ذلك ، من ناحية السلبية ، نشر عملية عزل نفسي تستلزم : في لحظة التركيز ، إقصاء الانطباعات النفسية والارارات البيئية التي هي خارج قصد من خلايا القشرة المخية الأخرى لكي تنشر تلك الأثرية فيها . وعندما تقرن أو تتلفح أو تتلفح الارتباطات العصبية في المنطقة النشطة من القشرة المخية فإن ذلك يعني ميلاد الفكرة الجديدة أو المتكررة . يحدث هذا القرآن السعيد الموقت أو الإشكال في أعقاب دراسة عميقة مستفيضة تستغرق مدين طويلة : بشكل مفاجيء عند نصيب : بين المراكز المخية المخية المنتشرة في أرجاء القشرة المخية باستثناء مقدماتها تماماً كما يحدث بين المراكز المخية المخية الموجودة في القسم الامامي من القشرة الأمر الذي يؤدي إلى التناقص فكرة طرية أو صورة شعرية قبل ان يمر من الفحص . فيتم انبثاقها في حقل الفن عما يليه لتشر في حالة حدوث الاكتران العصبية بين المراكز المخية المخية . وفي حقل العلم في حالة حدوثه بين المراكز المخية المخية . ويبلغ الصراع المخي أعلى مراتبه ، في الحادتين : بين الخلايا المخية نشيطة وبين الخلايا التي ما زالت باهتة النور . وتظهر في مجرى هذا الصراع صفات محبة جديدة يجوز لنا ان نسميها " غاض الأبداع " الذي يتصف به العبارة - وهو حالة خاصة من الصراع المبرر الحاسم الذي يحصل بين الجاري المخية التي تحمل الفكرة الجديدة لقذفها بخارج المخ وبين تلك التي تحاول الاحتفاظ بها : من طوائف الصراع الذي يحدث بين عوامل دفع الجنين بخارج الرحم وبين عوامل الاحتفاظ به . وعندما يستكمل الموارد الجديدة مستقرات وجوده المستقل فتنسب يرى النور في

اختلافين في المصنفات العلمية يشكك حتى لا مراد فيه . يحصل ذلك شكك مفاجيء كما ذكرنا . وقصة اريستيدس (٢٨٧ - ٢١٢ ق. م.) مسرولة عندما توصل انشاء استجلمه الى حل مسألة علمية أعجاء . حلها اخرج الى الشارع جنلاً يصيح بأعلى صوته : بوريك . بوريك . اخرج الى هذا الاتفاق المفاجيء . ولقد عمل فكري سابق مستفيض وعريق كما بينا . مثل نيون (١٦٣٤ - ١٧٢٧) كيف توصلت الى وضع قوانينك الطبيعية فاجاب : ركزت انتباهي رداً طويلاً فيها . كل ذلك دفع لاسم اعطيه الفرنسي بوفون (١٧٠٧ - ١٧٨٨) انك ان يتجر التجربة بأنها الممارسة على مواصلة البحث والاستقصاء . كما ان كرونبيك (١٧٦٩ - ١٨٣٢) اعلم الطبيعي الفرنسي عرف التجربة بأنها : انشاء مركز لا ينسب في موضوع معين .

يوضح ان ان للدراسة الواسعة العميقة في موضوع التخصص هي الشرط الثقافي الاول الذي لابد من توافره بشروط عمية الابتكار في حل العلم بصورة خاصة . ومن يتبع حياة العالم يجد انما لا تخص كونه ذلك . فقد صرف كرونبيكس (١٤٧٣ - ١٥٤٣) مثلاً زهاء ربعين عاماً للوصول الى آرائه في علم الفلك على بحثها بتقريبنا العلمية الحديثة ولم يترك ان نشر كتابه : حول حركة الاجرام السماوية : ولا عند بلوغه السبعين من عمره ونعت حفظ اصطلاحه والمجهول به : ولم تكتب النسخة الاثورة الا وهو عن فرائض الجوت . ومن لطيف ان تذكر هنا ان الباحث الفرنسي مولان قد جرى دراسة لتعلق بعض الحس التي بلغت فريق من قالوا بجائزة نوبل فوجدوا (٥١) سنة : وكان معدل عمر الفيزيائيين الذين منحوها الجائزة بين ١٩٠١ - ١٩٣٠ : (٤٥) سنة : وبين ١٩٣١ - ١٩٦٠ : (٤٦) سنة . وفي الكيمياء بين ١٩٠١ - ١٩٣٠ وبين ١٩٣١ - ١٩٦٠ : (٥١) عاماً . وفي الطب في الفترة الاثورة (٥٥) سنة : وفي الفترة الثانية (٥٣) سنة .

ليس الإبداع أو الابتكار ، في العمل الفني والعلمي ، إيجاد مكتشفات جديدة لا تمتد إلى عناصر مادية مألوفة ، بل هو الكشف عن علاقات أو ارتباطات موجودة سابقاً بين تلك العناصر المادية المألوفة . فبدر هذه العلاقات الجديدة : جديدة : بمعنى أنها لم تكن مألوفة من قبل لأنها كانت متوارية عن أعين الناس . فالارتباطات القديمة الجديدة التي يكشف عنها الابتكار أو التي هي الابتكار نفسه وعناصرها المادية المألوفة ظواهر موضوعية موجودة في البيئة المحيطة . أي أن الاتصال هي عاطلة المأم أو كشف النقاب عن جوانب متشابهة بين شيئين أو حادثتين لم تكن معروفة من قبل بصرف النظر عما إذا كان هذان الشيئين أو الحادثتان موجودين بالفعل جزئياً إلى جنب إنشاء الكشف عن العلاقة بينهما أم كانا متماثلين في الزمان والمكان ولكن ضمن العلم أو الفنان أو الشاعر الموهف قد جمع بينهما عن طريق الكشف عن العلاقة الحقيقية الموجودة بينهما . فقد اكتشف أرخميدس (٢٨٧ - ٢١٢ ق. م .) مثلاً العلاقة الموجودة بين المستخدم وبين قياس وزن الأجسام الصلبة المغمورة في الماء بشكل لم يسبقه أحد إليه . ورغم أن هذه الظاهرة كانت مأتوفة وجوانبها المادية مألوفة كذلك . كما أن معرفة الإنسان بتقلبات البحر بين المد والجزر وبمنزل القمر أثناء تحوله المتعاقب في صفحة السماء قديمة قدم رؤية سقوط الأجسام على الأرض . ومع ذلك فإن الكشف عن ارتباط هذه لظواهر المادية المألوفة بظواهر طبيعية مأتوفة أخرى والنظر إليها في قرينة جديدة قد أدى إلى نشوء مبدأ الجذب الذي قال به نيوتن (١٦٤٢ - ١٧٢٧) .

وما يصدق على العلم يصدق أيضاً على الفن والشعر . قال أحد الشعراء
يصف زلزالاً وقع في مصر ومخاطباً ليربها :

ما زلزلت مصر من كبد أم بها لكنها رقصت من حدلكم ملربها

وقال البحري في تصديده الرأفة :

تصب فيها وفود الماء معجلة	كالخيل عارضة من جبل مجريها
كأنها الغمامة البيضاء سائلة	من السالك تجري في مجاريها
إذا حلتها الصبا أبدت لها حبيكا	مثل أجواشن مصفولا حورتيها

وقال الشبي يخاطب أحد الذين مدحهم :

وذكرني رائحة الرياض كلامها	تغني لثنا على الحيا فنطرح
جهد المل لتكيف بآبن كريمة	توليه محسراً والمسن فصيح

وقال أيضاً :

أين أزعجت أيها المدام نحن نبت الربى وانت المدام !!

لا شك في أن التصبر الشخصي لا يتكرر ، بانشكل اندي انما اليه :
يحمل الابتكار حراً مشاعاً لجميع الأشخاص إذا ما هيئت الظروف الاجتماعية
اللائمة لكل منهم لاستثمار إمكاناته الفعالية إلى بعدها الأقصى في موضوع
تخصصه بعد تركيز اهتمامه فيه لفترة من الزمن واستيعابه بعق النظريات
المتعلقة به . غير أن الكثيرين منا قد اعتادوا أن يحدروا أمالة التفكير ،
في حقل التعليم مثلاً ؛ بقلة ضئيلة من التلايد . ويصبح لفرق حاد ،
بين قوى التفكير الأصلي ونقيضه فقدان الاستمالة عند هذا النقص ،
وحندي ، إذا كان في حث كما يقول الملاحظ ، أن هذا القياس السطحي
المتسل بعرف من أغنية الطلاب لأخضر فكرية جسيمة ويحرم المجتمع من
ثمار تفكير غالية ثمنه . كما أن مستويات تفكير التلاميذ ليست من
صميم عمل المدرس الذي ينبغي له أن يسمح لهم جميعاً فرصاً متكافئة

وعملية كئي يستشعروا طاقاتهم الفعلية ان حدها الانسي ، وان ينظر
 ان الامانة نظرة نسبية لا مطلقة يأخذ ينظر الاعتبار ظروفها المحلية
 والمحتوى الثقافي الذي يلفه صاحبها . وحديث بالاشارة هنا ان المعلمين
 كثيراً ما يلاحظون : حتى في الظروف التعليمية الملائمة ،
 ان بعض التلاميذ يعدلح لحياتاً قضوا تعلية بالولة بأساليب لا تحلو من
 الطريقة والابتكار . ولكن المدرسين يعتبرون لك الأساليب غير موفقة
 كما تؤدي مباشرة وبالشكل السأوف الى النتيجة المرجوة المحددة سلفاً
 في ذهن المدرس وعن صفحات الكتاب المدرسي . وقد تؤدي احياناً
 الى الولد نموذج عرضية يعتبرها المدرس ، وان كانت مهمة ، خارج
 لصله . وبذلك تؤدي روح الابتكار عند التلاميذ وذلك بسعي المعلمين
 ان صب تفكير التلاميذ في قوالب حادثة وحشهم عن اجوار ما مضى
 خرمهم . وتشجيعهم على التمسك بحرفية ما يقرآن . فلا غرو ان رأيت
 كثيراً من العبارة الاطلاقاً ككثيرا مختلفين في دراستهم بسبب جمود أساليب
 التدريس وعظم منهج الدراسة ومعاملة الامارة المدرسية . فاستقر
 (١٩٢٢ - ١٩٩٥) ١٩٤١ ودارون (١٩٠٩ - ١٩٢٢) وآينشتين
 (١٩٢٩ - ١٩٥٥) كسانوا في احياء : بمقاييس الصمم لتدريس
 بالالف .

وفي خرو ما ذكرنا نستطيع ان نقول : يولد الناس : في الاعم
 الاعلى ، متينين في أمن الذكاء من الناحية الفعلية التي هي نتاج
 البيئة في الذم الطويل . ان الاختلافات الكبيرة والكثيرة التي نشاهدها
 في مستويات الامالة بينهم نمردها ، على وجه الصوم ، الى اختلاف
 بيئاتهم الاجتماعية . واذا امتنينا الاشخاص الذين تعرضوا لدرجات
 عصبية طان كل نقص في امالة الفرد مررد الى بيئته الاجتماعية . ومعلوم
 ان الفرد يتفاعل مع بيئته عن طريق علاقاته ببعض اجزائها ومكوناتها
 التي لا تقع تحت حصر - ذلك لأن البيئة ليست كياناً واحداً متاسكاً

هذه الأبعاد والصفات ذا تأثير متبادل في جميع الأفراد - بل في مجموعة
 لا تخص من الكائنات الحية والجماعة ومن العلاقات الموجودة بينها التي
 يتعرض لها الأفراد بحيث في ذلك ككل منهم في التأثير البينية التي
 يتعامل معها ويؤثر بها بطريقة الخاصة في كل لحظة من لحظات حياته.
 وهذا ليس سطحية الزعم التي يفرضه جعل الأفراد يعيشون في بيئة معينة
 ويستجيبون لها ككروا بصورة مائة . كما تبدو أيضاً سطحية ، لا تلمس
 الآخر المقابل الذي يتجلى في السلوك لتأثير متزايدة من واقعها وتربيتها
 مثل : طالب ، ر ، ذكاء ، ر : إنسان ، ر : مواطن ، ر : وليها
 والجميع عليها كما لو كانت حالات فردية خاصة في حين أن هذه
 المصطلحات تفقد في شمولها خارج نطاق الحالات الفردية المحسوسة التي
 تشير إليها ، إلى الوجود المادي المحسوس الذي يتضح به الأفراد للآخر
 أنفسهم بها : أي أنها مصطلحات لغوية عامة لا تشير إلى حالات فردية
 خاصة محسوسة ، لكونها تصنيف عناصر البيئة إلى مراتب ودرجات متصورة
 عن بعضها فيما يتعلق باللامع المشتركة الموجودة بين أفراد كل منها .
 فالعقاب مثلاً : من حيث هو كيان مادي واجتماعي ، ليس له وجود
 مستقل منفرد عن هذا الطالب أو ذاك : زيبه أو عمرو الذي يمكن
 في أسس العقابي ويحمل الجنسية القومية وينتمي إلى هذه الأسرة ، والذات
 ويحتل المركز الاجتماعي المعين وله بيئة الخاصة التي يفرد بها عود موافق
 فإذا انشغل عن التحدث بلغه للمجرات البهية عن الفرد والبيئة صارت
 الحكامات المايكولوجية إلى أصولها الوهمية التي انتقلت عنها تماماً كما يغفل
 الأطباء حين يركزون اهتمامهم في حالة كل مريض على الأفراد انشغالهم
 والكشف عن عناصر حرك القربة والبيئة بالامتداد ، بالطبع ، إلى
 المبادئ النظرية العامة لا اتصالاً منها ، وإن تكرر مواقفهم في
 المتخالفين على أسس مواقف الأطباء أو المربين بما فيها من خير وشر
 وتشجيع .

نرى أن البيئة الاجتماعية نظرة تاريخية لو بدنا لها ذات فحجرات
تفصل بين الأفراد والذي إلى تباين فوس الحياة ونهم ونحسوت دون
استأزهم جميعاً مقداراً متألفة من امكانياتهم الشخصية في اوجه النشاط
الذكوري المالك في المجتمع الذين يميلون فيه ، وكلها اتسعت تلك الفجوات
زاد مقدار المكافآت المطبورة والكفايات التسمية بغير الانجساة السام ،
والبيئة الاجتماعية مشوة ايضاً عن تقدم الانسان الحديث ، ان الناجين
المادية والثقافة ، وكلها ارنجع المشوي العام لثقافة العصر والمجتمع بصورة
عامة وفي مجال اختصاص الفرد أصبح ارتفاع مستوى الاصابة عند هذا
الشخص يحصل التلويح ، والعكس صحيح كذلك ، فبدائية الاصابة عند
الانسان البدائي ناتجة ، بالدرجة الاولى ، عن بدائية بيئته . غير ان
البدائية الفكرية تحصل : بدورها ، على جعل البيئة تلاحظ بدائية
كذلك . وهكذا فواليك . ومرد هذا : في الأساس ، ان البيئة
يعزها هذا المقدار الضخم من عوامل الخطر الاجتماعية المتطورة في البيئة
المتقدمة التي تستثير التفكير وتتحداه وتحد على العمل المتواصل . كما
ان عوامل الخطر في البيئة البدائية ، مع تضاعفها وضاعفها ، لا توجه
اهتمام الأشخاص الذين يقعون تحت تأثيرها إلا إلى مظاهر البيئة المتقدمة .
ومن لطريف ان نذكر هنا ان قساعة رجال الفضاء الكوني التي بدت
ظلالها قبل بضع سنوات ، قد اثبتت ان القشرة المخية بحاجة متواصلة
الى تلقي عوامل الخطر البيئية التي تشعلها الى الدرجة المطلوبة . كما ان
التجارب المخبرية ، التي اجريت على اشخاص وضموها في غبرات بموتها
المكون المطلق ، دلت على حصول لقشرة المخية وانحطاقها في تقسيم
بالتزاماتها الفكرية .

والخلاصة : يجب البحث في بيئة الاجتماعية ، لا في طبيعة الفرد
بالمعنى البيولوجي المجرد ، للكشف عن العوامل التي جعلت تلامساً
فكرياً بعباس عصره وقيمه وجمادات غيره بل بعباس ذاتها . كما

يجب ان نعمل ، في الوقت نفسه ، وبصورة مشمرة على تحسين بيئات
 الأفراد في نواحيها المتعددة ليشقى لهم استثمار اكبر مقدار مستطاع من
 امكانياتهم الفسجية الهائلة ، في المجالات الاجتماعية التي تؤدي الى تقدم
 المجتمع مادياً وثقافياً على حد سواء . ويبدو انه لا يوجد فرق : من
 حيث الأساس : بين الامكانيات الفسجية الموجودة لدى الانسان وبين
 الامكانيات التي تبنيها المادة الجامدة كالطاقة النووية . فكما ان حاقصة
 ازمة الليرة نجر عن نفسها بأشكال متعددة تزداد كلما كثرت مشكلاتها ،
 أثناء التفاعل : بالعوامل البيئية المختلفة . كذلك نحن بالنسبة للامكانيات
 الفسجية المتكربة . مع العلم ان هذه الاشجرة أوسع منى وأكثر مرونة
 ونفكر على الانتشار كما تنبأت لها الظروف البيئية الملائمة . ولتوضيح
 ذلك نستطيع ان نشبه البيئة الاجتماعية بالأرض بصفاتها الجيولوجية المتعددة
 وان نشبه الامكانيات الفسجية المتكربة الموجودة لدى كل منا بأحد البادئ
 الموجودة داخلها . وعلمنا ان نخب عن تلك الامكانيات الفسجية الهائلة
 اللزونة على نسق التنب في طبقات الأرض عن الزروة المعدنية . وإذا
 كان مستطاع الانسان ان يستكشف ، في المستقبل خيبر بعيد ، الزروة
 المعدنية الموجودة داخل الأرض بالشار لتعاقص كتابتها مع الزمن انسان
 استقرت الزروة الفسجية عند الفرد غير محتمل لوقوع وبخاملة في الاجيال
 المتتالية التي لا حد لتعاقبها . ونستطيع نحو الامثلة على الفضل وجب
 لا سيما في المجتمعات المختلفة لا مفر من نشره علم لطبقات التفكير على
 نسق علم طبقات الأرض . وعلم طبقات التفكير يأخذ مطلقته في الأساس
 من تحسين الظروف البيئية العامة لجميع المواطنين ولحسن الدراسة ومخارجها .
 وهكذا يستلزم ، بالأسف الى نشر التعليم بأوسع نطاق ممكن ، مساعدة
 النظر جديراً في مناهج الدراسة وأساليب التدريس وفي الادارة المدرسية
 كما يستلزم أيضاً تنمية علم النفس من الآراء القوية التي تسربت في من
 الانفلتونية واعتدت عن المعاني بفروع المعرفة الأخرى بما فيها الفلسفة

الحديثة . ولكني ينبغي علم النفس حقيقة العلوم عليه ان يعيد بناءه على
 أساس معطيات العلوم الفلسفية التي ذكرنا أهمها في ثنايا هذا البحث .
 فيصبح علم النفس أحد العلوم الاجتماعية التي تدرس الأصالة باعتبارها
 ظاهرة اجتماعية مرغوبة من حيث المحتوى . كما يصبح أيضاً أحد
 العلوم البيولوجية التي تدرس الأصالة من حيث أساسها الجسدي الذي
 هو المقرة الأخيرة .

وينبغي المشرطين على انعلم ان يتذكروا دائماً ان الأصالة لا تحدث
 عند الشخص إلا إذا واجهته مشكلة فكرية معينة : وان المشاكل التعليمية
 تختلف في مدى صعوبتها بالنسبة لطلاب ، وان أفضل المشاكل من
 الناحية التربوية ما كان مزيجاً من السهولة والصعوبة بالنسبة لطلاب ذلك
 لأن المشاكل الصعبة تزيد وتغفل قدرته على الابتكار ، أما المشكلات
 السهلة فلا تستثير الجهد الفكري المطلوب . معنى ذلك ان المشكلات
 التربوية التي تستوفي شروطها الامامية لا بد ان تكون صعبة وسهلة في
 آن واحد : اي على درجة من الصعوبة كافية بحيث تتحدى الأصالة
 وأن تكون على درجة من السهولة بحيث يستطيع الطالب ان يستعين بخبرته
 السابقة عند مراجعته ايادها .

ذلك هو النهج الذي نرى ان تسير فيه الدول المتقدمة في سبيل التعلم
 شريطة ان يفرض للتعلمين بشقوته في نفوس الناشئة ان يتفوق على الآخرين
 في مجال معين أو موضوع خاص يلقي على صاحبه مزيداً من المستويات
 الاجتماعية بدلاً من ان يهيء له فرص الاستئثار بجهود غيره ، وان يعلموا
 ان هذا التفرق ميسور للجميع اذا ملكت لهم الظروف الاجتماعية الملائمة
 واستمر كل منهم تكاثراته الفلسفية ان حلها الاقصى في موضوع
 يعود عليه وعلى مجتمعه بالنفع العظيم .

لؤي جعيط

قائمة بعض المراجع الرئيسية

- (1) Yergs, B. editor, *New Horizons in Psychology*, Penguin Books, London, 1968, chapter 3, P.P., 161 — 166.
- (2) Glaser, J., *The Psychology of Invention in the Mathematical Field*, Dover, New York, 1964, P.P., 21 — 48.
- (3) Galton, F. *Hereditary Genius*, Macmillan, New York, 1914.
- (4) Miller G., *Psychology: The science of Mental Life*, Penguin Books, London, 1968, chapter 2, P.P., 145 — 166.
- (5) Koshlauer, E. *The Psychology of the Mind of Genes*, Kegan Paul, London, 1931.
- (6) Koshlauer, E. *Talents and character*, Kegan Paul, London, 1931.
- (7) Schneider, D.K., *The Teyens-Analyt and the Artist*, New American Library, New York, 1965, Part 2, P.P., 41 — 112.
- (8) Chomsky, R. editor, *The creative Process*, The New American Library, New York, 1952, P.P., 208 — 224.
- (9) Piaget, J., *Thought and Method*, Dover Publications, New York, P.P., 14 — 24.
- (10) Kossler, A., *The Art of invention: A study of the conscious and Unconscious in Science and Art*, Bell Publications, New York, 1957, P.P., 411-501.
- (11) Fulton, J.F., *Physiology of the Nervous system*, Oxford University Press, New York, 1961, P.P., 282-291.

- (13) BRIDGES, M.A.B. On Electrical Activity of the Nervous System. *Physical Medical Postgraduate* Ox. London, 1939 chapter 16, P.P., 193 — 212.
- (14) HILL, D. and TAIT, G. editors, *Kinescopic photography*, Macdonald, London, 1969 chapter 5, P.P., 99 — 117.
- (15) PASTERNAK, R. Psychology as you may like it. Moscow, Foreign Languages Publishing House 1959 P., 49.
- (16) BARTON, M. editor, *Development and the Study of Man*, Tavistock Publications, London, 1963, P., 42.
- (17) McDONELL, R.J.B, *Scene Psychology*, London, Murray, 1968, P.P., 5 — 8.
- (18) GARY, H. Paster: *The Man and His Thinks*, Tavistock Publications, New York, 1967, P., 81.
- (19) GARY, H. Paster: *The Man and His Thinks*, Tavistock Publications, New York, 1967, P., 81.
- (20) GARY, H. Paster: *The Man and His Thinks*, Tavistock Publications, New York, 1967 P., 11.

تقديم

الدكتور عبد الرحمن بدوي

جغرافية أنجلس وأوروبا من كتاب : أساطير والممالك
لأبي عبد الله البكري (توفي ٤٨٧ هـ ، ١٠٩٩ م) ، تحقيق
الدكتور عبد الرحمن بدوي ، تحقيق : دار الإرشاد ،
بيروت ، ١٩٦٨ : في ٢٥٣ صفحة .

هو عبد البكري جغرافي فذ في صيغة الجغرافيين العرب ، ومع
الاطلاع على المصادر الأوروبية : كما يكشف عن ذلك في مؤلفاته
وأساطير والممالك : مفيد ليس فقط في الجغرافيا والبلدان : بل أيضاً
- إن لم يكن حصرياً - بها بنخال كلامه عن البلدان من مطروحات
تاريخية ودينية وأثرية تشبه له بالأهمية والرجوع إن لولا المصادر .

ولم يبق لك مع الأسف غير كتاب : « معجم ما استعجم » كمالاً ، الذي
نشره فستفلك مثلاً حوالى سنة ١٩٠٠ م . ثم قطع نخلة من كذب : أساطير
والممالك .

وأول هذه القطع تتعلق بالترقية والمغرب : حقاها هي سلاط
ونشرها جنون : المغرب في ذكر بلاد الموقية والمغرب : وهو جزء
من أجزاء المكتب للعروب ب : للمالك والمالك : تأليف الشيخ اعلم
العلامة الحبر الشهامة أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري : مطبعة
الحكومة ، ١٨٥٧ ، وقد تم بمطبعة من البكري : حياته ومسيرته
(غولي البكري في شهر شوآل ١٢٨٧ هـ - أكتوبر - نوفمبر ١٩٦٦ م)
من منشأة جد) ، وقد نشرها هي سلاط على أساس ثلاث مخطوطات :
باريس : والمكتب الريحاني : والخزائر .

وكان من أسانول ، والمكتب قطع أخرى منفردة ، لأن يتم عند زمن
بعد نشر القطع الأخرى لاقية .

ولكن شيئا من ذلك لم يتم ، فيما عدا نشر بعض فصول أو صفحات
بصورة كما فعل ليفي وروندل في صحيفة لفرجيت الفرنسية لكتاب
«الروض المصنوع» لمحمد بن عبد المصم المصيري (لندن : ١٩٣٨) :
والدكتور حسين موسى في « مجلة معهد الدراسات الإسلامية » (انجلدن
السابع الخامس ، ١٩٥٩-١٩٦٠) : ولها نشر القسم الخامس بالعقائد،
نشره مكتبة وروندل في بلمبورج عام ١٨٦٨ ، وسخطي من ترجمة
والدراسة بأرفي نصيب .

ونحن لأن وراء تحقيق بعض قطع هذا الكتاب على سخطي بحرفية
الأندلس وأوروبا ، وقد نشرها الدكتور سخطي على أساس ست
مخطوطات : باريس برقم ٢٢١٨ : باريس برقم ٥٩١٥ ، القرويين
بفلس برقم ٣٩٠١٨٠ ، الخزانة العامة بالرياض (قسم الوثائق) برقم
في ٤٨٨ ، لادن باستانول برقم ٢١٤٤ ، لوري عمان باستانول برقم
٣٠٤٣ ، وروندل بستانول مسند إلى التراجع والمواضي المنيرة :
بالحرفية خصوصا .

وتحقيق الكتاب على أساس هذه المخطوطة ثم صير خطاً آخر
من هذا نطبع أن يكون التحقيق أثم وأولى

ولا نستطيع في هذه الكلمة الصغيرة أن نقول انشء وتفصيل
لكن نجري بالاحاطات التالية :

أولاً : فيما يتعلق بترتيب النص :

لاحظ أن المحقق لم يضع الترتيب الجوار في أي عسوط : بل : به
أي شاء : على أساس أن هذه القطعة أو حتى هذه الفقرة أدخل في هذه
كتاب من تلك القطعة ، وكل هذا قد استلزمه للمحقق لعله دون ضابط
من الأمور نصيباً ، وهي المرجع الأول . لهذا لا نستطيع أن نقول إن
هذا الذي نشره مثل ترتيب النص الأصلي كما وضع المؤلف . وقد دخل
في هذا من الحكماء ما لا يقره المنهج الفيلولوجي والتحقيق العلمي .

ثانياً : فيما يتعلق بتحقيق النص .

لاحظنا أنه كان في حاجة إلى مزيد من التحقيق والاطلاع ، فكتاب
المحقق كما قد ليس جغرافياً حسب : بل فيه معلومات تاريخية وثنية
وتجريبية : بل : فلسفية حديثة : غير مدعومة وقد رجح إلى مصدر لاتينية
ولا يبري حل ثم ذلك مباشرة أو بالاستعانة بترجمات موجودة فعلاً :
أو عملت ضابطاً ، وأخرى يونانية : فجاءت حقائق معلومات جديدة .

وله كان يخلق للمحقق أن يشير طويلاً من هذه الجوانب التي
تختلف عليه . والبرود هنا نصحيحات ، حل سهل لك ، بعض
هذه التوافيق :

١ - ص ١٦٦ من ٣ : البربريس - رصوبه : البربريس (وهو
لست على معروف جداً ، راجع عنه « مفردات » ابن الجصار :
والمذكور في « مفردات » ابن الجصار) .

١١ - ص ٢١٣ تعليق ٢ : لا معنى له ، والله اعلم من يوضحه .

١٢ - ص ٢١٤ من ٨ : قولون بولس القيسوف - جوابه :
فرنزيوس (الصوري) القيسوف اللاعنوني لمحدث لشهر : عمية
اللوحيين) .

١٣ - ص ٢١٧ : كان فيها جلس من المسوخ بين واحدة في وسط
جناهم بسمون جنلوفس - وصوابه : قنلوفس : أي Cynelopes
وهم في الميثولوجيا اليونانية : جنس من المسوخ اثنان : ليس لواحد
مها غير بين واحدة في وسط الجهة : وهم يصنعون في بركان اثنان ،
صوانح (يرس) ثمر من غنايمتوس (= فلكانوس) ، ومن هنا كان
الكلام عنهم بدمية جزيرة صقلية التي فيها يوجد بركان اثنان في الشمال
الشرقي منها . وفيه كان يسكن فولكانوس والحقولوس .

ونكفي بهذه الشواهد دليلاً على أن المعنى في حلقة هذا تحقيق صبي
يراعي ترتيب الأصل ، ويقوم نقش بزيادة من العذبة ، لأن مكتبة البكري
في الجزائر تطلب أن تتوافق الحقيق كتبه أثبات المقد التاريخي سليم .

• • •

Muhammad and the Conquest of Islam, by ARTHUR GRIFFITH, FORD LIBRARY
UNIVERSITY LIBRARY, WASHINGTON and HARVARD, CAMBRIDGE, 1969; 240 pp.

ظهرت الترجمة الانجليزية لهذا الكتاب قبل الأمدل لايطاني ، لأن
قصد به ان يكون في مجموعة مكتبة الجامعة العربية لولا

وانوالف ، الأمتد هولنديك جبريلي . ثم ان المراسلات العربية في
معهد المراسلات الإسلامية بجامعة روما : قد سبق له ان كتب بحثاً صغيراً
عن النبي صلى الله عليه وسلم . ولكنه في الكتاب الذي تحدثت عنه
ثم انصرفاً بفروا انبي ثم بفرواات الإسلام . وقد كسره على
التصور الأدبي :

- ١ - بحث في التاريخ .
- ٢ - الجزيرة العربية قبل النبي .
- ٣ - بحث في مكة .
- ٤ - الانتصار في المدينة .
- ٥ - الإسلام والدولة العربية الإسلامية .
- ٦ - تكوين الامبراطورية الإسلامية .
- ٧ - الفتوحات في الشرق : في العراق وفارس .
- ٨ - الفتوحات في الشمال : في الشام وما بين النهرين وأرمينية .
- ٩ - الفتوحات في الغرب : مصر وشمال إفريقيا .
- ١٠ - الإسلام في أوروبا : في إسبانيا وفرنسا وبريطانيا .
- ١١ - الحروب في الشرق .
- ١٢ - المحطات الإسلامية العربية .

وقد استعرض في الفصل المذكور فكرة أوروبا عن النبي العربي حين
 لقد عليه وسلم ، ثم بيّنه الدراسات العلمية عن حياة الرسول في القرن
 الماضي : التاريخ لقرآن ، لذلك (١٨٦٠) ثم ترجمة د. مبركة ،
 ابن هشام (١٨٦٠) في قدم بها قبل ، و د. محمد محمد ، تأليف
 اشرف خسر (١٨٦١ - ١٨٦٢) : وبعد أول سيرة علمية كتبت في أوروبا
 عن النبي : وقد اعتمد فيها المؤلف على الأصول العربية : ودرس
 الإسلام في وضع التاريخي . ووجه بعد ذلك د. جرم أنكتب عن النبي
 بعنوان : « محمد » (١٨٦٢ - ١٨٦٤) : ونظر إلى رسالة الإسلام على
 أنها في جوهرها رسالة اجتماعية . وبعد ذلك بشرين دولاً نجد كتبني في
 كتابه المشهور « حركات الإسلام » و « دراسات في التاريخ الشرقي »

(١٩١٤) فجعل رسالت الإسلام دينه في نظام الأول . وعرج على كتب : محمد بن قورنوس ، وأولف بن الذي ترجمته إلى الإيطالية ، وانتقل إلى كتاب يون (١٩٠٣ ، الترجمة اللاتينية ١٩٣٠) وهو مبيرة واسعة منفصلة . وآخر هذه الدراسات كتب : محمد بن حورفروا في مومين (١٩٥٧) وكتب موشجيري وباب الحلاج : « محمد في مكة » ، « محمد في المدينة » ، « محمد : نبياً وزعيماً سياسياً » ، وقد ظهرت بين سنة ١٩٥٠ و ١٩٦٠ .

وراضح أن هذا التصور بصاحب مزيد من الفهم لصحيح لرؤية النبي العربي الكريم : « طراح للأكاذيب والأوهام التي سمعت عليها أوروبا في نظرتها إلى الإسلام (عليه) مع استثناء ما كتبه لأماني : فهذا لا يمكن أن يدخل في عتاد الأبحاث العلمية : بل « دراسات » كلها أبحاث أشنع أنواع التعصب وجهل وتزييف التصور التاريخي رسو الفهم انصت لمصادر » .

وكتب الأستاذ جبري محمد به القارئ العربي الأوروبي « لا لمختصر » . ولكنه استفاد من نتائج أبحاث هؤلاء الباحثين : وبحث ملاحظات وجهة وآراء توثيقية في بعض الحالات التاريخية .

لكننا نلاحظ مع ذلك أن بعض آرائه في حاجة إلى مزيد من التوثيقية والتقدير العلمي الصحيح للطرف التي تمت بعض القرارات ، خصوصاً ما قاله في الصفحات ٦٠ ، ٧٣ . وقد رتب هذه المسألة خلفها الأستاذ محمد الله في كتابه *Enquête de l'Islam* ج ١ ، ص ٣٦٤ - ٣٨٦ ، وأبرز الظروف والأسباب التي أدت إلى اتخاذ هذه القرارات ومبرراتها التي يرى أنها على عقل يتخذ الاعتدال التزهد دينه .

والكتاب حائل بالصورة للزكاة المتأخوذة عن روائع الفن الإسلامي

plus et la Collection de l'Exercice par Louis Dreyer, 20.
Paris, 1907. 508 pp. Grand in 8.

هذا هو الكتاب الأول من مجموعة كان قد أعلن عنه المؤلف هو
وزير الأوب جورج شحاته قناني في كتابها ، المسمى (أصول الدين
في الإسلام) التي ظهرت سنة ١٩١٨ .

وفي هذه المجموعة قصد المؤلفان إلى عرض : المسائل الكبرى في
أصول الدين في الإسلام : مع مقارنتها بنظائرها في المسيحية ابتداءً من
الابيضاح ، ومنتهى في المسيح .

١ - الأول : ويكتبها الأوب قناني وتتألف : من : وجوده وحياته .

٢ - الثانية : ويؤلفها : الله ومصور الإنسان .

ومعه الأخيرة هي التي ظهرت أولاً في الكتاب الذي تحدث عنه
الآن . وقد قسمه الأستاذ اوي جورج ، المعروف بالبحر العبدية في
مبدأ الدراسات الفلسفية لصوفية الإسلامية (والمقدمة الإسلامية : ١٩١١)
في ٤١٨ ص : ، المعروف الإسلامي : أوجهه واتجاهاته ، لجساره
والسائيه : ١٩٦١ : في ٣١٢ ص : ، وآراء ابن سينا الدينية ، ١٩٥١)
في ٢٣٨ ص : ، الخ ...) إلى خمس مدلات (على حد تعبيره) أو
أبواب هي :

١ - آلهة نعل (سموت الإنسانية والخلقة الإلهية) .

٢ - النبوة (كتاب النبوة) .

٣ - البحث والآخرة (كتاب العدد ، الوحد والوحد) .

٤ - الأسماء والأحكام (مشكلة الإيمان والعمل) .

٥ - الإيمان والأمر بالمعروف .

والتي يملك كنه الباطن : « اصطلاحات فنية » (عربي - فرنسي) ،
الإسلام ، الآيات القرآنية المذكورة : الكتب والمقالات المشار إليها .

وأبواب الأول تناول الصلة بين الله والعباد ، و« سرّ العلق بين المطلق
أو الموجب وبين الممكن (الإنسان) » ، و« سرّ العمل الإنساني الحر في مواجهة
قضاء الله وقدره » ، و« سرّ العلاقة الإلهية ووجود الشر في العالم » والبحث
هذا أدخل في « العقليات » .

والثاني تناول انبياء بوجه عام والتكليم : و« رسالة النبي محمد صلى
الله عليه وسلم » . والبحث هذا في منزلة بين « العقليات » و « التسميات » .
والثالث تناول لنور الآخرة والجنات ، ومسائل في الأخلاق النبوية مثل
التوبة .

والرابع في الأسماء والأحكام ، أي في الصلة بين الإيمان والعمل ،
و« هل الإيمان هو التصديق القلبي أو يضاف إليه أيضاً العمل الصالح » . وهذا
البحث أدخل في الأخلاق النبوية .

والخامس والأخير هو في موضوع الإمامة ، أي الباشة الشرعية ،
والمسائل التي يذكرها ترجع إلى عهد الرسول ، وتبلغ أوجها بعد معركة
مؤتة (٦٢٧ هـ) ، وهم جراح المؤمنين ومقتداً خصوصاً شعث الخرق
الإسلامية ، خصوصاً الشيعة والخوارج .

ولقد يبدو من هذا الترتيب أنه يدير ترتيب كتب التوحيد التقليدية في
الإسلام ، وخصوصاً كتب المتأخرين - والمؤلف يعتمد كثيراً عليها :
خصوصاً شروح : جوهرة التوحيد ، وعلى رأسها شرح أو حاشية إبراهيم
الهاجري المعروفة لطلاب المعاهد الدينية . ولكنه في تحليل العرض يرجع
إلى الكتب الرئيسية في علم الكلام ، وقد استضاف خصوصاً ما نشر في
السنوات الأخيرة من كتب المعتزلة ، خصوصاً كتب القاضي عبد الجبار :

« الذي » . و « شرح الأصول الخمسة » ، وهي الكتب التي عثرت كثيراً في عرض مسائل علم الكلام وزادته علماً كبيراً بمنهج المعتزلة في كل أمور التوحيد .

بيد أنه نظراً إلى أن الأساس في دراسة الأستاذ حارثية هو المقارنة مع مذاهب اللاهوت المسيحي ، فإن العرض يتقطع باستمرار بسبب هذه القدرات التي قد يطيل فيها المؤلف شيئاً أكثر مما ينبغي (راجع مثلاً ص ١٠٣ - ١٠٧ في الكلام عن فكرة المسيحية في الفصل الثاني من الجزء ١) وكان الأول بالمؤلف أن يوجز فيها قدر الامكان ، إذ أن ذلك أعطى للكتاب طابع المقارنة أكثر من طابع العرض ، خصوصاً وأن هذه المقارنة لا توضح الأسفل (وهو الرأي الإسلامي) ، بل ربما تزيد في غموضه .

كما كنا نود أيضاً أن يتلوه معهم المصطلحات الفنية (عربي - فرنسي) من أنظمة الخطوط عليها عديدة .

عل أن هذا الكتاب - في حدود الذية التي قصدها المؤلف - يميز بكل تقدير : فهو يمتاز بسعة الاطلاع ، وحسن التمهيد للمباحث ، والشمول في العرض .

لكن المكتبة الأوروبية لا تزال بحاجة إلى عرض موضوعي علمي شامل لأصول الدين في الإسلام .

* * *

An introduction to Islamic theological doctrine: Concepts of nature and methods used for its study by the Imam al-Kutobi, al-Shahrastani, and Ibn Arabi. By Sayyid Husayn Nasr. The Belknap Press of Harvard University Press, Cambridge, Massachusetts, 1961, XXXI+302 pages.

موضوع هذا الكتاب هو دراسة الطبيعة عند اخوان الصفا والبيروني وابن سينا ، وذلك انقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة . وهو عبارة عن شرح

مقدمة ومقدمة لرسالة الدكتوراه التي فيها المؤلف أو جامعة هارفرد
بأمريكا سنة ١٩٥٨ .

ويهدف المؤلف إلى دراسة العلوم الطبيعية عند المسلمين من صوره
في الإسلام التي حصلت عنده ، حتى نأخذ أن هذه العلوم في الإسلام
كانت على رباط وثيق بالأفكار الميتافيزيقية والدينية واغلبت التي سيطرت
على الحضرة الإسلامية : ذلك أن الدراسة الأساسية للعلوم الكونية في
حضارة ، يجب أن تحسب حساباً ليست فقط في استعاره من أفكار
ووقائع من حضارات سابقة ، بل وأيضاً لذلك الارتباط الوثيق بين
الوحي وبين الرموز المستخدمة لدراسة الطبيعة (ص ٢) .

وقد اختار المؤلف : اخوان الصفا ، والبيروني ، وابن سينا ، لأهم
في نظره ، وعللون نظرياً كل الاتجاهات المهمة التي اتخذت في العلوم
الكونية في الإسلام (ص ٢٧٥) : فإخوان الصفا يمثلون النظرة الشيعية
خصوصاً الاسماعيلية عنده ، وهو يرون أن دراسة الطبيعة جزء من برنامج
شعر ماركس الإنسانية ، وهم يربطون نظرتهم في الكون وبين الأصل
لأنهم يملكون : ويرون أن دراسة الكون وأجزاءه خصوصاً مليحة وضرورية
معرفة الحقائق الإلهية .

أما البيروني فيمثل وجهة نظر العلم والبرهان والبرهاني والحكي .
ونشره إلى الطبيعة نظره العلم السابق الإنسان ، الذي يرى العلم من
جميع النواحي ، ويرى من لادخي للذين ملاحظة الطبيعة ودراساتها . وعنده
يتميز بعض الأفكار الهندية ، خصوصاً فكرة الرحمن ، مع الأفكار
اليونانية : وكل هذا عن دوره موقف إسلامي تجاه الطبيعة بوصفها المجال
لعظيم لتجلى فكرة الله .

ويضم المؤلف فلسفة ابن سينا إلى توماس : طائفة أو رسمية ،
ومسورة أو بشرية ، وفي الأول يتجلى شيئاً عائداً متأثراً بأرسطو

وشرحه الأستاذون والطلبة المحدثين ، والتوحيد الإسلامي . وفي الثانية يرى ابن سينا أن المعرفة طباعة ، وأنها عملية يتحول بواسطتها العارف . ويحده في هذه المرحلة أن معرفة الكون تتم بواسطة النظر في الكون : بحيث أن معرفة الظواهر الطبيعية تتحول إلى تجارب معرفة شراعية ، فتصبح طبيعة في هذه النظرة بمثابة الأساس لمسار العرفاني ، ومعرفة الطبيعة هي الطريق المؤدي إلى النجاة الروحية .

والكتاب بالتصاوه على هذه المذاهب الثلاثة يحوي ما من يتولى البحث عن فكرة الطبيعة عند بعض المفكرين المسلمين ، خصوصاً ابن ركبنا الرازي الذي كان يستحق أن يقن مركز تصادفة في مثل هذه المرات لأن أفكاره أكثر أصالة من هؤلاء الثلاثة .

• • •

Marino Faddagor, Di ritorno dall'essere. Autrice Adelgo Dossato, Bologna, Il Mulino, 1994. 128 pp.

هذه دراسة مستفيضة لطوائف خاصة من فلسفة هيدجر تتناول خصوصاً الأمور المتعلقة بالخطارة وموقف الإنسان في الكون في فلسفة هيدجر .

هذا درت فصوله على :

١ - هاوية التناحر في الرجوع .

٢ - تجاوز الشكل .

٣ - تجلّي الوجود .

٤ - الإنسان والعدم .

٥ - صير الفكر .

ومن هنا هدف الكتاب إلى استجلاء معنى الخطارة الحرة من خلال تحليلات هيدجر : لأنه وجد في قوة فكرة ورؤية المشاكلي التي درسها ما يمكن من ذلك .

وقد سره المؤلف لباً شبه كامل تراثات هيدجر وأعماله وكتبه ببلد
١٠٢ : وأضاف إليه لباً كاملاً باللغوس والتعريفات التي قدم بها
هيدجر في المطبعة في السنوات من ١٩١٥ حتى ١٩٤٥ : ثم من ١٩٤٥
حتى ١٩٥٧ : فجهت الكتب المصادر هذه توفى ما نعرف من اثبات شخص
انتاج هيدجر ، كذلك نقلت بعض الكتب الرئيسية التي تناولت مذهب
هيدجر : لخص بالتحليل والتفصيل منه : هي :

- K. Löwith, Heidegger, Denken in deutscher Zeit, 2. Aufl. Göttingen, 1960, 112 pp.
- J. Wipplinger, Wahrheit und Geschichtsdenken, Eine Untersuchung über die Frage nach dem Wesen der Wahrheit in Heidegger Martin Heidegger, München, 1961, 388 pp.
- W. Mann, Heidegger und die Tradition Eine geschichts-philosophische Einführung in die Denkweisen Martin Heideggers, 1961, 287 pp.
- E. Scheller, Die spätere Heidegger, Pöhlmann, 1962, 112 pp.
- O. Pöggeler, Der Dasein Martin Heideggers, Pöhlmann, 1961, 93 pp.
- G. Venturi, Dasein storia e linguaggio in Heidegger, Torino, 1962.

وأكتبنا ذلك على مدى الاهتمام البالغ بفلسفة هيدجر في السنوات الأخيرة
وقد جاء كتاب كولومر هذا فأوفى عليها جميعاً في غزارة المادة وعمق
التحليل وجدة النظرة التي نظر بها إلى فلسفة مؤسس الوجودية . ولا ينبغي
لنا تلخيص من يأن هذا البحث المنار

البحث العلمي

- 1 -

المؤتمر الأول لكلية الآداب والفنون

المؤتمر التاريخي : ليبيا عبر العصور :

عقدت كلية الآداب والفنون في الفترة من ١٦ إلى ١٣ مارس سنة ١٩٦٨ مؤتمراً الأول ، وهو المؤتمر التاريخي : ليبيا عبر العصور . وقد شاعت فكرة المؤتمر لدى المسؤولين في كلية الآداب باعتبارها مركز الدراسات التاريخية والمكان الأول الذي يتم بالبحث في تاريخ البلاد . وكانت الأسباب التي دفعت الكلية إلى إقامة المؤتمر متعددة وكثيرة ، فقد عادت البشرية لطريق طرابلس على أرض ليبيا ولزمت تاريخاً عريقاً لا زالت آثاره في كل مكان تشهد على روعته . هنا إلى أن ليبيا ، بموقعها الفريد في قارة إفريقيا بين شرقها وغربها وبمستند موانئها لتقوية على البحر المتوسط ، وبمستند أرضها في دلتا إفريقيا ، وبآثار ذلك كله عليها وبالنسبة إلى جيرانها - قد لعبت أدواراً مهمة على ملتقى تاريخها الطويل .

وعلى ذلك فإن عقد مؤتمر تاريخي يتناول فيه باحثون متخصصون
 ليطروا على دراسة فترات التاريخ الليبي المختلفة ، يقدمون أحدث ما
 وصلوا اليه من نتائج : لاشك في أن أهم أهدافه كشفة حل الكثير من جوانب
 هذا التاريخ ، وقد نجحت الكلية في إشراك كثير من العلماء والباحثين
 وجاءت النتائج جيدة لأهداف المؤتمر إلى حد جيد .

ومنتظر البحوث في مجلدات ليكورا من المراجع الهامة في تاريخ ليبيا .
 وفيما يلي بيان ببرنامج المؤتمر وما التي فيه من أبحاث وما قدم إليه
 من دراسات مكتوبة :

البيت ٦٩ مارس ١٩٦٨ :

حفل الافتتاح

- خطاب الأستاذ مصطفى عبد الله بعرو - وزير التربية والتعليم .
- خطاب الأستاذ عبد المولى دغمان - مدير الجامعة الليبية .
- خطاب الدكتور خنار مصطفى يرو - عميد الكلية .
- كلمة الدكتور فوزي فهمي جاد الله - منكرتمر المؤتمر .

الدورة الأولى :

الأستاذ الدكتور س. ب. م. ماكيني - أستاذ ما قبل التاريخ بجامعة
 كمبردج .

ليبيا ما قبل التاريخ .

أبحاث مكتوبة :

- ١ - الأستاذ د. فوزي - روم
« الصور الصخرية لا قبل التاريخ في طران »
- ٢ - الأستاذ د. باقر - لمشار عملاقة الآثار - طرابلس
« عصر ما قبل التاريخ في ليبيا
وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة »

المحاضرة الثانية :

- ١ - الدكتور فوزي فهم جند الله - الجامعة الليبية
« مسائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيرودوت »
- ٢ - الأستاذ محمد مصطفى بزم - وزارة التربية والتعليم
« التأثير الليبي في حضارتين المصرية واليونانية وعكسهم بهما »

الأحد ١٧ مارس ١٩٦٨

المحاضرة الثالثة :

- ١ - الأستاذ الدكتور د. شمس - أستاذ الأدب اليوناني بجامعة
تونس (السربون)
« نقش بوبوليسوس »
- ٢ - الأستاذ الدكتور ابراهيم نصحي - رئيس قسم التاريخ بالجامعة
الليبية
« ركشلاوس الثالث »

أبحاث مكتوبة :

الأستاذ ج. بورفيل - أمين متحف الأسبوريان - جامعة اكسفورد
: تدوين في بحارة الخمار مع توكرة .

الدورة الرابعة :

١ - الدكتور ج. ب. ورد - بوكتر - مدير معهد الآثار لبريغاتي
في روما

أعمال سابقة لصدارة الرومانية في طرابلس :

٢ - الدكتور مصطفى عبد الحليم - جامعة عين شمس القاهرة
«ليبون والحرب في البردي العنسي»

٣ - الأستاذ حوضي السعدية - مراقب الآثار بركة
والاستيطان الأخرشي في بركة مع معة إلى الخمار
التي اكتشف فيها :

الأليني ١٨ مارس ١٩٦٨

الدورة الخامسة :

١ - أيني لوب - ريدان - جامعة كامبردج

«الاقانة في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد في الصحراء بترابلس»

٢ - الأستاذ م. روماني - أكاديمية لومبيد بروما

«مكانة ليبيا في آثار شمال إفريقيا»

- ٢ - الأستاذة م. ف. امكوار تشينو - مصلحة الآثار برون
: تملات في تحت لفة »

أحداث مكتوبة :

- ١ - ابراهيم الأستاذ ر. جودنابك - جامعة نلق
: لطرق الرسانية في ليبيا وحلا مشاء
- ٢ - الأستاذ أ. دي فية - جامعة برونجا
أ - « اللطاطر بلية »
ب - « أشرطة عبد »

الدورة الخامسة :

- ١ - الدكتور ج. ربوللوز - أستاذة جامعة كمبودج
: فتوش من بركة - نظير فضيل
- ٢ - الأستاذ م. متوكي - جامعة رونا
: تاريخ العمارة في بركة في العصر الأخرقي »

أحداث مكتوبة :

- ١ - السيد : . قلبد - مصلحة الآثار - موابس
: ليبيا في العصر السويدي :
- ٢ - السيد م. أبو حامد - مصلحة الآثار - طرابلس
: الحبيرون في ليبيا :

الطبعة ١٩ مارس ١٩٩٨

الفترة المتاحة :

١ - الأستاذ ل. نوميوك - رئيس قسم الدراسات القشتالية بجمهورية
البنين بنجينا

٢ - يونس وروطين في لندن قطر بلدي في أوائل شهر
الأميراطورية الرومانية

٣ - الأستاذ د. ب. كوروا : مدير معهد الآثار لشرق إفريقيا
ومدير الجمعية الجغرافية الملكية بلندن

٤ - أبحاث لرومانية إلى عمان قبل رقيم لشاد - درنور

٥ - الأستاذ م. م. دابلس - جامعة نيوكاسل
« جرميت فران »

أبحاث مكتوبة :

١ - الأستاذ د. كرايوي - معهد الأبحاث لعلوم بطورما
في موسم الصحراء بفران

٢ - الأستاذ د. م. أيوب - مراقب آثار فران

٣ - جرميت في عصر الرومان : ١٠٠ - ١٥٠ م

٤ - الأستاذ م. م. أيوب

« حصة كورنيلوس البوس »

المؤرة العامة :

- ١ - الأستاذ أ. ه. م. جوتز - جامعة كامبردج
« الدفاع عن الحدود في ليبيا البرية »
- ٢ - الدكتور د. ج. صبيث - جامعة نيوكاسل
« الكنتاريا في صرابلس وسواها »

الأرجاء ٢٠ مارس ١٩٦٨

- ١ - الأستاذ الدكتور نقولا زينة - الجامعة الأميركية - بيروت
« ليبيا بين الحسن الوزاني ودرمول »
- ٢ - الدكتور حسان صمدني - الجامعة الأميركية بالقدس
« ليبيا في العصر الفاطمي »
- ٣ - الدكتور ب. طيلا - رئيس قسم التاريخ بالجامعة الملكية بطنجة
« علاقة طريفة بالحق بطنجة »

أبحاث مكتوبة :

- الأستاذ عوض المعلوينة - مراقب الآثار في برقة
« حالة ليبيا كما ذكرها الحاج أبو سالم الميمني في رحته »

الطبعة العاشرة :

- ١ - الامتداد مصطفى جدامق جدير - وزير التربية والتعليم
« بعض ملامح تاريخ ليبيا في القرن التاسع عشر »
- ٢ - الامتداد عمر بن لهماجين - قسم التاريخ بجامعة ليبيا
: الظروف التي أدت إلى احتلال علي الجازنولي لمدينة
طرابلس الغرب - ١٧٩٣ - ١٧٩٥ :

الطبعة ٢٦ مارس ١٩٦٩

الطبعة الحادية عشرة :

- ١ - لخير دثكان كمنج - لندن
: التسمية في الحرب العظمى الأولى :

أبحاث مكتوبة :

- الدكتور: ج. ز. داسم - جامعة بن شمس : القاهرة
« مؤلف مصر من الحروب البنية الإيطالية :

طبعة مختصة :

إخيفت واليهت ٢٢ و ٢٣ مارس ١٩٦٩

رحلة صيفية لأعضاء المؤتمر إلى المناطق الأثرية في سهل الأحمر

مشروع المعلوم اعلمي المشترك بين الجامعة البنية وجامعة لندن

اتفق قسم الجغرافيا بكلية الآداب بالجامعة البنية و قسم الاقتصاد بكلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن على القيام بمبحث علمي مشترك يتناول دراسة حديثة لمظاهر الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية في المملكة البنية ، وفيما يلي الغايات الرئيسية لهذا المشروع :

أ- دراسة تطورية لتطورات في تربية من التولعي الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية والاثنولوجية وخاصة التطورات التي تجت عن اكتشاف البترول .

ب- ان هذه الدراسة المحلية تستغرق ثلاث سنوات زراعية و قد ابتدأت هذه الدراسة من أول تموز سنة ١٩٦٧ ، وسيكون سبع سنة ١٩٧٠ هو نهاية هذه الدراسة المحلية . وسيبدأ في أول سنة الدراسة ١٩٦٩ : وضع التقرير النهائي : وما يخص التغيرات الاقتصادية لولاية بول بواسطة المجلس الاكاديمي في جامعة لندن .

ج- تشمل هذه الدراسة :

(١) استغلال الاراضي في كل من المحافظات الشرقية والغربية والجنوبية - بركة وطرابلس الغرب ولزك - مع دراسة تحليلية لمناطق معينة كمنافج تمرالجميع الخالية :

- المزارع الاتني والاميس الجاهية .

- المزارع التي تشتمل المؤسسة الوطنية للاستيعاب الزراعي .

- المزارع الخاصة الصغيرة .

- المزارع الخاصة الكبيرة .

(٢) جميع ابحاث الخاصة بالمزارع .

وذكر هذه المواضيع مرتبطة بدراسة مصطلح الأراضي والغرض
من توفير البيانات الخاصة بالمواضيع التالية :

أ) ميزانية الدولة .

ب) ميزانية العائلة .

ج) حالات الهجرة وشروط الملكية .

د) حالات وظروف ملكية الأراضي .

هـ) مشاكل الزرعين الاجتماعية والاقتصادية في إطار البؤر القروية
أعلاه .

و) دراسات عقلية أخرى : هذه تشمل دراسة عوامل التغييرات
الاقتصادية والاجتماعية عبر مذكورة بالقطاع الزراعي : وخاصة
قضية هجرة الريف إلى المدن ومواضيع ديموغرافية وبنائية وما
يتضح له ذو أهمية للمشروع بصورة عامة .

هذا ونقوم بالدراسة التي خاصة تابعة للمشروع : تحليل حسب
التخصصات : في المناظر التالية :

أ) تحليل الأنحضر والناظر الجارية له مباشرة .

ب) سجل التغيرات وتنظيم ممرات .

ج) منطقة الحشيش مصرية .

د) جبال القنوصة (من مولات إلى الخلود الفرنسية) .

هـ) جبال القريه (ماربلس - رولة) .

و) جبال القريه (طرابلس - نصر بجال) .

ز) راحة بزان .

هذا وتعمل الفرق برئاسة أعضاء هيئة التدريس بقسام الجغرافيا والتربية
وأعضاء قسم الاقتصاد بكلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن ،
ويعرأس الفرق العاملة في ليبيا الأستاذ الدكتور محمد مصطفى جود غميه
كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية ، كما يشرف على الجانب الأكاديمي
في لوائح الاقتصادية الأستاذة ادبث - برونز .

وانسجم للجامعة الليبية بصف تكيف المشروع ويسهم بالنصيب الجاني
كل من جامعة لندن وشركة البروزون البريطانية .

ملحة عن المشروع المشترك لدراسة الفقد في التعليم

توليه وزارة التربية والتعليم في ليبيا كجزء تربى لغيرها في بلاد أخرى
وخاصة أهمية منها مشاكل تعليمية كبرى نجحت في لأصل عن سببها
الحيث لتربيع الحق بالتول بالجامعة في مشوار التعليم والثقافة والتعبير
من خبا قبل أن نجعل من استخلاص . ومشكلة الفقد في التعليم من
بين المشكلات الأساسية في هذه الدراسة ، ونقصد بالفقد في التعليم
ما يلحق خارا من وجود مادية وفكرية لا تعود دائما بالوجود المتغير
منها بالمشكل الذي يتناسب مع وجود المادية والفكرية ابرادة بحقيقته .

وقد انتهت كل من وزارة التربية والتعليم والجامعة الليبية إلى هذه
الطائفة منسست على دراستها دراسة علمية منظمة ، وقد أعتبر السيد
دريد الترية والنايم قورا بتاريخ ٢٠٢١م أن بتشكيل لجنة مشتركة
بهم أعضاء من الوزارة ومن كلية الآداب برئاسة الدكتور محمد مصطفى
جود غميه كلية الآداب بقيام بدراسة تفصيلية حقلية بناء الطائفة وما
ينتج عنها . وقد عرفت اللجنة عدة استنتاجات وغلبت برزواست تجميعية

بعض المدارس الابتدائية في محافظتي بعلبك وحملاش : ومدرسة
تواصل السنة جهودها في بداية العام الدراسي القادم ، وذلك انهاء
بعضها تقدم الوزارة والجامعة بتقرير ضاف عن دراستها ، ولا شك في ان
المؤسسة ستولي التوفير المنظر ما يستحقه من العناية والتقدير .

موسم المحاضرات العامة
في كلية الآداب بالجامعة اللبنانية
في العام الدراسي ١٩٦٧ - ١٩٦٨

- د. محمد الرحمن بدي : « تأملات في الحضارة العربية » .
د. نوري جعفر : « الفكر : طبيعته وأفاق تطوره المعاصرة » .
د. محمد مصطفى حلي : « حياة الروحانية الإسلامية : تحلل وفكر » .
د. محمد علي العربي : « لماذا نعتكف ؟ » .
د. جلال المير : « الكتاب بالشعر » .
د. حسن جواد ديمر : « ما أسهم به الانجليز في الترميمات العربية »
(باللغة الانجليزية) .

محاضرات : ثورن

- الشيخ المنفلوطي بن عثمان : « مني لدار تونس وعية نكي »
« شريعة وأعراف العرب في تونس » : « المذهب السني في تاريخ
الأندلس » .

- أمين بيكيش : عميد كلية الآداب وأستاذ تاريخ السومريين
بجامعة أنقرة : وضع الأصول السياسية ، واجتماعياً ، وإدارياً
في القرون الأولى .
- عثمان غاوي كوجاجلي : أستاذ تاريخ الفنون الإسلامية بجامعة
أنقرة : منازل القوافل - كرافان سري - في الأصول .
- د. عبد العزيز الفوري : المخطط البري والتمهيد الاقتصادية .

ملخص

بحث تحليلات التربة وعلاقتها
بإستغلال الأراضي في سهل المرج
الدكتور مختار مصطفى بور

يقع سهل المرج في الجزء الغربي من الجبل الأخضر ما بين الملق الأول والحق الثانية وهي المنطقة المروغة باسم المنطقة العليا ، وسهل المرج حوض مائي تتكون نتيجة الشعبة الكارستية ، وتغطي هذا الحوض منطقة مسبة من التربة الحمراء (البرادوسا) ، وأخذ سهل المرج شكل شبه دائري يحد في اتجاه جنوب غرب بشمال شرق ، وهو يقع طول ١٢ كم وعرضه ١٢ كم ، وأقل جهاته انخفاضاً تقع على ٢٧٦ م فوق مستوى سطح البحر ، وهي التي تحدها البحيرة (الغريزة) الواقعة على شمال شرق مدينة المرج القديمة - والبحث مقدسة من جيولوجية سهل المرج وساخ المنطقة ، وذلك لأهمية هذين الجانبين في تكوين التربة الحمراء والتي تتميز بـ بعض السمات التي تعود إليها الخصائص الجيولوجية ومنابع البحر المتوسط .

ويعد سهل المرج ثروة للمناطق الزراعية من حيث زراعة القمح والتمكيد الموصح في المناطق الصحيرية ، وتبلغ مساحة الأراضي الزراعية في عام السهل حوالي ٢٥.٠٠٠ هكتار ، وقد بدأ الإبطاليون في استغلال

هذا سهل زراعياً بزرعة القمح وادخال المحاصيل الشجرية . وبعد خروج الإنجليز من ليبيا قامت الإدارة البريطانية ١٩٤٢-١٩٥١ بالعمل على تسيي بطرول القمح في سهل المرج حتى تصبح ليبيا مجهزة عن نفسها في إنتاج الحبوب الغذائية خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية . ونشوم الحكومة الليبية حالياً عن طريق المؤسسة الوطنية للاستيطان الزراعي تنمية مزارع الأتفي السابقة في سهل المرج كجزء من برنامجها الذي يغطي معظم الأراضي الزراعية في ليبيا .

م يلوم البحث دراسة تفصيلية لحد عشر قطاعاً في التربة حيث توجد على قطاع من عقدين ، الأول من القمح والثاني من القمح ٢٥ سم . وقد أخذت بعض القطاعات من خارج السهل وذلك لغرض المقارنة .

ولقد طلت العينات التي أخذت من السهل في بعض شطوط الصحاري بسببي المصري بمرابلس ، ويرفق مع هذا البحث نتائج التحليلات الكيميائية والفيزيائية . كما هو مرفود جدول عن موقع العينات في السهل وخارجها وطبيعة التكوين الجيولوجي . ثم جدول آخر لتصنيف عينات التربة .

وهذه الدراسة هي دراسة التربة في ليبيا حيث أن هذا العمل لا يزال في مراحله الأولى في ليبيا .

وقد اتضح من هذا البحث أن بعض العوامل التي تحدد خصوبة التربة مثل ليعن وانتشار الصخور لا تتش مشككة خطورة في هذه المنطقة كما هو الحال في بعض بلاد الشرق الأوسط . فالزراعة الجهاد هنا حقيقة وتوفر إمكانية تصدق جلود التربة إلى عين متوسط ، ولكن الشبكة تنضج في طريقة التربة والسمك التربة . أما فيما يخص بالميزات الطبيعية لهذه التربة مثل الرطوبة وتركيب التربة فهو في حاجة إلى استطلاع منظم

دقيق ، منها انقصر في الدرة الحموية والميتروجين والنومفات يمكن
معالجته بنظام معدل الامتصاص .

وحيث أنه لا توجد عوامل بيولوجية فان تربة سهل المريج بالامتصاص
المضم يمكن اعدادها خاصة .

THE FORM AND FUNCTION OF MISRATAH'S COMMERCIAL CENTRE

by Dr. Gerald H. Blake

Lecturer in Geography, University of Durham, England

Introduction

With the advent of important oil revenues since 1961 the Government of Libya has widely embarked upon physical planning at national and regional levels. Among the many plans being prepared by overseas consultants at the present time are master-plans for the coastal oasis towns of Tripolitania, including El Khums, Zintan and Misratah. (1) Of these Misratah constitutes a challenge of particular interest to the town planner as a result of its early evolution as an oasis market town through to the grandiose expansion of the Italian period. In its ground-plan Misratah illustrates many features of the larger cities of the Arab world which are so often the basis of different cultures, with a European-style town grafted awkwardly on to a traditional type of Arab town (Figure 1). This arrangement poses many problems for the rationalization of traffic flows and land use, and the installation of piped water, electricity and sewerage. The research upon which this paper is based was carried out in 1966 at a time when it was already clear that Misratah was on the verge of great changes. The aim was to examine traditional town-country relationships before they become totally obscured, and

these functional relationships are clearly reflected in the form of the town's commercial heart.

At first sight the layout of Misratah has little to commend it. The street-pattern has clearly developed piecemeal, and on the fringes of the town there is much wasted land. Social facilities such as schools, post office and hospital are scattered inconveniently throughout the new town, but worst of all, there appears to be little to bind the old and the new towns together. It is hoped however that this paper will show that close examination of the central area of Misratah reveals much that is functionally sound, and a focus of interest in the shops and markets which give the town a sense of coherence and unity. When it is remembered that this central area has grown organically with no conscious planning it is remarkable how well it has been adapted to the needs of an oasis market. This is not to say that it will not require replanning in the future to fulfil its functions as a regional and route centre of growing importance.

The morphology of Misratah

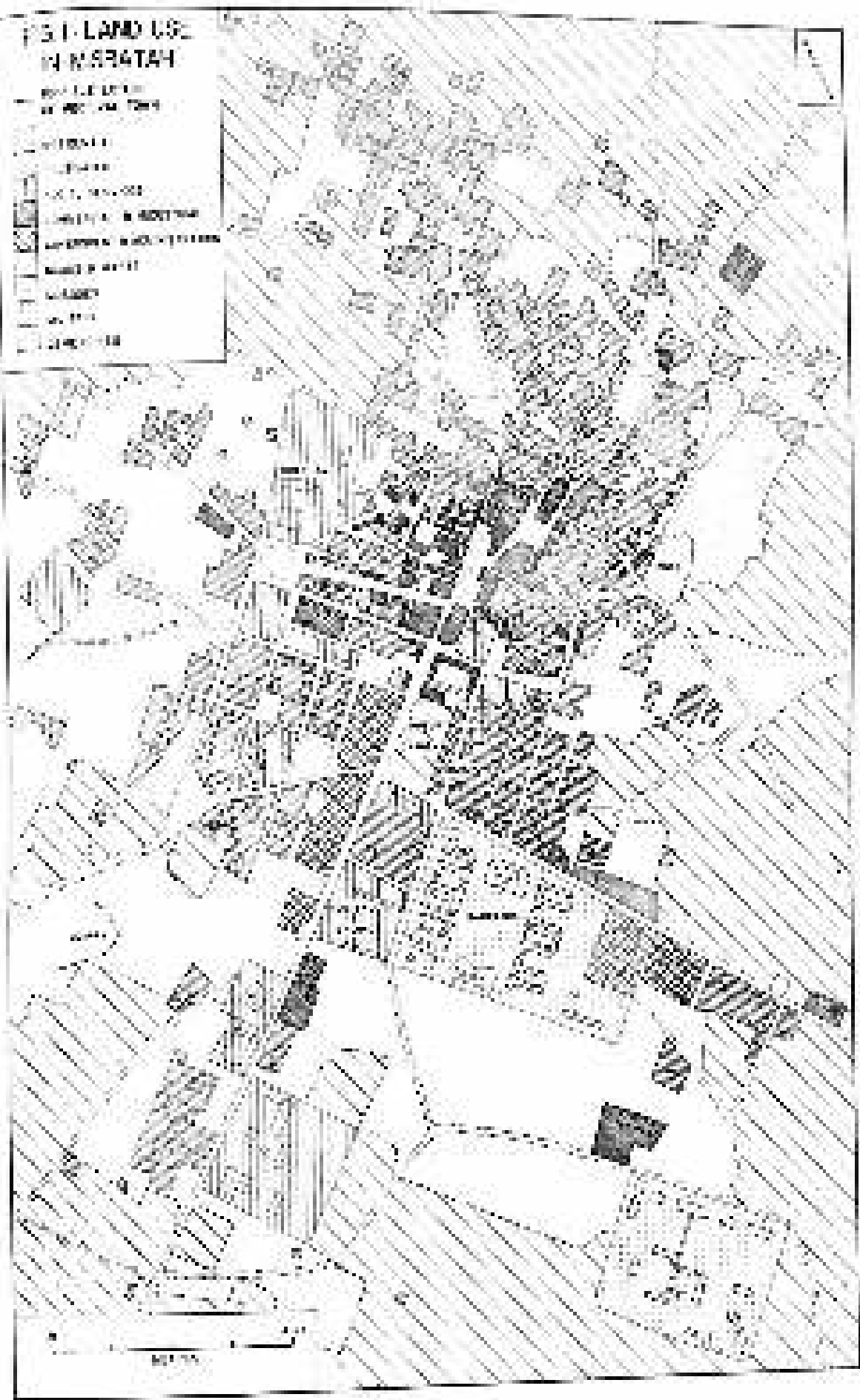
To understand the layout of the centre of Misratah and its relationship to the rest of the town, reference must be made to how the town has grown and expanded.

The origins of Misratah are obscure and in any case not relevant to the theme of this paper. The important fact is that probably as early as the thirteenth century there was a very small town functioning as a local market and engaged in some form of inter-regional trade. The oldest mosque in the town (Al Ali) dates from the late fourteenth century, by which time the population may have been four or five hundred. It is not possible to reconstruct the medieval town with any certainty, but an attempt has been made in Figure 1. Dwellings and market places would doubtless have been within muscadin-call of the mosque, and the market place may well have been on the fringe of the town as in many small towns and villages of Tripolitania today. It is quite likely that the size of the present livestock

POST LAND USE IN MARIUTAH

DATE: 1974
BY: [illegible]

- LEGEND
- 1. [illegible]
- 2. [illegible]
- 3. [illegible]
- 4. [illegible]
- 5. [illegible]
- 6. [illegible]
- 7. [illegible]
- 8. [illegible]
- 9. [illegible]
- 10. [illegible]



market is the site of the old market place. A description of Misratah in 1822 suggests that there was always an old market somewhere near this point, being 'half occupied by a pool of green and stinking water' (2). The occurrence of seasonal flooding in basin-shaped market places which have been created by the combined action of man, animals and wind is well known in North Africa and generally indicates markets of great antiquity. The medieval town was probably limited to the south-east by the ancient cemetery and pond, and between them by an area of stone ground whose slightly greater elevation would have discouraged well-sinking. The alignment of the seventeenth-century east-west thorough road suggests that it follows the line of the most ancient caravan route which would have turned south-west to avoid the dune formations which extend far inland west of Misratah (Figure 3). Finally, medieval Misratah may have had a small Jewish community since some very old inscriptions with Hebrew inscriptions have been found near the town.(3) If this was so, the Jews would probably have inhabited much the same part of the town as was later to become a Jewish quarter.

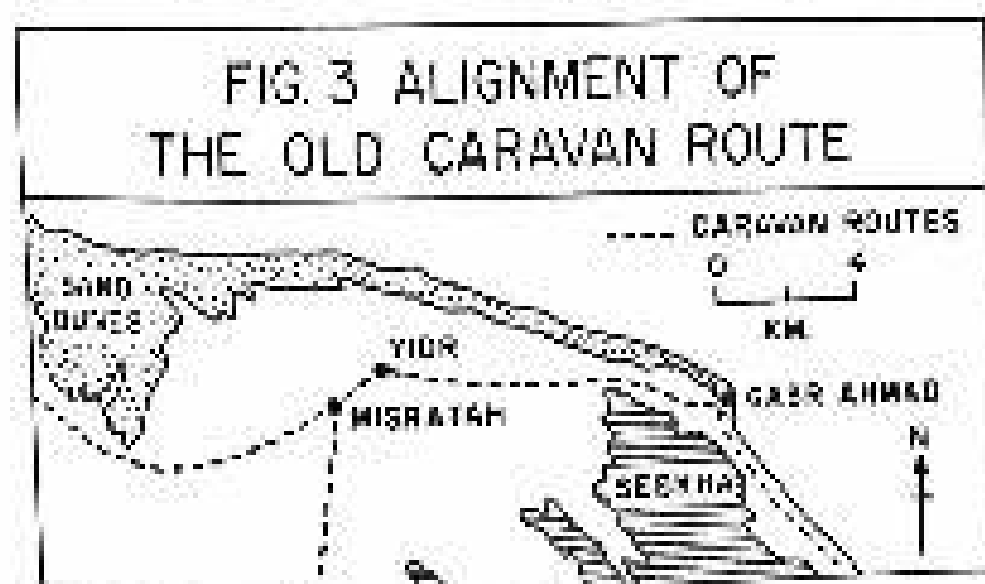
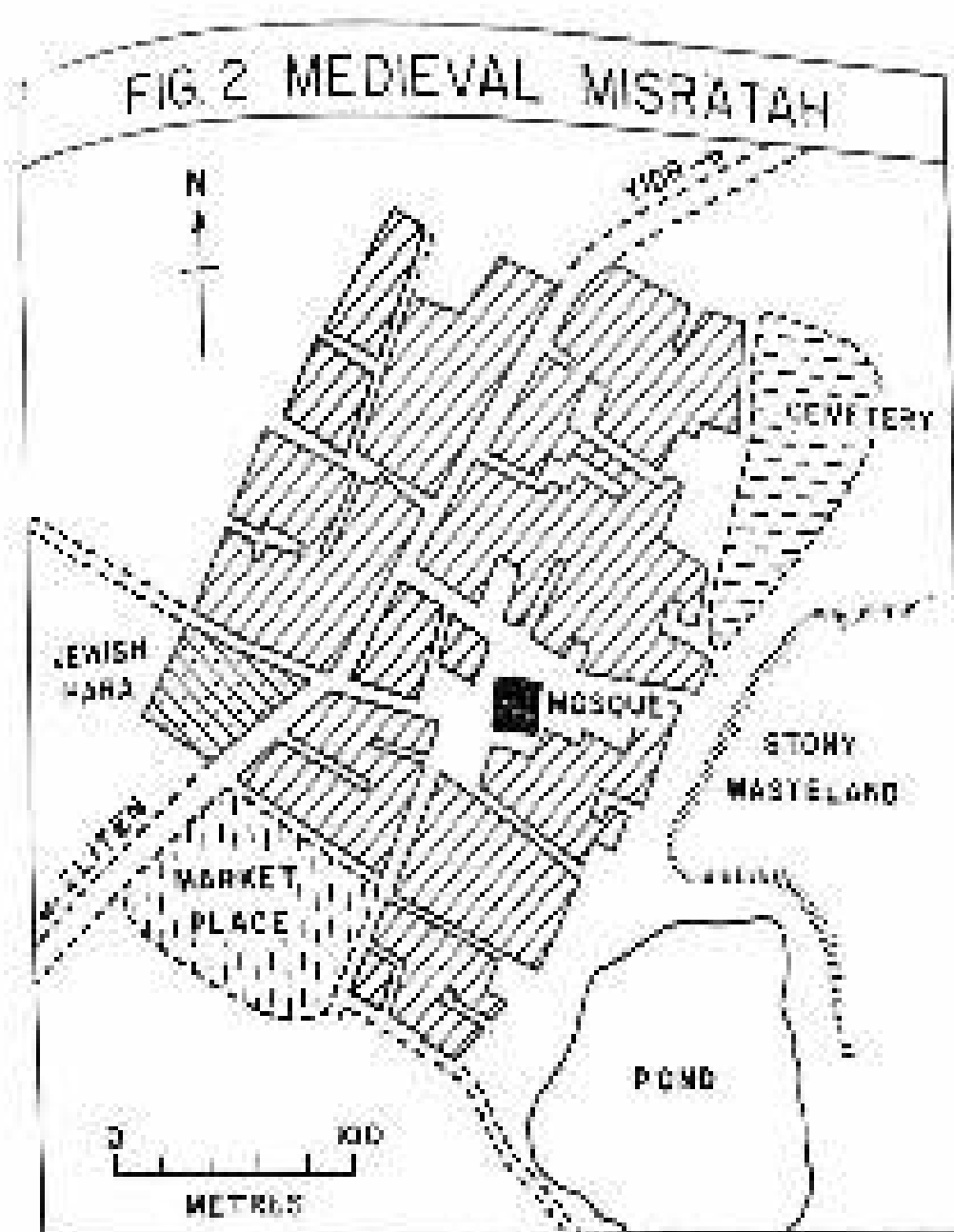
If this reconstruction is substantially correct, it explains why later commercial activities have developed on the south and south-western margins of the old town. The market place itself would have been a focal point, but it was also at the point where the east-west route and the route from the south, skirting the pond, would have met. It is certainly true that from the sixteenth century onwards Misratah's residential area expanded north and north-west rather than to the south and south-east (Figure 4). One reason for this could be the existence of a shallow 'perched' water table underlying the older parts of the town which was not available in other directions.

From the middle ages onwards, Misratah was a trading centre of some importance, though its fortunes fluctuated with those of its main trading partners. Under its old name of *Tahtaltah* the town carried on flourishing trade with Venice, Genoa and several North African ports. Wax, olive oil and salt were exported via Ghar Ahmed in return for silk and general merchandise. The fifteenth and sixteenth centuries were a period of decline and

obscurity but in the seventeenth and eighteenth centuries there was a revival of trans-Saharan trade, particularly in slaves, and Misratah found itself highly favoured as a collecting centre since Turkish taxes could be more easily evaded than nearer Tripoli.(4) But these activities appear to have had little impact on the townscape apart from an increase in private houses. If any craftsmen's shops, stores or markets were built, they have not survived; possibly they were in Yidi or Ghar Ahmad rather than Misratah. Most of the commercial buildings in existence today appeared after the beginning of the nineteenth century.

The spate of building which occurred in the nineteenth century south and south-west of the town was the result of two factors. First, Misratah was becoming a market centre dependent upon wealth generated locally rather than upon transit trade largely as a result of the increasing sedentarisation of semi-nomadic oases east of the town. Weekly marketing of vegetables and livestock was becoming more important than seasonal markets. Secondly, Misratah became the headquarters of a *Mutawassitiya* in preference to El Khoms and efforts were made to attract economic as well as administrative influence to the town by building new shops and markets. This deliberate policy may have ensured the supremacy of Misratah over neighbouring Yidi. During the nineteenth century therefore several streets of shops and workshops appeared around *Maidan Chardahya*, and a covered fruit and vegetable market was constructed. Building adjacent to *Maidan Nasser* occurred about a hundred years ago and included several small *sukas* such as *Suk As Zait* and *Suk Al Akazu*. Later in the century large blocks of shops were built adjacent to what was to become the Italian town. By the turn of the century commercial activity was already highly concentrated around *Maidan Nasser*. A notable feature of these developments was the continued separation of residential and commercial functions with the latter at that time still concentrated in peripheral areas. Some houses of Turkish style did appear among the commercial buildings, but they were very few.

Effective Italian occupation was short-lived in Eastern Tripolitania, but in spite of this the Italian period (1911-1943) has



a continuous influence on the make-up of Misratah which was designated as a provincial capital and a regional economic and social centre for huge new demographic estates at Idkuh, Idkuhin and Taramina. Thus a great deal of building occurred, most of which did not affect the commercial quarter except that a fish market was added. This building did, however, have one highly significant result in that it shifted the town's centre of gravity to the south-west and had the effect of leaving the shops and markets at the geographical centre of the built-up area. Since independence much building has continued in and around the "fisher town", thus finally establishing the centrality of the commercial area with its shops and markets.

Misratah's commercial functions

Before turning to a detailed analysis of the nature of Misratah's commercial functions must be outlined and considered on given in the nature and extent of its hinterland.

Market days are held at Misratah three times a week on Sundays, Tuesdays and Thursdays. The only market town which is any kind of a rival to Misratah is Zlitan (lying nearly fifty kilometres to the west), but field investigations showed that visits are made to Misratah by people living within a very short distance of Zlitan. There are also a number of farmers who visit markets in both towns a practice made possible by the fact that in Zlitan, markets are on Sundays and Wednesdays. Small local markets are held within Misratah's sphere of influence at Alawagha on Mondays and Thursdays, and at Zawiya Al Mahjub on Fridays. There is thus a staggered arrangement of markets within the region which leaves Misratah without competition on Tuesdays and with no serious competition on Thursdays.

Figure 6 is an attempt to define Misratah's hinterland, defined as the area from which people visit the market habitually though not necessarily frequently. The area covered is surprisingly extensive, taking in the whole of the Misratahiyya of Misratah and extending beyond to the three small oases of Huf, Waddan, and

Sayakrah in the south, to Elrit in the east, and Part Ud in the west. Calculations based on figures published in 1967 suggest that the hinterland thus defined could embrace a total population of approximately 106,110 (3). The configuration of this hinterland is virtually unaffected by competition from other markets except Zliten in the northwest. In many ways the flow of goods to and from such markets on the margins of the great deserts is more akin to that of a sea-port, with distance playing a less decisive role than in regions with an even spread of population.

Figure 2 also indicates the frequency of visits to the market in Misratah. Three zones can be identified, corresponding very roughly with three contrasting forms of land use. First, the vast outer area stretching as far as four hundred kilometres to the south, characterised by a fairly poor nomadic economy with a few tiny oases engaged in small-scale irrigated farming. The population is scanty, the most important contribution to the market being livestock and dairy products, particularly camels and wool. Next comes a middle zone where some settled population occurs and including a region of moderate densities of population around Part Ud. Throughout this zone are a scattering of farmers who make the journey to Misratah at least once a week. Livestock are still important, but there is also a shifting cereal cultivation, olives and dates in some parts, and occasional patches of irrigated agriculture. The third zone is by far the most important, comprising the oasis of Tawarghat. Possibly two-thirds of the population served by Misratah inhabit this zone. Here, irrigated agriculture is the chief concern but livestock, olives and dates and cereals remain important, so that the amount of activity generated for the market is outstanding. Within this zone most families are represented at two or three markets every week.

One of the functions of Misratah therefore is to act as a market and exchange centre for the needs of these three complementary regions. But more detailed consideration of the latter zone shows that there is marked local specialisation within the oasis itself which leads to intense demand for the exchange of goods, and the local trade is probably more important than the latter.

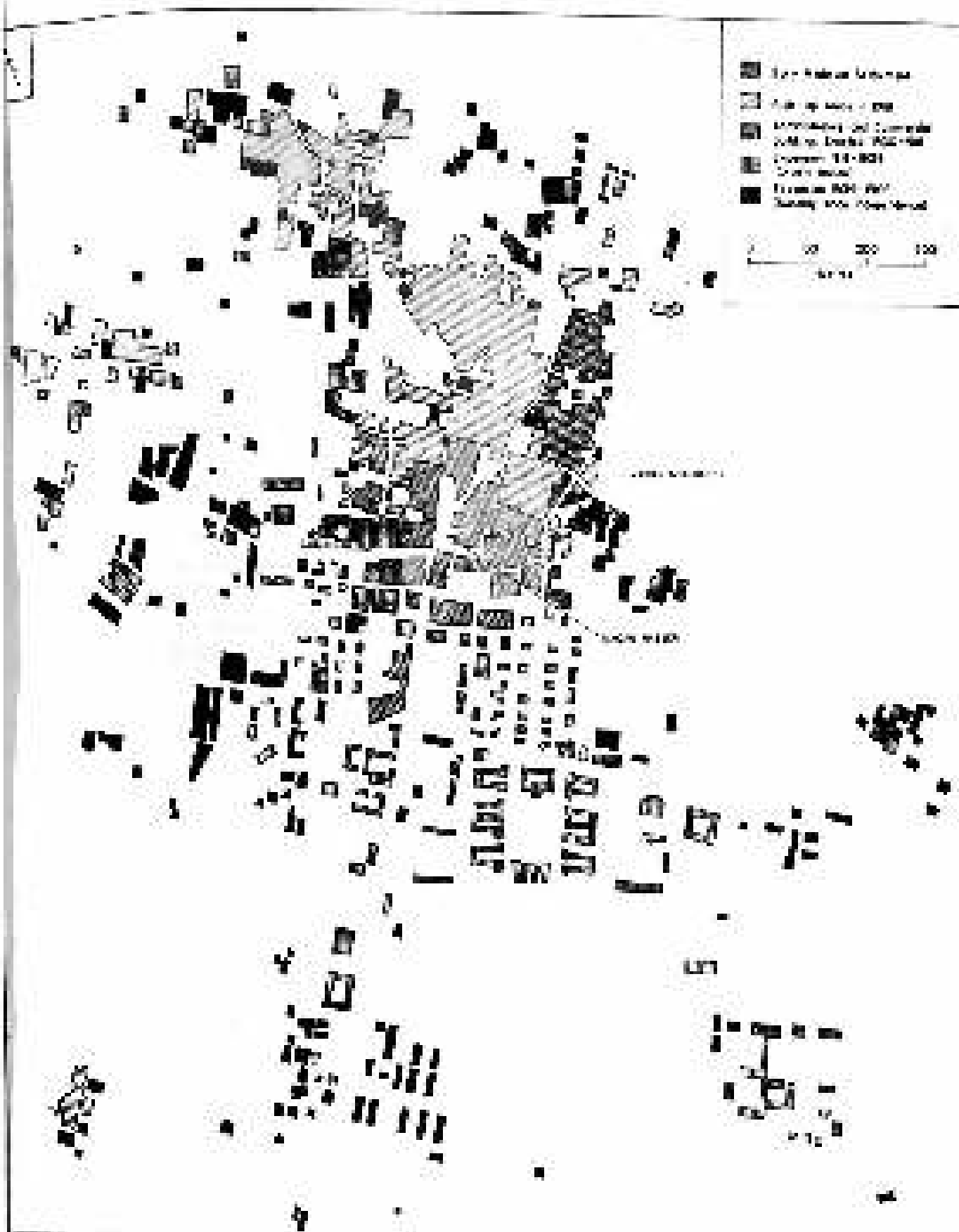


FIG. 4. EXPANSION OF VSR4T44 TO 1966

In 1990 there were 8,311 holdings in Al-Mizrah oasis, 5,011 of which were exclusively devoted to dry cultivation of barley and wheat. (6) The remaining 3,300 holdings had at least some irrigated land, but the proportion engaged in growing any one crop was surprisingly small. Thus less than 31% of the holdings grew sugarcane, red peppers or blood beans, less than 30% grew melons, fodder crops, onions and tomatoes, while maize, groundnuts and potatoes were grown on less than 11% of the holdings. These figures reveal considerable scope for buying and selling agricultural produce even among farmers engaged in largely irrigated cultivation. Crop returns of the Mudryas of Al Mahjub and Al Zuraq, which lie west and east of the town respectively, reveal regional specialisation in crop production still further. Some examples are given in Table 1. Groundwater resources are more plentiful and less saline in the west than in the east and crop yields tend to be higher. In Al Zuraq on the other hand canals, goats and horses are much numerous because of the rough pastures available in the Sahab of Tayma'ia. Before the nineteenth century and the sedentarisation of many semi-nomads, Al-Mizrah may actually have been situated at a point of contact between agriculturists in the west and pastoralists in the east of the oasis. (11) Dates, olives, pomegranates, figs and apples are grown on the ex-daban estates, and these constitute another branch of production.

The other notable feature of the Al-Mizrah oasis is the domestic manufacture of goods for sale in the market, quite clearly related to traditional specialisation among the different estates (Figure 4). Goods manufactured within the oasis and surrounding region

Table 1. Production of selected irrigated crops, 1990 (7)

	Al Mahjub (West)	Al Zuraq (East)
Fodder crops	30.8%	35.2%
Melons	28.1%	32.9%
Sugarcane	14.7%	12.5%
Peppers	13.3%	25.2%
Onions	11.0%	11.2%

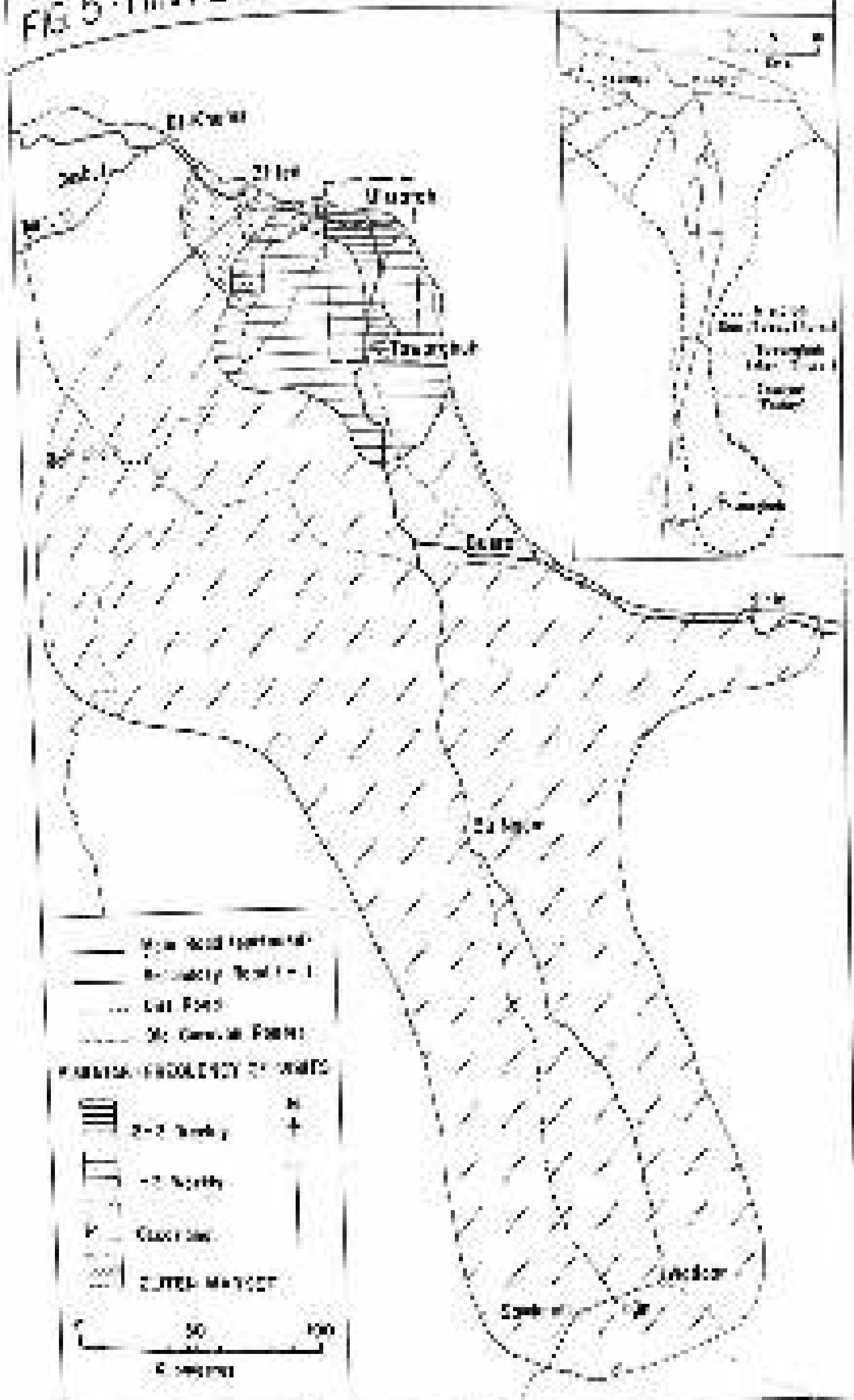
Dry onions	22.8%	17.5%
Potatoes	16.8%	24.1%
Groundnuts	97.8%	2.4%
Cucumbers	1.0%	98.0%
Maize	21.1%	5.8%

are complementary in character and are generally produced only to satisfy local demands, though Misratah's famous "Kallia" and "Yaraha" carpets are an exception. With the exception of goatskin waterbags and Tawartha mats none of the domestic products are made exclusively from local raw materials. Thus many raw materials, notably wool, come from far away in quite large quantities so that Misratah is not only an exchange centre for finished products but also supplies essential raw materials.

Another commercial function of the town is the sale of imported consumer goods including notably groceries, hardware and drapery. In terms of the circulation of cash this is undoubtedly the most important branch of trade, completely overshadowing locally produced foodstuffs and hand-made goods. This branch is also growing at the expense of others, but it can never replace them since the farmer still has to find an outlet for his own produce in the market place.

All these activities together constitute an impressive focus of interest and it is not surprising to find the centre of Misratah packed with people every market day. A census carried out in July 1966 to count the number of people entering the town on a market day showed that the number exceeded 5,000 or approximately 22% of the total male population of Misratah's hinterland outside the town itself. This census has been described fully elsewhere, (8) but it is important here that it confirmed the overwhelming importance of local trade to Misratah. Only a relatively small number entered the town from the south, which indicated only a moderate yield of people and goods from the extensive desert hinterland beyond Tumzina. Secondly, it was found that 25% entered by bicycle, 16% on foot and 17% using animal transport of some kind, and most of these can be assumed to originate within the oasis and not beyond. Although 42% arrived

FIG 5: HINTERLAND OF MISRATAH MARKET



is more, whether many of these lived near enough to be picked up by friends, you drivers spending a little service.

There are of course non-economic motives for coming to Mizrah, since the town is a regional social and administrative centre. Not all those who enter on market days go with the sole intention of buying and selling. The market day is still an unparalleled opportunity for the men to meet and exchange news and transact local business. This function is now less significant, particularly among the younger generation, but it is still operative.

the centre of Mizrah: its functions and morphology

It is apparent both from Figure 1 and from Table II that there are a large number of business units in Mizrah. "Business units" here include any commercial enterprise in which fixed premises of some kind are used, from the stalls in the covered markets to the craftsmen's shops and large specialist stores. A total of 678 such units in a town of perhaps 15,000 persons is surprisingly large. Most of these are small family concerns engaging two or more adult members at some time in the week. Since women do not participate in buying and selling the proportion of the active male population of the town involved on a full or part-time basis is very significant. The absence of alternative sources of employment may have something to do with the number of businesses, but there is also a strong merchant tradition in Mizrah which becomes pervasive in individuals engaged in trading. A social motive for commerce is suggested by the fact that an unknown number of enterprises are not the sole source of income for their operators, while or seasonal farming usually providing an additional source of income. Many premises which open only on market days, (some 11% of the retail stores shown in Figure 1), presumably count into this category, though this is doubtful in the case of jewellers and copper-sellers. Most part-time units are pure general stores, away from the two main squares whose takings are generally very low. Some part-time shopkeepers and craftsmen live in villages outside Mizrah, maintaining premises in town for use on

market days — another reminder of the symptoms of town and country in a pre-industrial society.

With so many enterprises competing with each other, takings cannot be very high, resulting perhaps in average monthly net profits of around £140. But the economic incentives for participating in trade are nevertheless real, and several Misratah merchants have accumulated sufficient capital to establish shops in other parts of Libya; Misratah merchants can be found in Benghazi, Tripoli, Derna and Tobruk.

Table II — Retail stores in Misratah, 1955

General stores	135	Building materials and	
Drapers	65	paint	13
Grocers (+ 4		Cafes and restaurant	12
wholesaler)	40	Motor vehicle	
Grain and seeds	37	accessories	7
Hardware	38	How much	8
Jewellers	28	Watch and clock repairs	2
Barbers	24	Electrical goods and	
Butcher's shops	21	radios	5
Carpets and mats	25	Public scribers	4
Paraffin and oils	18	Lamp repairs	3
Bicycle sales and		Photographers	2
repairs	19	Pharmacy	1
Clothes and shoes	15	Stationer	1
Stallholders :		TOTAL	518
Greengrocers	60		
Hutchers	55		

The list shown in Table II cannot be regarded as definitive. There may well be other units which were never discovered, but a further weakness is that of definition. How much drapery must a tailor sell to be classified as a draper? or how much hardware can a grocer stock before he becomes a "general store"? These difficulties arose largely from the low degree of specialization,

general stores, drapers and grocers all exhibiting a high degree of overlap. Only on the fringe of the commercial centre, near the new town are European-type shops found -- a stationer, photographer and a number of shops dealing in electrical goods and radios.

The number of craftsmen (Table III) in Mbaraka was undoubtedly in excess of the present number sometime in the past. Their hey-day must have been before the influx of manufactured goods, when caravans still passed through the town -- and the last caravan was seen in Mbaraka in about 1911.

Table III Craftsmen in Mbaraka, 1966

Tailors	13
Blacksmiths	13
Coppers	12
Ploughwrights	7
Tinsmiths	7
Coppersmiths	4
Leatherworkers	1
TOTAL	66

Originally most crafts were pursued by craftsmen who came into the town on market days, making use of rented premises to carry on their work. As with domestic industries, most crafts were the prerogative of a particular *cabila*. Krimpiis are saddlers (*Majharila cabila*), tinsmiths (*Aywed Baen cabila*), blacksmiths (*Maddon cabila*) and ploughwrights (*Pl. aila cabila*). Today these crafts, so far as they survive, still remain firmly in the hands of these *cabilas*. Tailors do not belong to a particular *cabila*, but their is not strictly a traditional trade. Thus the grouping of craftsmen pursuing similar activities (Figure 3) seems to have been largely a social arrangement arising out of *cabila* specialisation, and cannot be attributed to complex historical factors such as the *umra* system, as in the large towns and cities of the Arab world. Besides craftsmen, the grouping of jewellers, carpet sellers

and paraffin and oil merchants is significant. The jewellers are located in a small sub which could be locked at night for security purposes, and carpet sellers have to be together under cover to bid for carpets when they come in from the villages. Paraffin and oil lamp sellers are apparently the modern successors to copper smiths and tinsmiths who once worked together in Suk As-Sall.

Besides trade carried on in fixed premises and the sale of farm produce in open markets, a number of other enterprises are carried on in the open air on market days. Some of these are shown on Figure 9. In July 1968 nearly 250 open-air traders were counted on a market day, the most numerous being raw wool sellers, grain and alfalfa merchants, and the sellers of Tawingha mats. These activities require large open spaces of the kind available in the centre of Misratah, while others are more like pavement traders, selling cloth bags or general merchandise, but all contribute in their ways to the centrifugal effect of the commercial heart of the town.

It has been stated that the light industries of Misratah, though small, are among the fastest growing in Libya (17). While industrialisation lies outside the scope of this paper, it is worth mentioning that it is not local manufacturing which has put local craftsmen out of business, but imported goods. Even the woodwork shops shown in Table IV have not greatly affected the carpenters since the latter are concerned primarily with making ploughs and not with the requirements of the local building industry. With the exception of bakeries, several of which appear in Figure 5 as

Table IV Light Industries in Misratah, 1968

Woodwork	51
Bakeries	4
Concrete blocks	2
Garages	6
Engineering	5
Flour mills	1
Charcoal	2

HYG:7 SHOPS, WORKSHOPS, LIGHT INDUSTRIES

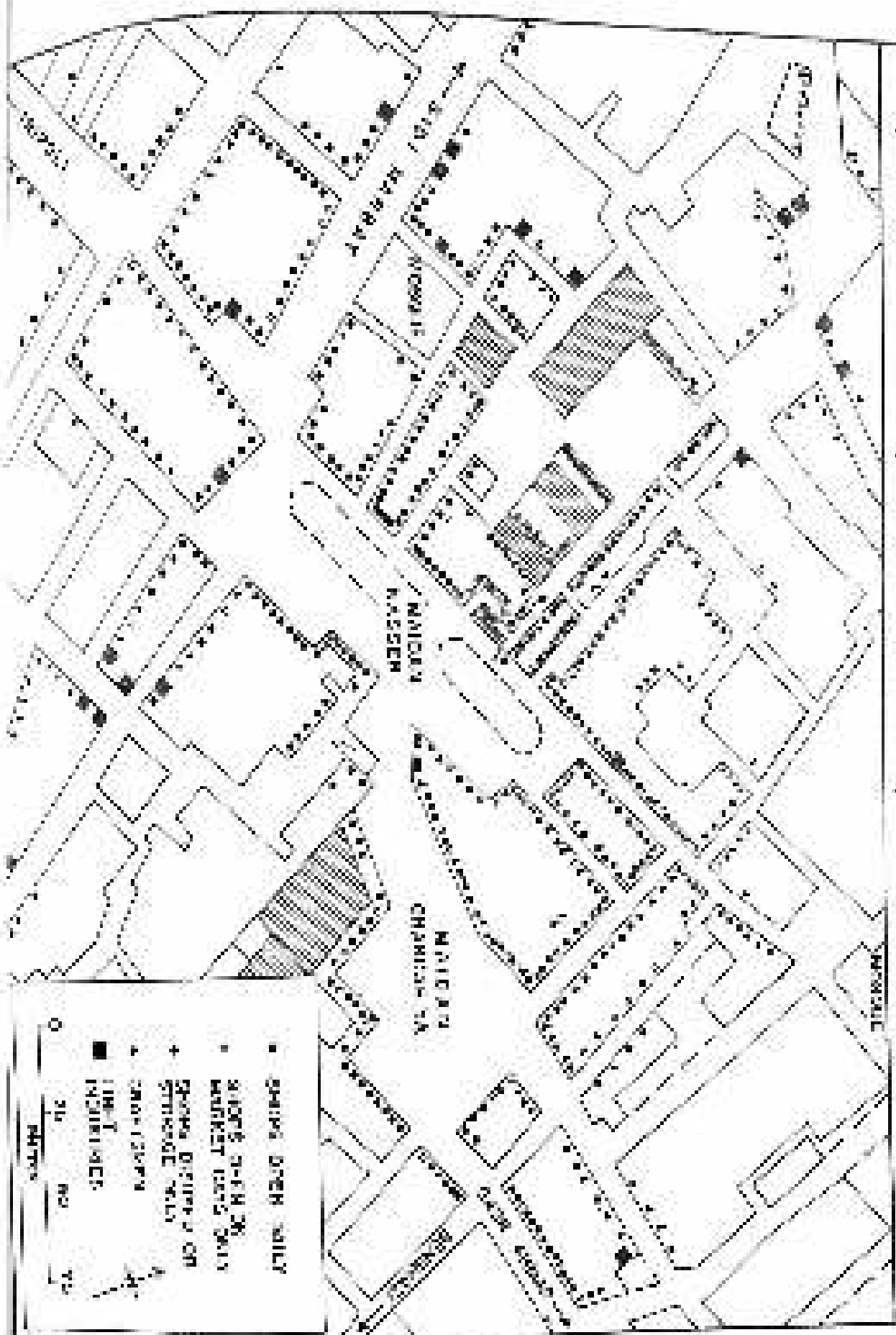


FIG. 9. SELECTED TRACES AND CUE-1

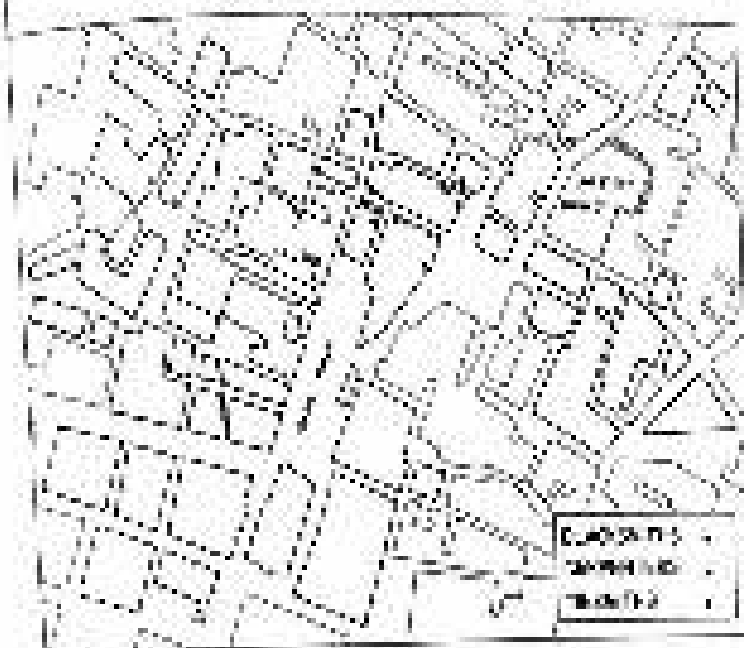


FIG. 9 OPEN AND COVERED MARKETS

The map shows the downtown area of San Francisco, including the Embarcadero, Union Square, and the Market Street area. It identifies various open and covered markets. The legend indicates that covered markets are marked with a cross-hatch pattern, and open markets are marked with a solid black pattern. The legend also lists the types of goods sold at each market, such as fruit and vegetables, fish, meat, poultry and game, dairy, etc.

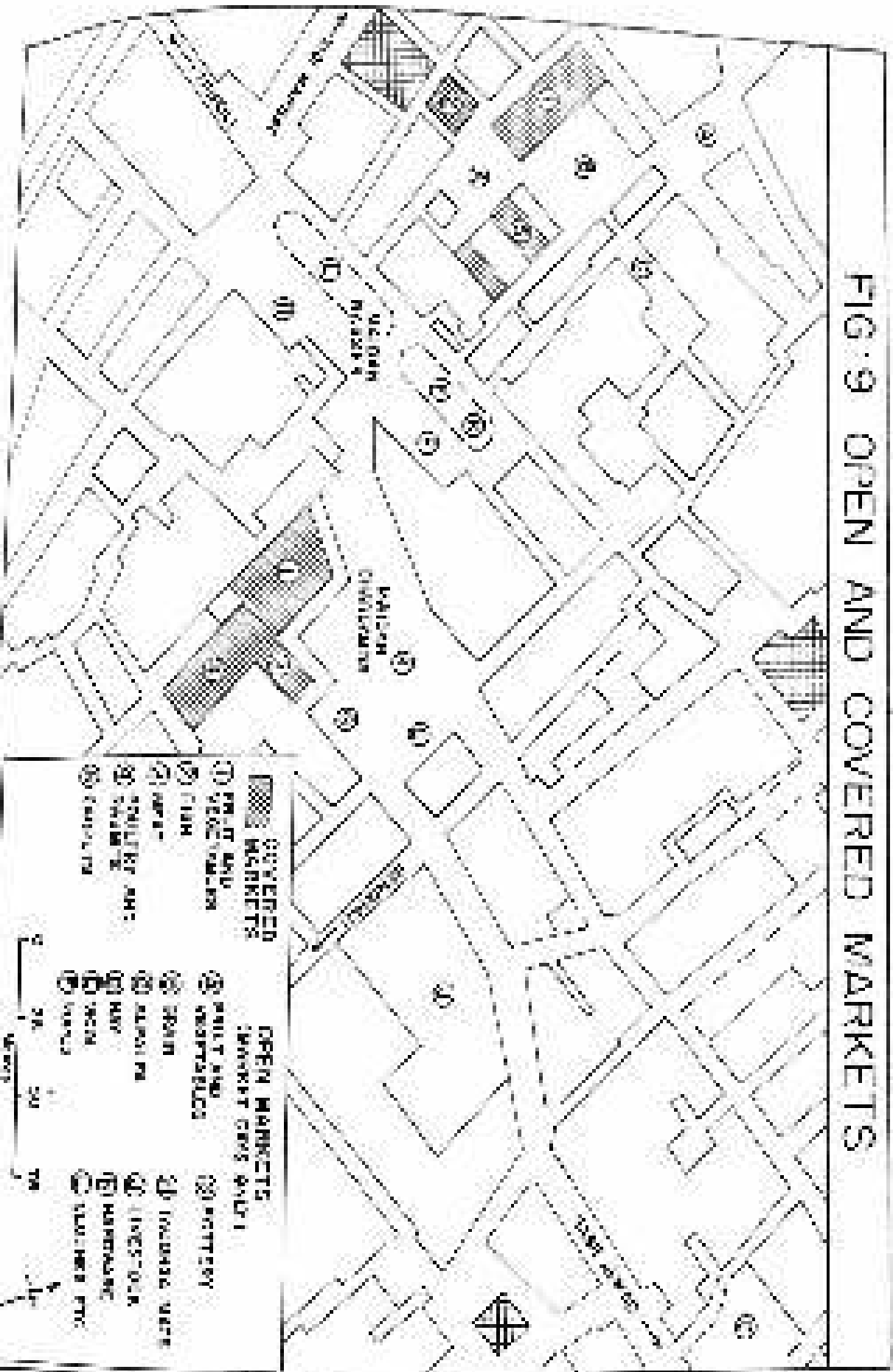
COVERED MARKETS

- ① FRUIT AND VEG.
- ② FISH
- ③ MEAT
- ④ POULTRY AND GAME
- ⑤ DAIRY, ETC.

OPEN MARKETS (MARKET CROSS ONLY)

- ① FRUIT AND VEG.
- ② MEAT
- ③ POULTRY
- ④ FISH AND SEAFOOD
- ⑤ DAIRY, ETC.

Major streets shown include Market Street, Union Square, and the Embarcadero. The map also shows the locations of various public buildings and landmarks.



Olive press	2
Slaughterhouse	1
Generator	1
Flow tiles	1
TOTAL	5

being in or near the centre, light industries have favoured more peripheral locations where property is larger and cheaper than the needs of Coor Ahmad, Tripoli and Benghazi all have their own. But industry does not distinguish between market days and non-market days, and for this reason a central location would be a distinct hazard on market days when traffic is severely impeded by pedestrians and open-air traders and their goods.

There are two main squares in Misratah, Maidaan Nasser and Maidaan Charaboya. Of these, Maidaan Nasser is undoubtedly the most important. Its north-east to south-west axis is situated beside internal routes between two broadly complementary sectors of the commercial centre of the town. A complex of shops, workshops and markets lie to the north-west of Maidaan Nasser including the grain market and flour mills, fruit and vegetable markets and the fish market. (Figure 5 and 6). This sector also specializes in carpets, jewelry, paraffin and oil, and alfalfa. Maidaan Charaboya itself is the centre of a second complex south-east of Maidaan Nasser, containing notably the livestock market, numerous butchers, blacksmiths and hardware merchants besides winter covered fruit and vegetable market and poultry market. Maidaan Nasser also lies between several streets of traditional shops and workshops in the old town, and several modern shops and services in the new town (bicycles, banks, cafes, post office etc.).

Thus on market days the square is crowded and re-crowded more frequently than any other part of the town. Within a radius of 100 metres of the centre of Maidaan Nasser are situated a large proportion of the shops and craftsmen, and most of the covered and open markets in Misratah. It is also an important junction in a network of north-south through routes on non-market days.

Types of shop vary considerably, but around Maidan Nasser they tend to be larger and better constructed than elsewhere. Some twenty-eight square metres of floor space is typical and concrete floors and iron shutters are almost standard. In the vicinity of Maidan Ghardahiya however shops are older and floor space more restricted, fifteen square metres being typical, while wooden doors and earth floors are quite common. These differences account for the slightly higher rents in Maidan Nasser much more than any advantages resulting from centrality or favourable location.

The present layout of Miratsh's commercial centre has emerged over the last one hundred and fifty years largely as the result of initiatives taken by successive administrations, but also involving some private enterprise. The centre is compact, embracing a whole range of economic functions. The emphasis throughout is on small business units and individual buying and selling, though there are exceptions. But these traditional ways will change during the next decade: shops will replace stores, imported goods will overwhelm many domestic products and marketing methods will be improved and rationalised. Indeed, NASA's ambitious schemes for the ex-Istihia estates — city labour in co-operative buying and selling and possibly the local processing of agricultural produce. All this implies change, but it may not be necessary to give a totally new heart to Miratsh to fulfil these functions — the present centre could be adapted and expanded for the purpose. Such cautious replanning would have the advantage of preserving a sense of continuity in the centre, which more than any other part of the town has helped create a feeling of community in Miratsh.

References

- (1) Macgregor, Marshall, McMillan and Lucas **The Regional Context of Settlement Planning**, preliminary report, Rome (1967).
- (2) Bechey F.W. and H.W. **Proceedings of the Expedition to explore the Northern Coast of Africa 1881-82** (1882), 80.
- (3) Stouffer M. **Travels in North Africa**, Philadelphia (1967), 12.
- (4) Erasmus N.S. "A geographical study of the coastal zone between Homs and Misurata, Tripolitania" Ph. D. thesis, University of Durham, (1961), 217.
- (5) Macgregor, Marshall, McMillan and Lucas, *op. cit.*, 27.
- (6) Ministry of Agriculture, **Orbanis of Agriculture**, Tripoli (1952), 120, 24.
- (7) Ministry of Agriculture, *op. cit.*, 111-245.

- (8) Blake G.H. *Misurata: a market town in Tripolitania*, University of Durham, Department of Geography, Research Paper No. 8 (1968), Chapter 2.
- (9) Blake G.H., *op. cit.*, Chapter 4.
- (10) Ministry of Economy and Trade, *Report of the Industrial Census, Tripoli, (1961)*, 40-52.

SOIL ANALYSIS AND ITS RELATION TO LAND USE IN KHARI PLAIN, CYRENAIKA

By Prof. Mukhtar Buni

Introduction

El-Khari Plain is known in Egyptian as the Jarce Plain. The plain is situated in the west of the Jebel Akhdar, on the area between the first and the second escarpment, known as the upper terrace (fig. 1). At the south-western end of the basin Karst action has predominated and has advanced so far as to create a series of inland drainage basins, these, with their thick deposits of Terna Limestone, form the little plains of El-Khari (Jarce), Saline and El-Awar (fig. 2).

El-Khari Plain is a closed basin. The basin has a bowl-like shape and it mainly extends south-west-north-east. It is 12 kms. long and 7 kms. wide. The lowest point of the basin is 376 above sea-level, situated one kilometer to the north-east of Old Khartoum town, and occupied by an intermittent lake in the winter, known as El-Kharq.

As far as the Jebel Akhdar is concerned, of the rocks exposed on the surface all are of sedimentary origin and almost all are marine limestones. The greater part of northern Cyrenaica is covered by rocks of Miocene age, those of Middle Eocene being especially widespread. The most extensive strata in El-Khari Plain are of the Middle Eocene category, Terna Limestone.

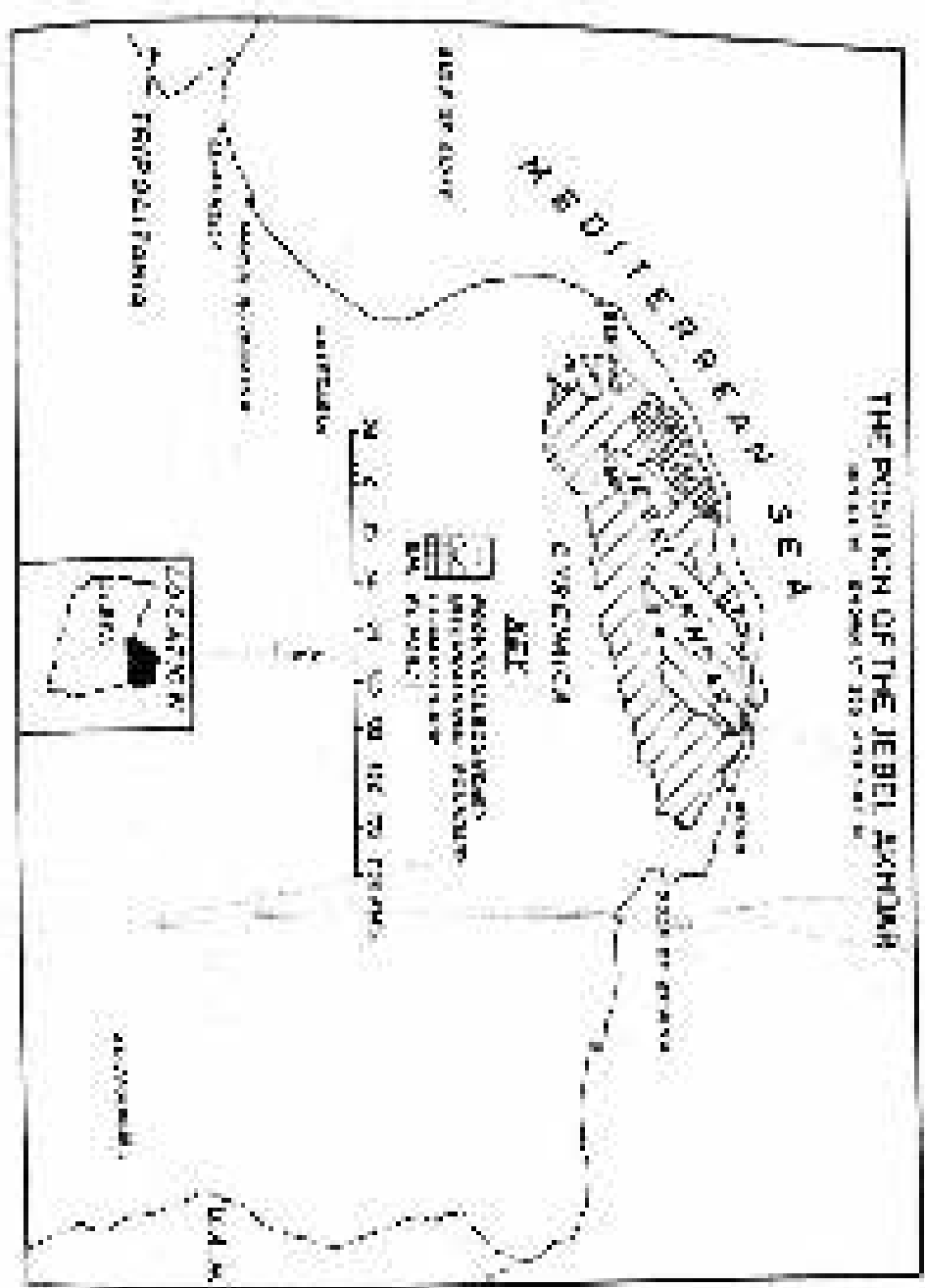
The elements of relief of northern Cyrenaica are responsible for local variations in climate both in respect of thermal and precipitation conditions. Northern Cyrenaica is markedly divided by the influence of the Mediterranean Sea on the coast and altitude of the Jebel in the interior; these differentiate the two zones of continuous habitation from the desert. It is only along the Mediterranean coastline of northern Libya that the influence of the sea brings some rain and coolness and makes possible a zone of agricultural settlement and sustained agricultural production. Cyrenaica experiences extremely hot summers everywhere; on the coast winters are mild and in some parts frost has never been known. However, in northern Cyrenaica, the coastal plain is backed by the Jebel. The sea's moderating influence decreases southwards and temperatures increase. The effect of altitude is to reduce temperatures and in winter both factors combine to make the mean temperature about 2°C. colder than the coast. Variations in temperatures from place to place resulting from proximity to the sea and altitude can be illustrated by a comparison between Tulumitha on the littoral and El-Marj some 16 kms. inland and about 245m. above sea level. On the coastal plain the annual mean temperature is 19.9°C. at Tulumitha, while on the upper terrace the mean is 17.7 C. at El-Marj.

Along the coastal plain, the daily range of temperature is moderated by the cooling influence of the Mediterranean during the day and the relative warmth of the sea during the night, though as might be expected the daily range is higher on the Jebel and further inland. Mean daily ranges of temperature at the coastal averaged between 1.8°C. at Tulumitha for a period of ten years, 1.9°C. in 1941°C. at Tobruk for eleven-year period, and 1.5°C. to 1.4°C. at Benghazi for a period of thirty one years.

Figures for the Jebel show that the highest mean daily range on the Jebel at El Marj averaged between 10.7°C. and 17.6°C., i.e. twice that of the coastal stations. The range of temperature in Libya is a product of the high temperature during the day rather than the low night temperatures.

The rainfall starts in autumn with a good amount in Decem-

THE POSITION OF THE JEBEL ACHJAH AS IT RELATES TO THE ARABIAN DESERT



hot and January, and then decreases quickly in the successive months. The peak of rainfall is in December and January. The dry half of the year extends from May to September, but the rainfall may start earlier in September and be prolonged until April, and sometimes even May, especially on the Jebel Akhdar. The main half of the year (October-Karshi) received between 4 and 90% of the total annual rainfall.

On the coastal plain rainfall ranges from only 55 to 250 mm and increases south to north. At Benghazi rainfall amounts to 350 mm. Rainfall increases in the extreme north of the coastal plain where it is 311.0 mm. at Tobruk and 250 mm. at Tuluhat. Unlike rainfall exceeding 300 mm. is found beyond the first escarpment from which point on it increases to 404.7 mm. at El-Mari. The highest rainfall (500-600 mm.) is found on the northern part of the Jebel Akhdar in the vicinity of Cyrena. This forward sector, however, is of limited extent, and to the north, south-west and south-east, rainfall declines sharply.

As pointed out, most of Cyrenaica is dominated by desert climatic conditions, except for northern Cyrenaica which enjoys a semi-humid climate especially the Jebel Akhdar where the Mediterranean climate predominates. Consequently the floral life on El-Mari Plain is related to the Maghreb and southern Europe rather than to the rest of Libya.

Dry farming is practiced in the whole of El-Mari plain. All the agricultural production is subject to a considerable risk with regard to yields. The main crops are wheat and barley, chickpeas, broad beans, oats and fava beans and grown in small quantities. As regards the growing of fruit trees, good kinds of peach, fig, pear, apple, olive and almond trees still exist on the former Italian Euba farms. In a number of gardens owned from there are high yields of olives, almonds and vines. The growth of vegetables

growing, apart from peaches, bananas and melons in El-Gharbi, is negligible.

A conservative estimate of total cultivated land in El Marj Plain may be made at 81,000 hectares.

Soils of El-Marj Plain.

Soils of El-Marj Plain show a diversity of origin, properties and land use capabilities which is perhaps best explained by reference to the factors of soil formation. Following the initial work of Dokuchaev (1905)(1) and Jenny (1911),(2) it is convenient to consider this diversity in (1) climate, (2) vegetation, (3) parent material or parent rocks, (4) topography, (5) time and (6) human influences. Within El-Marj Plain it soon became apparent that climate and parent material are perhaps the dominant determinants of the soil character.

The super-imposition of Mediterranean climate on calcareous parent material has dominated the processes of soil formation, and by far the most important soil type which is found in El-Marj Plain and on the surrounding slopes and the upland areas is the classical Terra Rossa. Much has been written about this soil and its distribution throughout the whole of the Mediterranean region, but relatively little work has been published on its El-Marj habitat. The reconnaissance observation of Ferrara (1938) (3) and Principal (4) (1938 and 1947) are useful, as are parallel findings of Reichenberg (5) in Palestine, but that research carried out on this soil group in North Africa would seem to exist in unpublished form.

The original work of Reichenberg on the Terra Rossa soil is still the standard reference for the properties and distribution of this soil type, and it seems convenient to consider here some of the main points which are contained within Reichenberg's original concept. For him:

Terra Rossa develops on limestone under the conditions of the Mediterranean climate. In comparison with its parent material, the limestone, it has been greatly enriched in sesquioxides and in silica. In comparison with the soils of humid climate it contains large quantities of salt of the alkalis and alkaline earths. The high iron content, together with low humus content, are responsible for the red colour and which often is brilliant. There are mostly soils with an illuvial structure and strong iron concretions" (2).

This view of Reichenberg is in many ways the most composed and impressive statement on the origin and nature of Terra Rossa which has been attempted by any pedologist. Certainly the theory that Terra Rossa is a contemporary phenomenon resulting from the influence of a Mediterranean climate regime and a calcareous parent material is widely held in soil science circles.

However, whilst a discussion of the pedological controversy surrounding Terra Rossa is beyond the scope of this present paper, it should also be noted that Kubiena (3, 4) and others would regard Terra Rossa as a local feature found under more humid sub-tropical conditions and therefore essentially a soil parent material rather than a modern soil.

The work presented in this paper does not aim at presenting any definite origin of this soil and its association, but rather to study specific Terra Rossa profiles in Cyprus and to analyze particularly their soil texture properties.

Detailed soil analysis: In order to supplement the general concepts of the soil types and their distribution within El-Mari, Hama and the surroundings it was decided to carry out a more detailed analysis of the soils of the area using standard field and laboratory investigation techniques. A field survey of the soils was carried out and a reconnaissance was made of natural soil sections

and soils occurring in the main agricultural areas. From this reconnaissance survey it was possible to decide upon the main soil types occurring in the plain and also to locate eleven soil profile pits which would give a representative picture of the pedological pattern.

Each of these pits was described in the field and each was sampled at two main depths, i.e. at the surface and at a depth of 25 cm. The samples were analysed at Sidi Mesra Experimental Station. Details of the chemical analyses are given in the appendix 1. The main site characteristics of the soil profiles are also presented in Table 1. A schematic classification of the soils is given in Table 2, and the location of soil pits is further shown on figure No. 3.

Profile 1 — Is a good example of a relatively thin terra fusca which has developed directly from the underlying Lower Eocene Limestone beds. The soil is quite thin, passing into parent rock at 50 cms., and is one of the stoniest profiles examined, one in high content of limestone fragments from the parent rock. The mechanical analysis of the samples shows a high content of sand and also of clay, whilst the silt fraction is relatively low. The soil is dominantly a sandy clay with a very slight increase of the sand fraction with depth.

The figures for the total carbonates reflect the large proportion of limestone fragments in the soil material. The figures for the surface horizon is 10% higher than that at 25 cm. which would seem to suggest movement of lime towards the surface and some concentration there. The P_h figures of 8.5 and 7.8 respectively were in fact the highest recorded in the whole region. The figures for the total acid soluble matters again show the high lime content and were the highest over the whole survey area. The conductivity of the soils too were amongst the highest recorded. These figures again show a tendency for the soil solution to move upwards to the surface.

TABLE 1. Locations of the Battle Sites

Order	Location	Grid Ref.	Elevation in Meters	Parent Rock	Topographic Description	Land Use
1	3 km. S.W. of Tawakoni	450/150	5	Lower Devonian Limestone	Flat, wooded glade	dry farming
2	South of the village of Tawakoni	450/150	125	Middle Devonian Limestone	Level	dry farming
3	3 km. S. of Tawakoni	215/150	260	Middle Devonian Limestone	Gentle, westerly slope	dry farming
4	4 km. S.W. of Tawakoni	100/150	295	Middle Devonian Limestone	Gentle, westerly slope	dry farming
5	2 km. S.W. of Tawakoni	350/150	350	Middle Devonian Limestone	Gentle, westerly slope	dry farming
6	El-Awra	250/150	270	Middle Devonian Limestone	Flat	pastoral
7	3 km. S. of Tawakoni	115/150	340	Middle Devonian Limestone	Gentle, westerly slope	dry farming
8	3 km. S. of Tawakoni	370/150	380	Middle Devonian Limestone	Gentle, westerly slope	dry farming
9	2 km. S.W. of Tawakoni	165/150	330	Middle Devonian Limestone	Flat	dry farming
10	3 km. S.W. of Tawakoni	100/150	340	Middle Devonian Limestone	Flat	dry farming
11	3 km. S.W. of Tawakoni	350/150	420	Middle Devonian Limestone	Gentle, westerly slope	dry farming

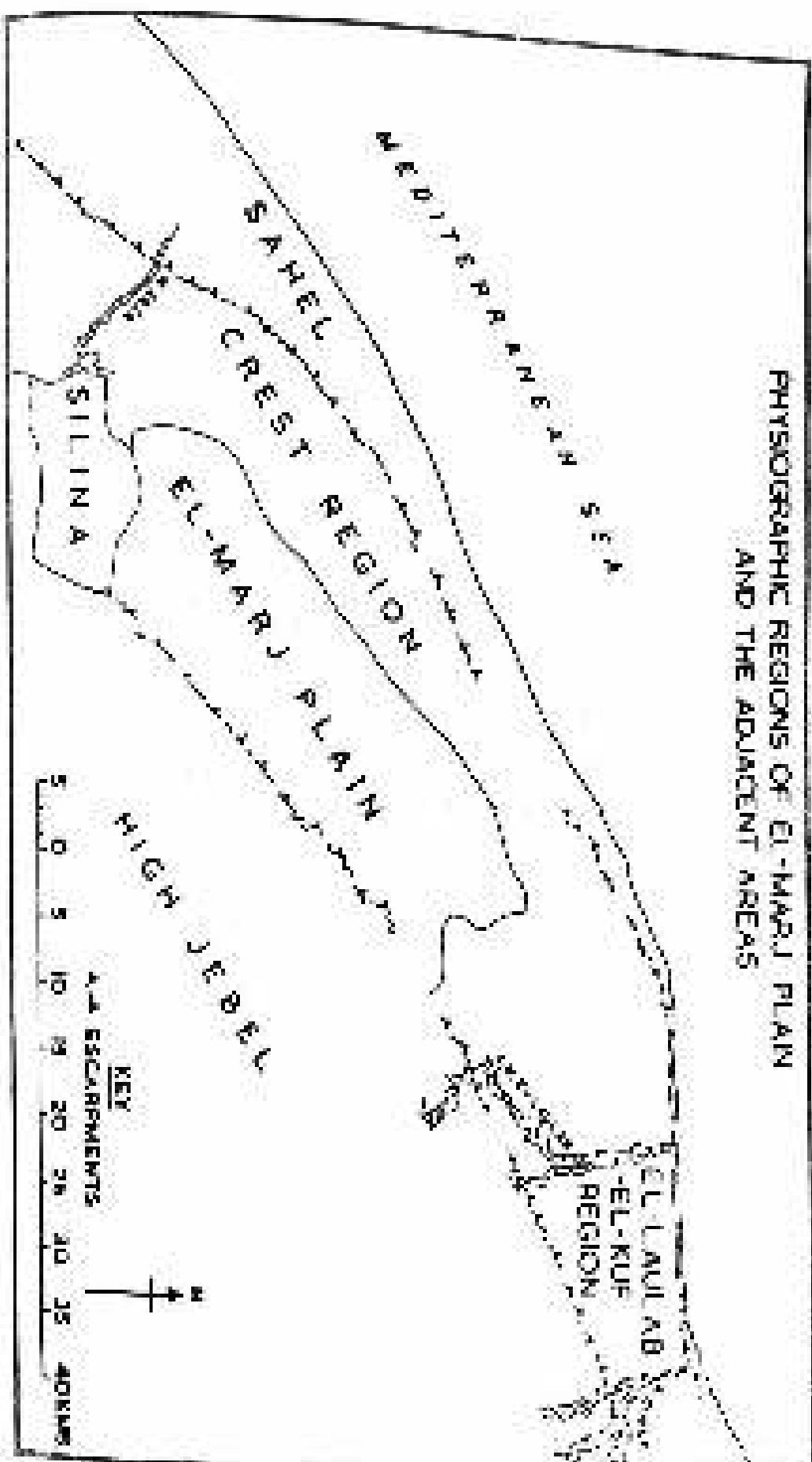
TABLE 21. CLASSIFICATION OF Soil Profile

Parent material	Soil Development	Major Soil Type	Profile Number
Terra Rossa developed over limestone	Shallow	i) Red Terra Rossa soils—deep phase	2, 4, 1, 3
		ii) Red Terra Rossa soils — shallow phase	10
		iii) Dark red Terra Rossa soils	1, 2, 5
		iv) Dark brown soils	
	Deepened	v) Hydromorphic soils	5
Soil Alluvium over limestone	Shallow	vi) Reddish Brown Alluvium Soils	8
		vii) Dark Brown Alluvium Soils	11

The exchangeable cation data show that the cationic exchange capacity is relatively low but is dominated by calcium and magnesium. The figures for both sodium and potassium are much lower. The figures for available nutrient show that nitrogen is extremely low and likely to be a major obstacle to adequate plant growth. The figures for phosphate and potash ion are low and again would be likely to prove limiting to any intensive land use.

Profile 5 — Represents a well developed red Terra Rossa soil 2 metres deep over Middle Eocene limestone. Its texture is sand or in profile one, but figures for soil carbonates fail to show any accumulation of lime and profile. This would seem to suggest that soil drainage has been adequate to leach out much of the calcareous material from which the soil was ultimately derived. Ph. figures show that the soil is only slightly alkaline. The figures for the total analyses show concentration of iron and aluminium

PHYSIOGRAPHIC REGIONS OF EL-MARJ PLAIN AND THE ADJACENT AREAS



in the soil. This is as one would expect from Terra Brava. The symmetry of the profile is similar to Profile 1, again showing a slight accumulation of salt. The cation exchange capacity is relatively high and due probably to the higher content of iron and aluminum oxides. Calcium and magnesium again dominate the exchange complex.

The data for the nutrient elements of this Terra Brava present some interesting contrast with Profile 1. Figures for total nitrogen again show the very deficient content of this important plant food. This is quite characteristic for the whole region. The figures for phosphate, however, are extremely low and point to the fact that many of these soils do not contain adequate phosphorus. This is no doubt a reflection of the long period of element leaching and degradation which the soil has undergone. The relatively low figures for the acid soluble material would seem to support this view.

Profile 3 — Has been classified into the same soil grouping as Profile 2, namely Red Terra Brava soil of a clay phase and indeed the analytical figures of this soil show many resemblances. From a point of view of texture this profile is slightly heavier, being classed as a clay soil rather than a sandy one. The figures for clay content are some 2% higher than Profile 2 and the silt percentage is correspondingly lower. The silt percentages are still the same. The soil reaction is slightly lower than Profile 2, and in fact the surface shows slight salinity. This may in fact be due to agricultural practices; at 15 cm. in fact the pH rose to 7.2 which corresponds to the general pH level of the Terra Brava material.

Further surprisingly the figures for the cation exchange capacity are amongst some of the lowest recorded in the area. This may be due to a lack of organic matter or to the type of clay mineral involved. Calcium and magnesium are again the dominant ions and this is reflected in the figures for soil conductivity, which vary from 1.19 millimhos/cm. at the surface to 0.75 millimhos/cm. at 25 cm. depth. This points to a slight seasonal upward movement of soluble salt. The carbonate figures show an almost complete removal of lime as in Profile 2, with again a slight increase at

the surface. The figures for available nutrients are amongst some of the lowest recorded in the survey. Nitrogen varies from 0.10% at the surface to 0.18% at 25 cm.; this seems to be a direct result of the poor organic matter status of this profile. The plant food would seem to be a limiting factor in the plant growth. The figure for available potash is quite high in the mineral fraction evidently much of the potash is in a form which is not available to the plant root.

Profile 4 : — Is similarly classed as deep Terra soil but is much more similar to Profile 2 rather than to Profile 3. The general texture is on the transitional boundary between sandy clay and sandy clay loam, mainly resulting from slight increase in the sand content. The clay percentage is 29.6 at the surface falling to 28.0 at 25 cm. The data for the cationic exchange capacity is also similar to Profile 2 ranging from 34.12 m. l./100 gms. of the soil at the surface to 25.75 m. l./100 gms. at 25 cm. Calcium and magnesium are again the dominant cations on the exchange complex. The Ph. varies from 7.45 at the surface to 7.30 at 25 cm. which is again similar to Profile 3, and the Profile shows a corresponding lack of total carbonates. Figures for available nitrogen show an increase on those for Profile 3, and the available potash is also much higher. Phosphate, however, is still extremely low.

A brief comparison of Profiles 2, 3 and 4, all of which are designated as deep red Terra soil, shows that there is some analytical variation within this general grouping. This is only to be expected when one considers differences of situation and soil history which these sites probably have undergone. This particular aspect will be treated more fully in the next section.

Profile 5 — Represents slight difference from the last three profiles in that it has been designated as a dark red Terra Terra soil largely on the basis of a field appearance. A study of the analytical data, however, fails to reveal any real significant contrast. The only figure which would seem to be important in this respect is that for the moisture content. The dark red Terra Terra

has a moisture percentage of over 5 whereas a red Terr. Hoxa has generally figures between 2 and 3. The texture of this soil shows a difference between the surface and 25 cm. The surface layer is a sandy clay whereas a little lower down the texture changes to sandy clay loam/sandy loam. This is mainly due to decreasing clay percentages from 23.4 to 20 and an increase in sand fraction from 66.4 to 73.2. The figures for silt fraction show a very striking increase with depth dropping 14.2% at the surface to 7.8% at 25 cm. This decrease of silt and clay fraction within such a short distance would seem to suggest that the upper horizons are in fact consisting of fine material which is being washed in from our steeper slopes.

The P.H. of this soil and the total carbonates are very similar to Profile 3. As also the figures for cationic exchange capacity. Calcium and magnesium are again the dominant ions, and the figures for conductivity of the soil are very low despite the high moisture content. Figures for available nutrients show the same low values, although the availability of phosphate is slightly higher than the previous three profiles.

Profile 6 — Is an extremely interesting profile as it is the only profile study which shows the effects of impeded drainage on the soil profile. The profile pit was located on the northern edge of El-Gharig depression which is an area of accumulation of silt from surrounding areas. El-Gharig depression is in fact an intercalated lake bed which has usually remains flooded until it is despoiled by evaporation in late May. The dominant feature of the soils therefore is extremely waterlogged conditions for much of the year. The high water table thus produced has very detrimental effects on plant growth.

The mechanical analysis shows that the soils may be classified as sandy clay which is very important from a point of view of soil permeability. The soils are relatively impermeable, a factor which makes even worse the effects of a large seasonal influx of water. Despite the poor drainage, however, alkalinity has not developed and the P.H. is only 7.1. The figures for total carbonates

also show no accumulation of lime. By far the most interesting analytical figure is that which refers to soil salinity. The figure for the conductivity figure is that which refers to soil salinity. The figure for the conductivity of the soil reaches the very high level of 11.5 millimhos/cm. at the surface but it drops quickly to 3.25 millimhos/cm. at 50 cm. The figures for cation exchange capacity similarly reflect the saline conditions of this soil. The percentage of sodium on exchange complex does in fact exceed the figure for calcium and magnesium combined and would seem to suggest that there is a very high sodium hazard in this soil. This is further reinforced by the figure of the Sodium Absorption Ratio which is 12.52 at the surface. The fact that alkalinity has not developed under the high sodium figure may, in fact, be due to the high iron content of the soil. The figures for available nutrients show the usual lack of nitrogen and phosphate but it is noticeable that the figure for available potash is extremely high. In fact the figures of 1057 parts of potash is more than double the figure recorded in the other profiles. This is almost certainly due to the fact that potassium is being washed in the area by seepage water.

The saline nature of this profile appears very puzzling when compared to the good crop yields which this area supports. Whether the salinity is closely restricted to the surface and hence does not affect the main root zone, or whether the soluble salts are of a nature which does not inhibit plant growth is a question which needs further investigation.

Profile 7 — Is another example of a dark red Terra Rossa soil and therefore it may be convenient to discuss its analytical data in comparison with that of Profile 6 at the village of Batia. From a point of view of texture Profile 7 represents a clay soil rather than sandy clay. The figures for clay at the surface and at 25 cm., 33.1% and 35.9% respectively. This relatively heavy texture is only exceeded by red Terra Rossa soil at Profile 9. It is also worth noting that the silt fraction of this soil is quite high, reaching a figure of 20.6% at 25 cm. It is also noticeable that this profile is very slightly acidic showing pH 5 which never rise above 6.8. The saturation percentage is also higher than profiles considered

previously, a fact which is resultant upon the finer texture of the soil. The figures for soil carbonates are again quite low.

The figures for cationic exchange capacity range from 31.5 m./100 gms. at the surface to 24.5 m. l./100 gms. at 25 cms. Calcium and magnesium are again the dominant ions, and this fact together with the low figures of soil conductivity would seem to suggest that sodium is easily removed from the soil profile.

From the point of view of total analysis iron and aluminium are again dominant. The data for the available nutrients show that nitrogen is only sparingly present whereas phosphate was much more abundant than in any other profile studies. This is probably due to the richness of the soil in phosphate bearing minerals rather than to any addition by fertilisation. The figures for potash are average for the region.

Profile 4 — is a soil with a completely different pedological history, compared with those profiles described earlier. It represents essentially an alluvial soil which is developed in the alluvium of a wadi bottom and it has been designated as yellowish brown alluvial soil on account of its dominant colour.

The analytical data shows several interesting comparisons compared with Terra Rossa soils. This is by far the lightest soil according to texture which was met in the field study. The sand fraction is as high as 61% at the surface and 65.4% at 25 cms., thus giving the designation of sandy loam. The figures for total carbonates are also high being 56% at the surface and 24% at 25 cms. The fact that these high figures are found in such light textured soil would seem to indicate that there is quite a large influx of lime from the surrounding label. The P₂O₅ is still slightly alkaline at 7.2. Rather surprisingly the figures for cationic exchange capacity are the highest so far met in the area, being 42.55 m. l./100 gms. at the surface and 38.5 m. l./100 gms. at 25 cms. This is probably due to the slightly higher organic matter status of this soil. Calcium and magnesium dominate the exchange complex much more than in the Terra Rossa soils and this is again reflective in the very low figures for the soil conductivity.

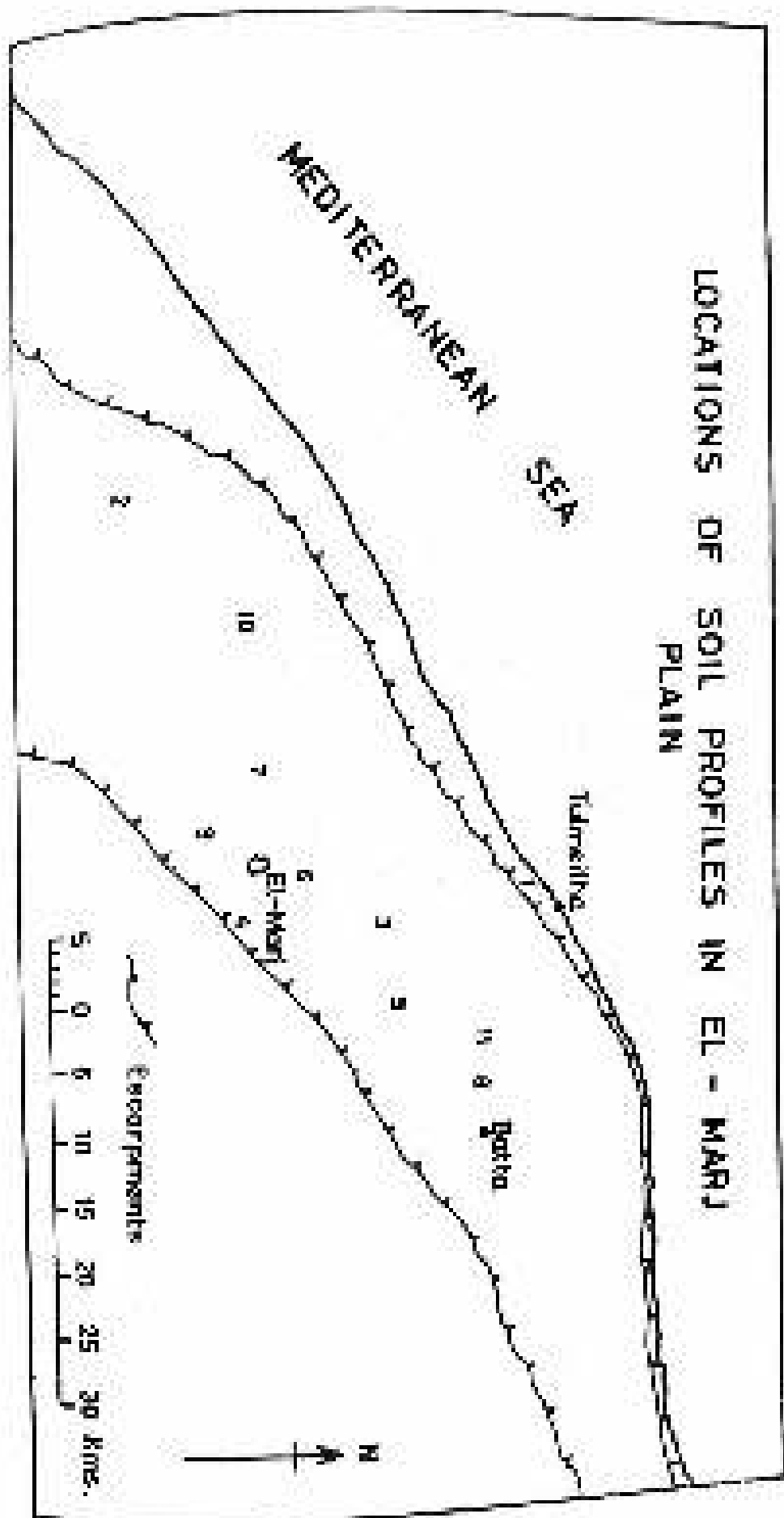
From the point of view of plant food elements the figures for total nitrogen are the highest recorded during the investigation. It is still low however, being 0.59% at surface and 0.19% at 25 cms. The figures for phosphates are higher than average, but those for potash are relatively low. This is rather surprising on account of the influx of mudstone which must occur.

Profile 9 — is the fourth example of a deep red Terra Rossa soil and shows many similarities to those previously considered. The soil is sandy clay in texture and in its upper horizon as with other Terra Rossa is almost completely decalcified with a pH 7.4. The data for the cation exchange capacity is also very similar to Profile 2, and again calcium and magnesium are by far the dominant ions on the complex. Indeed, the conductivity of this soil shows that it has the lowest content of salts of all the red Terra Rossa. The conductivity is 0.77 millimhos/cm. at the surface and 0.63 millimhos at 25 cm. The total chemical analysis again shows the importance of iron and aluminium in the soil. From a point of view of available nutrients the figures 0.5 show the striking deficiency in nitrogen and phosphate already referred to, but the potash status is quite high for a Terra Rossa soil. This is probably due to the relatively high content of potassium bearing minerals in the sand fraction.

Profile 10 — is the only example for which analytical data have been gained of the shallow phases of the red Terra Rossa group. It consists of one metre of Terra Rossa material which has been accumulated on the Middle Bellerophon limestone. Again the soil texture can be classed as sandy clay and again the soil material has been relatively decalcified. The pH. of both the surface and 25 cms. is 7.1. Rather interestingly this profile shows a higher saturation percentage. The cation exchange values are similar to those deep Terra Rossa. Calcium and magnesium are again the dominant ions. The conductivity of the soil is 0.01 millimhos/cm. at the surface and 0.6 millimhos/cm. at 25 cms. The sodium absorption ratio is again quite low.

From a point of view of available nutrients a similar picture

LOCATIONS OF SOIL PROFILES IN EL - MARJ PLAIN



is given compared to the Terra Rossa soils. Nitrogen and phosphate are low and available potash is average. It seems therefore from this examination of these chemical analyses that within the top 25 cm. there is very little significant chemical distinction which can be made between the deep and the shallow phases of the Terra Rossa group. It is likely that differences would occur at depth, but unfortunately no analytical data are available.

Profile 11 — Is an example of dark brown alluvium soil which is developed in a wash bottom 5 kms. west of Paria. It is a sandy clay at the surface in texture and a clay at 25 cms. and it is likely that this profile shows a wide textural heterogeneity. It is noticeably true too that the silt fraction shows quite startling variations in the top 25 cms. being 15% at the surface and 54% lower down. It is also interesting that this profile has lost all its lime content, a very interesting contrast with the alluvial soil of Profile 8. The Fe, however, is still slightly alkaline.

Calcium and magnesium are again the dominant ions on the exchange complex, and it is noticeable that this profile shows the lowest conductivity so far examined; these are 0.15 and 0.35 millimhos/cm. at the surface and 25 cm. respectively.

The most interesting aspect of the analytical data, however, is that which refers to the available nutrient status. It is worth noting that this is the only profile which was not taken from a cultivated area and it is the profile which shows the most complete and serious deficiency in plant food. At the surface there was needed 1000% nitrogen, 2.7 ppm for phosphate and 137 ppm of potash, at 25 cms. the figures were 1000% nitrogen, 2.9 ppm phosphate and 121 ppm of potash. These figures illustrate the inherent poverty of the soil as a medium for plant growth.

Soil-Land Use Relationships.

From a point of view of agricultural potential indicated by a soil profile and soil analytical data, a number of considerations regarding the soils can be listed and a brief statement made on

PROPOSED - ANALYSIS OF DATA TO BE MADE WITH AN INSTRUMENTAL ANALYSIS

RECOMMENDATION
by Department of the Army

RECOMMENDATION OF THE ANALYST

Lab. No.	Reference No.	Specimen No.	Specimen Weight (g)	Specimen Volume (ml)	Specimen Density (g/ml)	Specimen Color	Material Elements	
							Total Element Weight (g)	Total Element Volume (ml)
601	1	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
602	2	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
603	3	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
604	4	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
605	5	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
606	6	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
607	7	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
608	8	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
609	9	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
610	10	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
611	11	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
612	12	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
613	13	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
614	14	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
615	15	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
616	16	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
617	17	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
618	18	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
619	19	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
620	20	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
621	21	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
622	22	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
623	23	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
624	24	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
625	25	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
626	26	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
627	27	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
628	28	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
629	29	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
630	30	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
631	31	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
632	32	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
633	33	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
634	34	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
635	35	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
636	36	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
637	37	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
638	38	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
639	39	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
640	40	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
641	41	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
642	42	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
643	43	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
644	44	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
645	45	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
646	46	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
647	47	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
648	48	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
649	49	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00
650	50	1000000	10.0	10.0	1.00	1.00	1.00	1.00

CONTINUATION OF THE ABOVE

Lab. No.	substance	Total Solub. at 20°	Total Inert	H ₂ O	H ₂ O	H ₂ O	H ₂ O	H ₂ O	H ₂ O	H ₂ O	H ₂ O
6000	2.60	17.15	27.00	2.01	1.15	20.24	0.75	0.250	0.458	0.125	0.212
6001	1.57	20.38	31.04	4.37	4.11	20.38	0.60	0.244	0.124	0.125	0.208
6002	2.45	20.47	30.47	10.32	1.40	1.45	0.60	1.000	0.405	0.115	0.003
6003	2.85	22.83	27.77	10.45	0.75	0.00	1.87	0.203	0.514	0.191	0.000
6004	2.74	21.34	20.69	1.90	2.00	0.45	0.47	0.153	1.001	0.003	0.004
6005	2.60	22.75	21.25	1.90	2.25	0.38	0.66	0.150	1.102	0.014	0.000
6006	2.70	25.91	24.05	12.15	0.64	1.40	0.42	0.250	1.127	0.014	0.264
6007	1.12	20.85	24.35	7.12	3.65	1.30	0.41	0.124	1.127	0.100	0.264
6008	2.15	24.38	25.00	10.09	5.11	1.30	0.41	0.124	1.174	0.314	0.003
6009	2.15	24.38	25.00	11.28	10.82	0.45	0.06	0.136	1.174	0.314	0.003
6010	2.18	27.89	22.11	10.45	1.15	1.64	0.61	0.147	1.419	1.092	0.003
6011	2.85	28.52	21.06	11.00	1.15	0.00	0.60	0.149	1.426	0.521	0.264
6012	2.10	20.21	22.70	9.25	2.65	0.38	0.30	0.195	0.328	0.302	0.045
6013	2.45	22.38	27.01	12.74	14.00	0.61	0.60	0.295	1.325	0.141	0.003
6014	2.03	21.84	25.15	8.90	12.11	15.04	1.06	0.318	0.796	0.241	0.003
6015	2.45	20.21	22.70	9.25	14.00	0.61	0.60	0.295	1.325	0.141	0.003
6016	2.03	20.02	20.15	7.08	2.35	0.12	0.45	0.125	1.240	0.403	0.003
6017	2.17	23.09	21.97	9.42	9.54	1.12	0.95	0.125	1.121	0.125	0.203
6018	2.74	20.47	27.43	11.02	0.54	0.40	0.55	0.105	0.970	0.274	0.203
6019	2.74	20.47	27.43	9.70	10.00	0.64	0.60	0.104	1.051	0.125	0.203
6020	2.87	22.82	25.72	12.45	10.00	0.64	0.45	0.104	0.754	0.264	0.203
6021	2.87	20.67	25.72	11.34	12.00	1.12	0.45	0.104	0.754	0.264	0.203

kind effects on plant growth. From a point of view of the physical properties of the soils it has been already noted that the soils in Coventry show a moderately heavy texture varying from a range of clay, sandy clay, and sandy clay loam. The clay contents are fairly high, i.e. up to 88% of the total mineral fraction, but these relatively high figures are generally adequately balanced by a much higher sand content. Thus, the texture of the soils are relatively good from the agricultural point of view, and under favoured methods of cultivation would be able to support quite intensive land use.

In addition with these moderately high contents and given the relatively high contents of aluminium and iron content, the structure of the soil also has inherent favourable qualities. However, under the prevailing intense Mediterranean climate there is a strong tendency for extremely hard and compact structures to form during the intense period of desiccation. The high content of colloids and sesquioxides is likely to be highly affected by the climate regime during the wet absorbent season and the soils are likely to be absorbent in moisture and very sticky whilst during the summer drought they tend to break up into extremely hard clods and soil pans with very obvious signs of soil cracking. With this annual unfavourable change in soil structural characteristics it can be imagined that the problems posed for soil practices are very great. In particular the nature and timing of ploughing operation is critical for the production of a proper seed bed. If the land is ploughed when the moisture content is high the ground is likely to be compressed and there will be a tendency for large clods to be formed. On the other hand it is mechanically impossible to plough many of these soils during the dry season when the soil is compact and extremely indurated. Working the land at this time of the year only produces very strong blocky units of an irregular size. The important point to emphasize here is that under the prevailing climatic regime the soil structures are extremely unfavourable to agricultural management, and under the prevailing agricultural technique there is always a strong tendency towards a structural degradation. This unfortunate condition as regards physical fertility is very widespread in the area.

areas of the Middle East and deserves much more attention in soil conservation.

One point that has to be remembered in this region as in most of the Middle East is that most soils have been utilized for millennia and the processes of degradation, especially those associated with the reduction of organic matter and the consequent effect on soil structure and texture, have had extreme results. It is, therefore, more difficult to discover suitable tillage techniques and cultivation periods than in apparently analogous regions, e.g. for instance, North America where conservation techniques are being applied at a much earlier stage in degradation.

The behaviour of moisture in the soils is, of course, of major importance in chronically marginal areas like Cyrenaica, but unfortunately very little data are available to give an accurate quantitative picture of the soil moisture situation in the area under study although the work of Micheli (7) in Benghazi Plain does provide some preliminary assessment to be made. The hydrological cycle is perhaps one of the major fields of investigation which should be started out in the future of Cyrenaica.

However, from field observation and simple laboratory tests it is possible to outline the major features of the soil moisture regime in the area. Undoubtedly a high percentage of the rainfall on Cyrenaica does not penetrate very deeply on account of low permeable layers and is readily lost by high evaporation in the summer.

From a physical point of view the soils under study have a very high capacity for absorbing moisture and in fact the saturation percentages are quite high ranging from 8% to 20.2%. Ultimately this means that the wilting percentages too are quite high and in fact Micheli(8) estimates that water in the soil becomes unavailable at a percentage moisture of 8.5%. This is very high percentage and points to the fact that much of the moisture in the soil is unavailable for plant growth.

In addition to the basic problem of the availability of moisture for plant growth, the water regime of the soils also presents

problems in the realm of soil structure and land management. The fact that some of the semi-arid areas do provide such great difficulties in the maintenance of good soil structure is a very well known thing and one which is receiving a very great attention at the present time. Anderson(3) has underlined the advances and also the work to be done in this field.

From a point of view of chemical fertility of the soils, in particular the ability of the soils to provide necessary nutrients for plant growth, the picture is more straightforward. The overwhelming fact which must be borne in mind in this regard is the extremely low organic matter in the soils. The organic fraction at the surface ranges from 0.15% organic matter in profile 1 to 2.4% in profile 3. In addition to the unfavorable effects on soil structure which these low figures have induced, the main effect of this is the inability of the soils to provide enough nitrogen for intensive plant growth. This is a very common problem in semi-arid lands and points to the need for improved management practices with greater emphasis on chemical fertilization and the introduction of a leguminous crop in the farming rotation.

The laboratory analysis of available nutrients also indicates that phosphate is poorly available for plant growth. The figures for available phosphate are consistently less than 13 ppm except for Profiles 1, 7 and 8 where larger amounts were recorded. The fact that phosphate is so unavailable is most probably related to the high content of iron and aluminum in the soils. With a high content of iron, aluminum oxides, much of the phosphate will be fixed into unavailable iron and aluminum phosphates. The fact that Profile 1 has a higher phosphate status can probably be explained in terms of its lower content of sesquioxides, but the relatively high phosphate in profiles 7 and 8 are more difficult to explain. In the absence of any addition of fertilizers by humans it is probably related to the mineralogical make up of the soils. Unfortunately this could not be verified by the laboratory analysis.

To summarize the fertility aspect of the soils under study it may be pointed out that such basic limitations as soil depth and

sterility which are often found in the Middle East do not present a serious problem in El-Mari Plain. The Terra Rossa soils are quite deep and provide an adequate rooting medium for plants and the limitations found are much more related to the system of management. In particular such physical characteristics as soil moisture regime and the soil structure conditions point to the need for careful and adequately planned management system, whilst the lack of the organic matter, nitrogen and phosphate in the soil can again be remedied by rational management practices. There is no pedological reason to suppose that under a good management system the soils of El-Mari Plain should not prove particularly fertile.

REFERENCES

- (1) Deuchvalov, V.V. (1956), "The Problem of the reevaluation of the land in European and Asiatic Russia", Moscow 1961.
- (2) Jenny, H., (1911), "The Factors of Soil Formation", McGraw-Hill, New York.
- (3) Ferraro, A., (1935), "Analisi di terreni della Cirenaica", Istit. Col. Ital. Florence.
- (4) Principi, P., (1963), "Osservazioni su alcune terre rosse della Cirenaica", L'IL. Ag., Rome. Carwell's translation, LATAS, Tripoli, pp. 16-111.
- (5) Reichenberg, A., (1947), "The Soils of Palestine", (Trans.) Whittles, C.F., London.
- (6) Ibid. p. 91.
- (7) Micheli, A., (1956), "Contributo in umidità della "Terre Rossa" della pianura bengazina e sua variazione in rapporto alla lavorazione del terreno", Florence.

- (8) Micheli, A., "Report on the Agriculture of Cyrenates",
Rome, p. 13
- (9) Aubert, G., (1912), "Acid Zones Soils", paper of Unesco
Symposium on the problems of the Acid Zones, Paris,
pp. 115-135.

Francesco Bahdegi

Recenti studi di storia musulmana in Italia

Nonostante la presenza di due grandi nomi, Amari e Castelli, gli studi di storia musulmana hanno rappresentato sempre in Italia una realtà. Nell'ingenua schiera degli arabisti e islamisti italiani, ancor più rari son quelli, nel passato e nel presente, che alla civiltà dell'Islam abbiano dedicato un interesse durato in senso stretto, preferendo studiarne piuttosto gli aspetti filologici, giuridici, letterari, e soprattutto religiosi. È facile qui l'osservazione che, costituendo l'elemento religioso la base di tutta la civiltà islamica, è naturale che ad esso vada soprattutto l'attenzione degli studiosi; ma ciò non toglie il fatto che anche quei due grandi italiani italiani sopra ricordati, tutta una schiera di stranieri (soprattutto europei, poi francesi, Wellhausen e Becker, Lammens e Dauterle, e più vicini a noi un Sauvaget, un Lévi-Provençal, un Cahen), senza trascurare quella caratteristica della civiltà musulmana medievale (ma non si potrebbe dire altrettanto di quella del Medioevo occidentale), abbiano lavorato a lunghissimo corso a tutto l'aspetto religioso, quelli etico-politico, economico e sociale. In Italia, tutte quelle due categorie eccettuate, la produzione più propriamente islamologica negli studi arabo-islamici è stata sempre quantitativamente assai scarsa, e anche l'interesse dei nostri islamisti per i grandi problemi di storia generale che sfiorano o incidono nella storia musulmana, basti pensare che la tesi Firenze e la politica economica non oggi han trovato qualche eco in favor di arabisti italiani (1). Questa constatazione che ci hiammo a esprimere si

modesta a capo del nostro modesto bilancio, modesta quantità di lavoro, data per la superiore qualità di talenti studi, e il medio livello di tutti, non non aligera accanto alla analogia produttiva della islamistica straniera. Si potrà giustamente osservare che, almeno per la parte più antica, gli argomenti trattati sono spesso, più che meramente storici, storico-religiosi, il che si spiega con la qualità ristretta ma unitaria, della storia orientale e islamica in particolare svolta su specie difese: ma non senza che ai suoi alcuni indoggetti trappona, sotto quel nome di denominatore, la varietà e ricchezza dei soggetti inglobati, delle diverse posizioni.

I limiti di questo nostro rapporto vanno dal '42 al '45, con all'incirca il passato ventennio. Una abbreviata cronaca internazionale generale di storia islamica potremmo menzionare in questo periodo perché composta e scritta principalmente in veste italiana, anche se non italiana: ne è l'autore, lo spagnolo E. Pareja: il quale nel suo vasto trattato di Islamologia ha dedicato alla storia politica di questa civiltà uno spazio che forse, per le ragioni anzidette, non le avrebbe concesso prima d'ora uno studioso italiano. (2). E10 agli storici generali di storia araba e islamica dovuti a Laura Ferri Vaglieri, sono incluse in opere collattive come la civiltà dell'Oriente sotto gli auspici dell'UNESCO, e la storia universale di Vallardi (3); mentre alcuni limiti e singoli popoli musulmani sono i volumetti su Gli Arabi di F. Gabrieli, e I Persiani di Alessandro Bazzani (4). Ma da questa sia pur alla divulgazione, preferiamoci a passare a lavori particolari. Se la vita forse durata a Michelangelo Guidi, probabilmente scorreva nel 1945, avremmo avuto da lui un'opera d'insieme sulla storia e cultura degli Arabi cui lavorava approssimativamente nei suoi ultimi anni, e che avrebbe rappresentato il frutto di una vita di ricerche e meditazioni in questo campo. Ma ciò che egli arrivò a compiere, e apparve come un postumo frammento (5), è la parte iniziale dell'Arabia preislamica, e la figura e l'opera del Profeta, in cui il Guidi ribadì talune sue idee e principi metodici fondamentali: recala rivalutazione della tradizione per ciò che tocca il paganesimo arabo e la vita di Meccetta, sostanziale originalità araba del suo messaggio, pur unitaria delle nove fonti menestriche di legittimazione, giudaiche e cristiane. Come avrebbe poi agli inizi

conquistate e l'impero arabo (gli era a metà ricovero in un
spazio rappresentante di quell'interesse più storico-religioso che
etno-politico verso l'intero mondo dell'Islam) non ci è data ormai
che immaginare. Così come il latino medio-religioso, ma non
senza acuta intelligenza anche del politico, sta alla base della
ricerca della Venera Vaglieri sul periodo delle califati islamici,
il primo sistema e le prime lotte civili (6) ricorre costantemente
appena anche al Ptolema, che costituisce il maggior cardine
della Islamologia italiana nell'ultima ventennina per questo
più vicino fase della storia musulmana.

Dalla scuola napoletana della stessa nostra analisi, che ha
seguito a liberare, per illustrare l'orientalismo problematico delle
origini del Ebraismo e della Shia alidica, un gruppo di fuori
medite rimaste finora trascurate per la loro età più tarda, sono
usciti vari altri studi in argomento, di cui, come più schiettamente
non si ricorderemo almeno uno del suo albero o viceversa Ri-
cardo Bazzani, sul califfo Abd al-Malik e gli Umayyad (7); con
essi, entrano in pieno in quel secolo degli Umayyad, oggetti
delle classiche opere di Wellhausen e Lammens, e si direbbe
quindi uno dei meglio noti e studiati periodi dell'antica storia del
Califato. Quanto possa anche spogliarsi nel senso di quelle opere
classiche la precludere da contributi di stranieri come il Cobb —
appare nel tempo prosopografico da qualche più recente lavoro del
colloquio su *Moslimi* (successivamente di Costantinopoli, e sul primo
conquistatore arabo d'Italia Muhammad ibn al-Qasim (8), mentre
altri miei studi omayyad sono anteriori al ventennio in questione;
e, in campo archeologico e storico-artistico, dagli studi in corso di
Francesco Stella (9). Certo per l'età omayyade le linee essenziali e
una folla di particolari sono stati fissati da quei due grandi storici
al principio del secolo con così ferma mano, da non lasciare agli
operatori che un lavoro marginale, giustificato sempre dal fascino
particolare di quel periodo, la primavera dell'Arabismo e dell'I-
slam congiunti, allora in piena espansione.

Assai più vasto e libero campo offre invece il periodo
successivo, quell'età abbasside che si stende per cinque secoli, quel
lungo ponte fra le origini dell'Islam e il nostro tardo Medioevo e

che vede il più maturo fiorire, l'Irione è la più iniziata decadenza della civiltà musulmana. Una compiuta storia analitica dell'epoca abbasside, fondata sulle fonti, è ancora da farsi, e solo singoli settori ne sono stati anticipati, come nella ricca storia del visirato, del *Barzakh*. Per quanto riguarda il più recente contributo italiano, citiamo soprattutto gli eccellenti studi di S. Mazzari su cinque linee di califfi (*al-Mahdi, al-Radi*), su un grande agitatore e propagandista *Abu Muslim* che portò la rivoluzione abbasside alla vittoria, e altri episodi della preparazione e vicenda di quella stessa rivoluzione (10). La rassegna del movimento di una promettente opera italiana, per essere l'autore per tutto dedicato ad altri campi della storiografia, dapprima coltivati in parallelo con questi temi: i saggi da lui pubblicati su queste regioni abbasside, e quello sulla più antica *Kufa* (11), mostrano la maturazione d'indomane e l'acume critico proprio di questo studioso in ogni campo del suo lavoro, e fanno più ramplangere che la sua opera di un più venturo tempo: accompagnandosi a qualche più vecchio nostro studio su questo periodo, essa segue alcune linee di una futura storia ancor da scrivere almeno del primo secolo abbasside; e di un tal contributo italiano l'Islamistica italiana (Ricordo, Cohen) che ora attivamente si lavora, ha mostrato di tenere il giusto conto. In questa prima età abbasside, si continuano d'altra parte gli interessi e le ricerche di cronografia musulmana cui abbiamo già accennato, facendo capo alla *Verba Vagheri* e la stessa dobbiamo un importante studio sulla sopravvivenza del Kharijismo in epoca abbasside (12), nel cui capitolo è stato ufficialmente ristretto da G. F. Sartre (13); e lei ancora uno studio sulla prima rivolta abbasside contro gli *Umayyad*, integrato da una ricerca di R. Patai (14): tutti lavori in cui l'Indice ha svolto modestamente di reggere e politica in questa storia musulmana non ad evidenza dimenticare.

Ma la storia medievale dell'Islam non si svolge solo nella terra Arabo Anteriana, anche della storia dell'Occidente sono. Una abisside include infatti i rapporti raggiungibili (in una sufficiente documentazione storiografica) fra l'Oriente e il Maghrib islamico, e l'Occidente latino: storia dello Spagna e della Sicilia musulmana, interessi anche in Francia e in Italia, sono molto-

araba e bizantina, Camicione. E' questo il campo che fra noi in Italia dominò in anni giovani Michele Amari, di cui si va ora preparando l'edizione nazionale delle opere, entrata almeno in parte nel circolo della cultura storica generale: quasi Amari che all'appello di altri eminenti nostri studiosi si interessò poco all'Europa quanto lui, e anzi si dedicò alla sua irradiazione ineditata, anche oltre la patria Sicilia. Nel più profondo senso da lui aperto, questa vena non ha visto tutta una fiorita di studi, da parte di storici italiani e anche non italiani, appoggiati, per il loro senso all'Europa e al consiglio degli orientalisti. Così sono nati i due pregevoli volumetti di Giulio Mosca, rispettivamente su Carlo Magno e Harun al-Rashid e sull'elemento arabo di Bari (15), che anche se non appartengono rivoluzionari dai nostri, determinano le vecchie questioni nei punti controversi, diretti o indiretti, delle fonti e soprattutto con spirito storico nuovo rispetto alle prevalenti tendenze (per restare all'affinamento europeo-borseo: Amari lo aveva guardato con l'occhio del patriota italiano del risorgimento, mentre il medievista del Novecento arriva a una più serena ed equilibrata sua valutazione tra le forze coesistenti in quel IX secolo nell'Italia meridionale). Al seguente decimo secolo è riprodotto il rapporto fra Berke di Tirmidh e il califfo di Baghdad, rivelati da un testo arabo solo una volta e interpretato a fondo grazie a Giorgio Levi della Vida (16), il maestro degli studi semitici e arabistici che da poco scomparso, anche per la storia islamica una delle sue cose essenziali allo scarsi italiani degli italiani per questo settore (il debito a lui, nell'istruzione e ideale discepolo di Casati), importanti apporti sul califfo di Ali e su quello di Mu'awiz, antiche entrate al termine di questa nostra rassegna; ma erano tali brani, dell'opera storica di quel grande arabista a essere ricordare anche le pagine sul mondo islamico nell'età di Federico II, con cui già giungiamo al Regno delle Crociate (17). Questo alla Sicilia araba, naturalmente per quanto è possibile di Amari e appena oggi U. Rizzitano, che dalla cattedra di Palermo ha riscosso l'interesse per gli studi arabo-islamici nella prosopografia letteraria, nella geografia, e anche specialmente nella storia: si tratta certo di schizzi e frammenti rispetto al blocco imponente dell'opera amariana ma che stracciano la continuità, o meglio la riprova, tra noi e una tradizione europea di cui in certi momenti si era dimenticato.

la totale estinzione (18). Tra gli ultimi e meno noti frutti della produzione di Amari sono gli studi sulle lotte di Genova e Pisa nel Tirreno contro i Musulmani e per questa parte all'Amari si riattribuisce lo studio singolarissimo che nel Ruggero e Mugiccioli, il signore di Denia e corsaro della Sardegna, ci ha dato anni fa in arabo Otaia Cirqua Samelli. A cui altre poderose ricerche seguono il persistente interesse per la storia maghribina e arabo-spagnola. (19) Siamo ormai all'XV secolo, alla vigilia della Crociata. Nel moltiplicarsi della letteraria storia se ci esse in questi decenni (consideriamo la storia a collaborazione multiple di Uta Hahm, e quelle individuali del Rammann, del Wase, della Gildenburg, e la recentissima di F. Caguiant, più messa insieme con destino d'anni fa, e rivelatasi utile per gli studiosi non orientalisti (20). Il vecchio Bocani parigino è oggi in gran parte superato per la quantità e qualità delle nuove fonti musulmane rese note, e l'indagine storica relativa non può ignorare l'opera del Glab, del Cahen, del Lewis, del Kraemer, del Giesebrecht, su personaggi e momenti di quel periodo visti con critica analisi della fonte maghribina. Per parte nostra, ci sia permesso accennare ancora a due periodici studi nostri su Federico II e la cultura musulmana (21), e sulle Ambasciate di Balbar e Manfredi (22). Oltre al capitolo d'insieme sulla Storiografia araba della Crociata, tutti raccolti da quella nostra antologia (23). Durante l'età della Crociata il califfato abbasside è in dissoluzione, e prima che essa finisca si spegne del tutto; l'Arabismo si va ridiventando come protagonista dell'Islam, e gli succede in sempre maggior misura l'elemento turco. È il periodo in cui dissoltesi ogni superstiti pervenuta dell'originario Impero arabo-islamico, vengono sempre più in primo piano i suoi eredi: l'Impero ottomano, e gli Stati che esso protegge o a cui si oppone: Ebrahevi e i Persiani.

La storia politica della Persia musulmana non ha finora destato l'interesse della nostra raffinata tradizione, salvo forse per l'età moderna, del migliore allievo di Ruggieri, Scarcia (24). Di storia ottomana, dopo il compianto Elton Ross, si è invece occupato con originalità (come Alessandro Bombaci, tra l'altro con una storia su Venezia e l'Impero turco di Ottomano (25), che fu molto apprezzato dal maestro) un contemporaneo di questi studi, il

Giunti alla fine della nostra rassegna, possiamo domandarci in quali campi e in quali direzioni sia preferibilmente da avviare la futura ricerca. Sui ovvii presupposti di una più completa fusione possibile tra la preparazione filologica, cioè l'accostamento delle fonti, e lo sviluppo di interessi storici, anche storici religiosi se si vuole, ma rivolto non meno alla storia politica, economica e sociale. In quest'ultimo campo in particolare, che solo in recente ha preso anche nel settore islamico un prodigioso sviluppo, il contributo italiano è stato finora quasi assente per quanto riguarda l'Islam medievale (per l'evolvente accostare è il recente studio di Uta Riese di Moglio sul commercio arabo con la Cina) (33), e anche qui come il sottoscritto si sente personalmente meno attratto da questa ricerca, non perciò ne sconsigliamo la legittimità e necessità. Ma tutta la storia, economica o no, del cinque secoli precedenti, chiave e cuore della civiltà islamica del Medioevo, attende ancora una paziente, sistematica trattazione; e qui resta quella dei secoli di decadenza dell'Islam arabo. Te è per l'Impero arabo d'Egitto ed esempio (sul quale segnaliamo l'iniziativa allarmante studi di K. Hellme, sui suoi allori, nei *Mem. di Maria Sarras*) (34), e quella del periodo ottomano. È una verità sgradevole per noi italiani, ma non perciò meno vera, che molti medievalisti italiani e mai accostino sufficientemente alla storia dei nostri rapporti col mondo musulmano, giace nei nostri archivi e biblioteche, e in più d'un caso studiati stranieri, se ne vengono a fare adeguata notizia (l'indicata è rimasta ad esempio la trattazione del Bonifazi sui documenti ottomani dell'Archivio di Venezia). L'altro campo ancora in gran parte da dischiare è quello della storia contemporanea dei vari popoli e stati a popolazione islamica, ove certo è più facile tracciare linee generali anziché elaborare pazientemente l'enorme materiale della cronaca e pubblicista recente, rilevando dei tali materiali grezzi la storia, come ha fatto B. Lewis per la moderna Turchia. Questa et patrem i più ingenti compiti della più giovane leva. Per

colto il ruolo del lavoro (anche se tale dichiarazione è in linea con
certi istinti di verità, e magari di instaurazione a disordine i tempi
sono solleciti) che feci delle origini, dove appare la più umana
fiducia. L'essere nella sua fase ascendente, ha sempre es-
suto se di noi la più profonda attrazione: e noi in quel settore
abbiamo personalmente cercato di contribuire alla scientificità ri-
cerca. Ma più potrà sentire diversamente: spiritus flai ubi vult,
e il suo temperamento stesso trova comunque il modo di man-
tenersi.

Note

- (1) Si veda il nostro studio *Arabi e Bizantini nel Mediterraneo centrale*, in *"Bull. dell'Ist. Storico Italiano per il Medio Evo"*, n. 76, 1964, pp. 31-46 (con anche nel volume *Islam nella storia*, Bari 1964, pp. 28-35).
- (2) F. PARRIA, *Islamologia*, Roma 1961 (tradotta per un 2^o linguaggio. l'ultima edizione è in francese, Paris 1964). La trattazione storica occupa circa una metà dell'opera intera, cioè oltre 300 pagine.
- (3) *Le civiltà dell'Oriente*, III (Scoria), Roma 1955, pp. 184-261; *Storia universale*, LI, 2, Milano 1957, pp. 184-262.
- (4) F. GABRIELI, *Gli Arabi*, Firenze 1960; A. DABOUANI, *I Fondatori*, IMd. 1964.
- (5) M. GUIDI, *Storia e cultura degli Arabi fino alla morte di Maometto*, Firenze 1951.
- (6) L. VIOCCA VAGLIERI, *Il conflitto AB-Mu'awiyā e la successione kharidgita esaminati alla luce di fonti ibatiche*, in *"Annali Istituto Orientale di Napoli"*, no. IV (1962), pp. 1-82. Accanto a questo importante lavoro (di cui l'esi peraltro non si sentisse una lode di accettazione), non da ricordare della stessa autore molti impegnativi articoli: prosopografici, nella 3^a edizione della *Encyclopædia de Islam* p. es. in *Al e Fakhra*,

- (17) S. RUBINACCI, Il califfo Abd al-Malik ibn Marwan e gli Ibaditi, in "Annali Ist. Orientale di Napoli", n.s. V (1958), pp. 79-173.
- (18) F. GARBELLI, L'eresi omayyade Maslamah ibn Abd al-Malik, in "Rendiconti Lincei", ser. 5, V (1953), pp. 32-59; Muhammad ibn Qasim ath-Thaqafi e la penetrazione araba nel Sind, ibid., ser. 5, XX (1955), pp. 345-62, quest'ultimo anche nel citato volume *L'Islam nella storia*, pp. 69-85.
- (19) V. SPERKA, La formazione dell'iconografia del Califfo nell'arte omayyade, in "Annali Ist. di Napoli", n.s. XIV (1961), pp. 527-57.
- (20) S. MUSCATI, Studi storici sul califfato di al-Mahdi, in "Orientalia", n.s. XIV (1955), pp. 501-314; Nuovi studi storici sul califfato di al-Mahdi, ibidem, XV (1946), pp. 156-79; Le califat d'al-Mahdi, in "Studia Orientalia", XVII (1948), pp. 1-38; Studi su Abu Muslim, I-III, in "Rendiconti Lincei", ser. 5, IV (1949), pp. 325-33 e 414-35, V (1950), pp. 93-105; Les massacres des Umayyades dans l'histoire et dans les fragments poetiques, in "Archiv Orientalny", XXIII (1950), pp. 63-155; Il testamento di Abu Muslim, in "Rev. Studi Orientali", XXVII (1952), pp. 38-46.
- (21) S. MUSCATI, Per una storia dell'antico Siria, in "Rev. Studi Orientali", XXX (1955), pp. 231-67.
- (22) L. VECCHIA VAGLIERI, Le vicende del Maronismo in epoca abbasside, in "Rivista Studi Orientali", XXIV (1949), pp. 31-41.
- (23) G. SCARCIA, Lo scambio di lettere tra Harun al-Rashid e Hammam al-Hadadi secondo il "Ta'rib-i Sistan", in "Annali Ist. Orientale di Napoli", n.s. XIV (1961), pp. 623-43.
- (24) L. VECCHIA VAGLIERI, Divagazioni su due rivolti nidi, nel volume A. Francesco Gabrieli, Roma 1954, pp. 315-50; II. TRAT. XI. La corrispondenza tra al-Mansur e Muhammad 'an-Nafs az-zakiyyah, in "Annali Ist. Or. Napoli", XIV (1961), pp. 273-59.

- (16) G. MUSCA, *Carlo Magno ed Harun al-Rasid*, Bari 1952; *L'embraso di Bari* (641-671), Bari 1964 (2 ed. 1977).
- (16) G. LEVI DELLA VITA, La corrispondenza di Berta di Toscana col califfo Muktafi, in "Rivista Storica Italiana", LXVI (1951), pp. 21-32, ora anche nel volume *Aneddoti e saggi arabi e non arabi*, Milano-Napoli 1971, pp. 23-44.
- (17) Il mondo islamico al tempo di Federico II, in *Atti del Congresso Intern. di Studi Federicoiani*, Palermo 1955, pp. 146-67, e nel vol. *Aneddoti e saggi*, pp. 45-67.
- (18) U. RIZZITANO, Nuove fonti arabe per la storia dei musulmani di Sicilia, in "Riv. Studi Orientali", XXXII (1957), pp. 131-53; Gli Arabi in Italia, nel volume *L'Occidente e l'Islam nell'Alto Medioevo* (Atti del III Congresso di Spoleto), Spoleto 1963, pp. 93-114. MOLTI altri lavori dello stesso autore trattano di geografia araba sulla Sicilia e l'Italia, e personaggi "occidentali" di origine araba o scendenze arabe nella cultura islamica dopo l'XI secolo. Analogamente, nel quadro della collezione, che sarà presto completata, un rinascimento della Bibliografia arabosicula, la Storia dei Musulmani di Sicilia, come è noto, fu ridotta a cura di U.A. Nallin, Catania 1955-1956.
- (19) C. SANTELLI CERQUA, Magtahir al-Amiri, Conte 1851. La vita intellettuale a Sicilia alla corte di Magtahir al-Amiri, in "Annali Ist. Orientale di Napoli", XXV (1910), pp. 347-422.
- (20) *Storie arabe della Crociata*, Torino 1857, 2 ed. 1912.
- (21) in "Rivista Storica Italiana", LXIV (1962), pp. 5-12, poi nel volume *Dal mondo dell'Islam*, Napoli 1964, pp. 127-53.
- (22) in *Studi medievali* in onore di A. De Stefano, Palermo 1958, pp. 215-26, e poi nel volume *Saggi orientali*, Collana Santa Roma 1961, pp. 97-106.

- (32) Nel cit. volume *L'Islam nella storia*, pp. 101-216 (già citata, in inglese, in *Historians of the Middle East*, Oxford 1962, pp. 90-107).
- (33) editore e traduttore La Taltro di un testo storico (saranno grazie del lungo titolo in peritismo) su Una società islamica contro i Kadiri di Longman nell'anno 1882, Roma 1985.
- (34) in "Rivista Storica Italiana", LXXVI (1964), pp. 151-211.
- (35) in "Rivista Studi Orientali", XXI (1967), pp. 51-76.
- (36) vedi elencati nel volume compilato a cura della Commissione italiana per il Unesco - Contributo Italiano alla conoscenza dell'Oriente, Firenze 1955, pp. 111-12.
- (37) Torino 1931, su cui si veda il nuovo articolo in *L'Islam nella storia*, pp. 135-58.
- (38) Torino 1968, tradotto in inglese e italiano.
- (39) P. H. H. Storia degli Arabi, Firenze 1966, pp. 863-901.
- (40) P. MINGAULT, L'Egitto moderno, Firenze 1968, pp. 863-901.
- (41) R. RAINERO, Storia dell'Algeria, Firenze 1960.
- (42) R. ROSE DI MUGLIO, Il commercio arabo con la Cina dalla Cabiliyya al X secolo in "Annali Ist. Orientale di Napoli", XIV (1961), pp. 223-52.
- (43) M. NALLINO, L'Egitto dalla morte di Qutb Bey All'avvento di Qansub al-Ghuri (1385-1517) nei diari di Maria Samud, in "Rend. Lincei", ser. I, XX (1965), pp. 414-63.

Landed property and economic change in Tripolitania

By Dr. R. Mc Lachlan

School of Oriental and African Studies, London University

One of the many problems facing the planners who are formulating the second Libyan national development plan is the improvement of agricultural productivity. It has been suggested by Libyan economists that a major obstacle to development of the agricultural sector is the confused state of land holding. (1) This paper will discuss the present situation regarding land holding and the nature of fragmentation against the background of economic change.

There are three zones of land holding in Tripolitania, corresponding roughly with the three natural regions into which the country is divided according to the incidence of rainfall. The coastal gardens, a series of discontinuous oases running close to the coast, constitute the first and most important region. Here rainfall is greater than 250 millimetres in an average year and water is available for irrigation from a shallow water table. South of the coast, the littoral slope lands run between the foothills of the interior and the coastal oases, or, in places, to the sea itself. Finally, there is the open waste of the arid interior.

1 — Ahmad M. A. and Ahmad, A. S., 'Analysis of available agricultural land in relation to agricultural production and planning', Technical Memorandum, Draft, Five Year Plan 1962.

In the oasis garden area, much of the land is held under private title at the present day. In the littoral steppe zone private ownership by both individuals and tribal groups is the general rule. Lands of the open steppe are held by the Government of Libya, but over large areas occupation by tribal groups has resulted in the practice of communal land holding. Much of the following discussion will refer to the situation concerning land holding in the first two regions.

In the centuries before the Arab conquest of Libya, that is before the ninth century A.D., economic activity in Tripolitania had been concentrated in the fertile oases and hill areas of the north. All available evidence indicates that the resources of these northern areas supported a prosperous and sedentary society engaged in cereal cultivation and orcharding. (2) The Arab conquerors of the ninth and eleventh centuries laid waste the agricultural areas and assimilated surviving human groups to their nomadic society. (3) Thus at the close of the twelfth century, the oases and steppe were united to form a continuous grazing land held by nomadic herding groups.

Since the migration cycle of the nomadic groups is based upon the availability of pastures in different climatic regions at different times of year, the Arabs introduced a simple recognition of different natural regions into Tripolitania. The oases and hill areas of the north were used as refuges during the long and dry summer and as areas of supplementary cropping for grains and tree crops. The early autumn and spring seasons of the open steppe each gave rise to further regional specialization. Accordingly, most tribal groups occupied lands lying along a north-south axis beginning in the oases of the north, passing through the littoral steppe, and ending in the open steppe of the south. The broad division of land use zones which emerged from the Arab

2 — Drew, A., "Orcharding in Tripolitania", *Africa South of the Sahara*, Edited by E. D. Shaw and M. M. Wilson, 1961.

3 — James Fortnum, II, "The Arabs of Cyrenaica", Oxford at the Clarendon Press, 1849.

occupants is reproduced in the present day pattern of land ownership.

During the era which began with the Arab conquests and closed in 1451 with the collapse of effective Turkish rule in Libya, communal ownership of land was associated with annual division of tribal territories among the members of the tribal group. Every member was allotted a number of parcels of land, each located on one of the various types of land within the tribal boundaries. Each individual's parcels were intended to compensate for the differing land use qualities, i.e. grazing land, arable land, woodland, or palmery. Annual re-distribution of lands was necessary to take into account variations in the size of the nomadic group and in the pasture needs of each group over time. All male married members of the tribal group had an inalienable claim to a share of the tribal domains as a personal right and not through inheritance of a father's share. Thus any increase or decrease in the number of families was reflected in the annual division of lands. Similarly, their numbers varied by each family tended to fluctuate widely with variations in herding skill and luck and the uneven incidence of drought conditions throughout the tribal lands. Hence the pasture needs of the individual herding group tended to vary from year to year, often to the degree where the loss of livestock eliminated sections of a tribe from the migration cycle.

The nomadic system and the land holding pattern associated with it was losing much of its vitality by the close of the nineteenth century. Bedouin groups and tribes under the Turkish administration had encouraged permanent settlement in the more fertile areas and all lands of the north. Many tribal fractions and even whole tribes had built semi-permanent dwellings in the oases and had undertaken simple land reclamation works. There was a natural tendency for the owners of the constructions to retain the land on which they were built from one year to another. By the close of the nineteenth century, annual re-distribution of oasis lands in the north was no longer practiced, although herding activity in the steppes continued.

The trend towards arable farming was encouraged by the Turkish administration. Communal land holding had been officially discouraged since the early years of the sixteenth century, when the Turks had first imposed *Libya* Taxation. In the subject territories had been scheduled on the basis of the individual rather than the tribe, and the existence of unknown numbers of tribesmen working over vast areas made administration difficult and often impossible. Early in the eighteenth century it was asserted that there was no legal necessity for a man or woman in a system of joint ownership. But deviations of this kind proved fatal to the Ottoman capital system to have had no immediate influence on the Tripolitanian land organisation.

In 1833 the formulation of the Ottoman Land Code explicitly forbade joint ownership by tribes or similar groups. These laws could be enforced only in the northern areas of Libya, since the country was on the margin of Turkish military control. It is apparent, however, that the accumulative force of legislation and the action of local officials in Tripolitania had undermined the strictly communal system by the end of the nineteenth century. In the larger bases of the north, particularly in the environs of Tripoli, many individuals had registered their lands with the Turks. In outlying areas such as Misurata, this land was less marked, but even here some five per cent of owners had registered title to their lands.

The trend towards individual ownership of land in the northern areas culminated in the land divisions of Tripolitania mainly in the years 1851 to 1854. Transfer from communal to individual ownership was accomplished by the traditional method of dividing the land by its land use quality and distributing a parcel of each kind of land to each family. This is reflected at the present time in the dispersion of farm holdings over wide areas within the tribal lands and the existence of a large number of non-contiguous fragments of land making up one holding. In Zawiya Oasis, one farmer holds seventeen parcels of land. (5) In Tripolitania as a

4 — *Enclosure No. 1* Report to the Government of Libya by Major-General and Colonel Percy Selkirk in the name of the Pasha, Report No. 208, June 1894.

whole, the average holding is made up of nine parcels, with a range from a minimum holding of two parcels to a maximum holding of 44 parcels. (5) In Tripolitania, fragmentation of land was an initial state of existence for farm holdings resulting from the division of land during the evolution of private property from the communal pattern of ownership. At the present time, 64 per cent of the total area of private agricultural holding is owned by the farmer who works it, 33 per cent is held under tribal ownership and three per cent is held under rental. (6)

An interesting effect of this late transition from communal to individual ownership is that land holding retains a relatively egalitarian aspect even today. Throughout Libya farm size varies as follows: —

Area of farm holdings in Libya — by size groups (7)

Hektares	Number	Per cent
Less than one hectare	11,384	8.5
one to ten	58,583	33.6
ten to twenty	37,067	19.4
twenty to fifty	23,282	11.0
more than fifty	14,151	7.5
TOTAL	134,367	100.0

This feature is even more remarkable if oasis land only is taken into account and land in the dry-land strips eliminated from the totals. In Zawiya Qarya, in the west of Tripolitania, the following picture emerges: —

Area of irrigated farm holdings in Zawiya — by size groups (8)

5 — Averil and Averil, *op. cit.*

6 — Agricultural Census of Libya, Tripoli 1912.

7 — *Ibid.*

8 — Traverser, *op. cit.*

Hectares	Number	Pec cent
Less than one	48	62
1.1 to 2	18	23
2.1 to 33	2	4
3.1 to 4	3	4
4.1 to 5	9	—
5.1 to 13	2	3
10.1 to 15	1	1
TOTAL	79	100

All the farmers interviewed at Zawiya owned oasis land and only three men varied substantially from the average level of ownership. All farmers were residents upon their lands, and it is worthy of note that absentee land-landism was very uncommon in Tripolitania. The use of *Kaghansa* (5) contracts has become more widespread since that time implying an increase in absentee-landism, though of the least pernicious kind.

The reasons for Tripolitania's stepped situation regarding distribution of land amongst rural peoples, particularly vis-a-vis other Arab states of the Maghreb and the Middle East, lie in the peculiar conditions and timing of the sedentarization process. Sedentarization took place at the end of a long period of social and economic evolution and was associated with a highly distinctive geographical milieu, that is the fertile oases and hill lands of the north. The division of these lands into individual holdings was achieved by general consent amongst the communal groups and according to traditional practice. It must be emphasized also that this allotment of lands amongst the tribal members took place only half a century ago, and the operation of fragmentation by inheritance, which will be examined in greater detail later, has not been the sole decisive factor.

5 — *Yerkansa* : A contract under which a farmer may develop mainly arched areas of land owned by another person. The land is normally divided into two equal parts and developed with the farmer taking one half and the owner the other.

Political factors have been important in hampering the rise of a strong landlord class in Libya. Within the tribal organization, the shaykhs of Tripolitania have rarely assumed unified control in anything but name over the group as a whole. Traditionally, the shaykhs were appointed by the tribal members or had to gain acceptance by the majority of members as a basis for their position as head of the tribe. In theory, and often in practice, the shaykh's authority was responsible only for dealings between one group and another group of the same status. Thus the tribal shaykh represented his tribe to shaykhs of other tribes in times of warfare or at social gatherings. The settled political conditions which prevailed in the nineteenth century along the coastal regional emirates, and thereby removed the necessity for the rise of strong and unified tribes led by shaykhs.

The limited nature of Turkish military control in Tripolitania during the nineteenth century was reflected in a flourishing frontier on the geographical margins of the northern areas. Such disturbances were caused by the rise of strong tribal groups and confederations of tribes in the outlying areas. In order to restrain the power of the tribes in these areas, the Turks were at great pains to limit shaykh authority by intervention, bribery and refusal to deal with communal groupings. Thus at the time of the sedentarization in the northern oases and hill lands, the sedentarization in the northern oases and hill lands, the Turkish administration in Tripolitania was unwilling to accept registrations of tribal land in the name of the shaykh. Following the edicts of 1888, each member of the tribe was personally responsible for registering his own land, and for political reasons the edicts appear to have been enforced strictly.

Following the Italian occupation of Libya in 1911, the shaykh assumed a more important role in regional affairs than had been the case under the Turks. In most outlying districts, the colonial administration sought to rule through the shaykhs. The Italians looked on the shaykhs as being vested with wide political power in the life and with ownership rights to tribal land. This decision was not reflected in any material change in the position of ownership for several reasons. In the first place, there were no unified

regulations of land during this early period of occupation. More important perhaps, Italian policy was soon changed, since the shukhs led the Tripolitanian revolt against the Italians during the First World War, when Italian forces were driven back into one or two fortified enclaves along the northern coast. After the pacification of Tripolitania in the early 1930's, the Italian administration undertook a policy aimed at removal of shukhi influence from all sectors of tribal government. The lands of dissident shukhs were converted to State domain or sold. By the early 1930's the shukhs had ceased to be of importance as a land owning group.

The present-day pattern of land ownership in Tripolitania is characterized by a relatively even distribution of land amongst rural peoples for the reasons outlined above. But it has been indicated that the allotment of land amongst tribal members was conducted on traditional processes whereby farm holdings were dispersed over wide areas and often made up of a large number of non-contiguous fragments. Obviously, the division of land according to the processes evolved under a herding economy is going to offer many problems to a society whose major economic interest after land division and sedentarization is arable farming and orcharding. Before discussing these crucial matters it will be necessary to examine the nature of the fragmentation of holdings and explain some aspects of terminology.

The following major points arise with respect to fragmentation in Tripolitania. The descriptive word "fragmentation" is used without any generic connotation. The process of parcellement is the division of land holdings into small holdings for inheritance purposes. The process of morcelllement will be regarded as the subdivision of each of several parcels constituting a single holding into smaller holdings for inheritance purposes. An example to illustrate the difference between the two processes should clarify the position. If, for example, a farmer had six plots of land making up his agricultural holding from the time of the division of the tribal lands, which he intended to leave to his six sons at the death or at their marriage, he would be faced with two alternatives. Either he would give each of his sons one plot of land — which would be parcellement — or, he would divide each of his

is that of land into six sections and give each son one section, each of the original plots of land -- this would be mortcelllement.

The operation of Islamic land law in Tripolitania gives rise to the parcellement process. Mortcelllement arises from traditional practice originating in the nomadic herding economy. It has been shown that the nomadic groups use annual redistribution of land to accommodate changes in population numbers and flock numbers. In nomadic society, land was allotted to tribal members on its land use quality so that each member had use of various seasonal grazing lands, primary, arable dry-land and orchard. Land allotments were further fragmented for climatic reasons. The incidence of rainfall in Tripolitania is such that even areas in close proximity receive significantly different amounts of rain in any year. Thus, as an insurance against failure of crops or pasture in one area, nomadic groups would have rights to similar land use areas in different localities. The tribal groups at the time of sedentarisation took these same practices to the northern oases and hill lands, where, combined with the emergence of individual land ownership and sedentary farming, they have produced the pattern of mortcelllement which is apparent today.

Here it will be relevant to discuss those elements in Islamic land law which pertain to Tripolitania as they operate in conjunction with local custom. It is usual that the death of a land owner is followed by the break up of his estates. In Islamic law as operated at the present time, a personal estate, no matter how small, may be left to any number of beneficiaries. Generally the widow has first claim upon some 25 per cent of the total estate usually taken in goods not land, while the residue is normally divided in the ratio of two to one between sons and daughters. In the case of a landowner leaving neither wife nor progeny, his estate is divided among all relatives having claim upon it. It would be unusual in Tripolitania for there to be no beneficiary of an estate, since primogeniture is recognised neither by law nor custom. Families are large, averaging from four to six children per family, hence it is unusual for one child to inherit the whole

of his father's property by virtue of being an only child. (10)

The division of a farm holding need not necessarily take place at the death of a land owner. Following nomadic tradition, sons may take their share of land when they marry and move out of the family dwelling. Two important effects result from the original family and common ownership of his share of his father's land, as the opportunity for integrated family farming operations is reduced and the new farm is separated physically from the family lands. In the second place, if there are three sons in the family when the marriage of the eldest takes place, then the division is done on the basis of one third of the lands each. But it has happened that after the first or even second son has married, the father's second wife has produced a younger generation who have equal claims upon the estate. Thus, the remaining estate is subject to internal division amongst the rest of the family.

In many instances all, if the cases of Tripoharia, land inherited by daughter is farmed as an integral part of the family estate until she is married and bears a son. After the birth of a son, the land may become his property. Thus if a female marries outside the tribe, the land will then constitute a parcel belonging to a man whose main lands lie in a different area, perhaps many miles away. Where this system operates, it adds to the greater dispersion of land property.

The continuing practice of mortgagemen in Tripoharia may be accounted for by more practical reasons than social egalitarianism and custom. To understand the factors which underlie the persistence of the mortgagemen practice in the modern land owning pattern, it is necessary to take notice of the environmental characteristics of the Tripoharian oasis and hill lands and the kind of agriculture which prevailed there in the period following sedentarization of the tribes, that is, pre-1911.

The climate of the northern oasis and hill lands of Tripoharia is characteristically Mediterranean in type. The area has a mild winter when the greater part of the rainfall is experienced. Spring

10 — Census of 1954, Department of Census and Statistics, Tripoli.

a warmer and drier, and is followed by an intensely hot and dry summer. The arid features of the climate are mitigated to some extent by the availability of sub-surface water supplies at shallow depth which are present throughout the year. In this environment, small areas of land under irrigation can be made to produce a large variety of crops and fruits. The nomadic herding groups take advantage of this situation as they gained interest in sedentary cultivation.

Misfortunalia farming in the northern Tibesti of Tripolitania has been a natural response of a subsistence-level community to the possibilities offered by the land resources.

Again it is here again that the problem of fragmentation enters firmly into the argument, since misfortunalia allows the division of different types of land so that the broadly-based activity of the self-sufficient misfortunalia unit may profit from the special value of each land use area. Grazing land is utilized for meat and dairy production, dry land for cereals, irrigated land for vegetables and orchard crops and oasis dryland for palms and olives. Misfortunalia farming organization creates pressure upon land in a unique way that is highly localized and discriminatory between varying land types. Land differences in land are appreciable over short distances even in the areas where transition from sandy dunes to heavy sand to exposed hard pan formations brings about declining soil fertility. The situation of wells, the courses of wadis and roads, and the incidence of palms all tend to accentuate these distinctions.

It is most important to bear in mind that the opportunities for employment outside agriculture were limited in the period before 1948. Seasonal and contract work for Arabs with the Italian administration rarely involved change of place or residence or long periods of residence outside the tribal area. Thus, in this period very few of the sedentary peoples of the northern oases and hill lands gave up their farms and moved to the towns.

The area of fertile, well-watered land in Libya is extremely limited, with only 1.63 per cent of the total land utilized for arable and orchard cultivation. (11) In these circumstances, rural peoples

11 - *Annuaire de l'agriculture*, 1954, p. 41.

held to their lands. As long as the farmer had no scope for employment outside tribal society, and as long as he had to be content with his low standard of living, hard work and low returns were accepted.

It has been shown that there were sound environmental reasons for the continuance of the intercommunal process after the sedentarisation of nomadic groups. Where subsistence farming is practised in Tripolitania, it may be expected that fragmentation of landed property will continue on the pattern outlined. There is a tendency amongst progressive administrators to treat the fragmentation problem as one arising from rural conservatism to be cured by legislation. Certainly, experience at Wadi Qura Settlement has shown that it is far from simple to introduce a system of land holding which varies radically from traditional practices. The Arab farmer has exhibited an attachment to land in his ownership and has often preferred the burden of cultivating a number of dismembered fragments of private land then farm a compact area on a tenancy. Even where the advantages of farming single blocks can be demonstrated, as at Wadi Qura, the Arab cultivator has proved slow to adapt to the new situation. Initiative by the administration in legislation and rural education could do much to mitigate the problems arising from fragmentation. But the underlying causes of fragmentation will not be removed until the self-sufficient farm unit has ceased to exist for economic reasons.

Since 1945, and particularly since 1951, there has been an increasing rate of social and economic change in Tripolitania, and increasing commercial and social contact with areas outside Libya. Closely allied with this impact of new ideas, the pattern of rural life has changed greatly in recent years. Exploitation of oil resources has opened a large number of employment opportunities in the towns since 1951 and the urban market for agricultural goods has grown correspondingly greater.

15 — HALLAM, E.S. 'The Wadi Qura Project. — Its costs and economic aspects', in 'FOUR Studies in Libya', edited WILLIAMS and CHALICE. *Research Papers Series No. 4* (1952), University of Toronto.

The loss of rural population to the towns has been marked since 1931. As this trend accelerates under planned economic development, it may be expected from experience in comparable areas that pressure on land resources should decline.(13) (14)

The release of pressure upon land in terms of persons per square kilometre of agricultural land does not in itself imply a lessening in the strength of subsistence minifundia organisation. The major force being exerted in Tripolitania upon the self-sufficient unit is urban demand for agricultural products. The rural peasant community is not adjusted to appreciate the scope and variety of demand from the towns, but the urban merchants are in a position to do so, and many of them are sufficiently acquainted with the rural scene to influence production. Commercial production undertaken by the peasant removes the economic raison d'être for the self-sufficient basis of the Tripolitanian minifundia unit. The spread of commercial farming and the drift to the towns has permitted the more money-minded and intelligent to consolidate farm holdings, a move which has been followed by many farmers in areas adjacent to towns and main lines of communication. Under these conditions, the morcellement process becomes less appreciable and, after some time it is apparent that legal action could introduce land reform to support the trend. In the immediate environs of medium and large towns, however, use of small plots for house construction has had an important reverse effect.(15)

The major effects of morcellement of farm holdings into a number of non-contiguous plots in terms of physical effort, so that even farm operation is multiplied by the number of plots held by the farmer. From the figures in the following table, it is clear that duplication is the minimum multiplication of farm operations affecting most farms.

13 — BARRY, R.W. 'The farmer and society in Malta', *MAJAL*, Durham 1958.

14 — KENNEDY, D. 'Land reform and development in the Middle East', 1967.

15 — ALAN, J.L. Remarks on the utilization of field areas on the preparedness and capability of field owners for the kind and size of farms and on the land use patterns which emerge. Paper presented to Liberty University—Dallas University Seminar, Faculty of Arts, Dargham, February, 1968.

Number of parcels in oases gardens in Zawiya, Horns & Sahel (16-17)

Number of parcels	Percent of farms		Average size of parcels in hectares	
	Horns & Sahel	Zawiya Oasis	Horns & Sahel	Zawiya Oasis
1	50	5	2.11	2.15
2	10	21	2.11	1.68
3	30	20	2.28	1.54
4	20	18	3.21	1.28
5	10	13	1.00	1.10
6 or more	10	21	0.23	1.28

Only twenty per cent of the farmers at Horns and Sahel and five per cent of the farmers interviewed at Zawiya worked only one oasis plot. The figures tend to back the fact that in Horns and Sahel the number of parcels ranged from one to eight and in Zawiya from one to thirteen. The task of moving labour, implements and draught animals from plot to plot is formidable, especially when farming operations have to be carried through within a short space of time. During the former years of famine the sowing of cereals and other dry-land and semi-irrigated crops must be accomplished rapidly to make optimum use of light rainfalls. At these times, the multiplication of operations arising from fragmented holdings is an important obstacle to efficient practice.

In the oasis gardens, the distance between plots of land owned by one particular farmer may not be great. In the Oases of Zawiya, the distance between plots varies from contiguity to half a kilometre.⁽¹⁵⁾ Experience in other areas of Tripolitania is rather different. Dispersion of plots is greater in Misratah, for example, where one farmer in the District of Horns also owns land in a

15 — *Foodways*, op. cit. (Chapter 21, 29 farms).

17 — McCausland, (Chapter 21, 54 farms) quoted in a geographical study of the coastal zone between Derna and Misratah, Tripolitania, A geography of economic growth, Durham University, 1961.

18 — *Foodways*, op. cit.

neighbouring district with some five kilometers separating the two areas under cultivation. Considerable distances between plots of land constituting one holding obviously aggravate the problems outlined previously.

The recent spread of commercial agriculture in Tripolitania has been associated with the use of modern systems of water lifting and reclamation for semi-irrigated winter and irrigated summer cropping. The dispersion of landed holdings has proved the greatest obstacle to the use of these modern systems, and in some areas of intense fragmentation has precluded their use. In areas of fragmented holdings, irrigation is wasteful and expensive, since the well owned by a farmer is rarely situated centrally to his parcels of land. In practice, most commercial farmers faced with this problem use that well on their lands which is best suited to continuous extraction of water by means of motor pumps. From the well-head, water must be led to each of the irrigable plots of land by means of roughly constructed channels which often pass over pathways, cross sandy palmieries and skirt other farmers' fields. Quite apart from the cost of constructing and maintaining water channels, the system is physically inefficient. Losses of water through evaporation, seepage and theft along the courses of the channels lead to an average water loss of about 50 per cent of the water leaving the well-head. Thus, the arguments for consolidation of holdings are gaining general currency amongst commercial farmers, most of whom face these problems.

A distinct field pattern has evolved in association with the practice of morcellement in Tripolitania. The attempt to share parcels of land on a basis of equal surface area and quality has led to a haphazard field shape emerging in the rural landscape. The present pattern of field boundaries in the Sabel el-Ahamed illustrates the range of shapes which have resulted from the morcellement process (see Figure 1).

One problem arising from the pattern of field boundaries is that access has to be provided to each separate plot of land. In many cases of northern Tripolitania, a large proportion of valuable land is given over to paths and tracks. Further problems are the

extended lines of irrigation channels which become necessary to transfer water from well-head to non-adjacent fields along all intervening boundary walls. All in all, narrow and irregular strips of land tend to aggravate the problems already noted concerning fragmentation and the maintenance of old techniques.

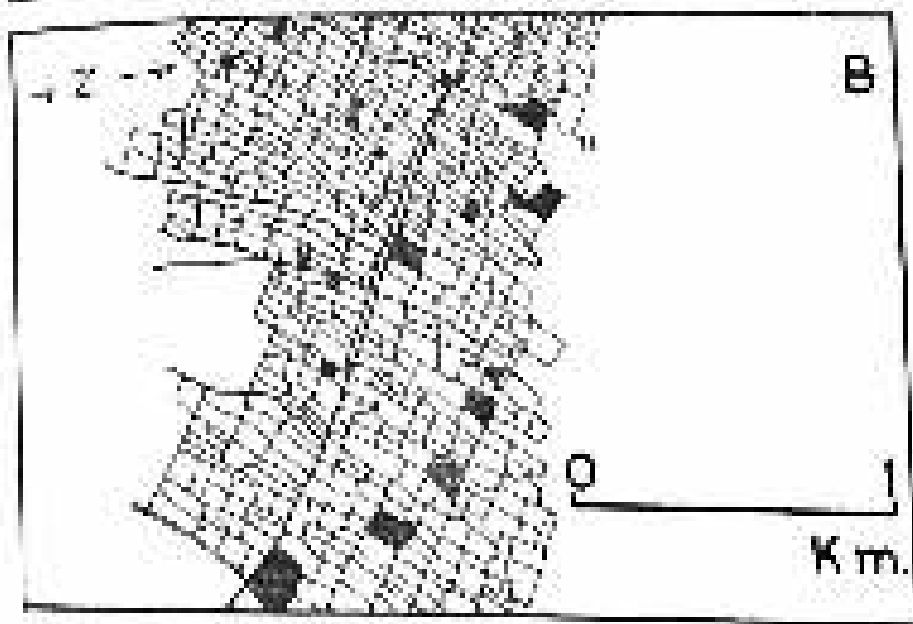
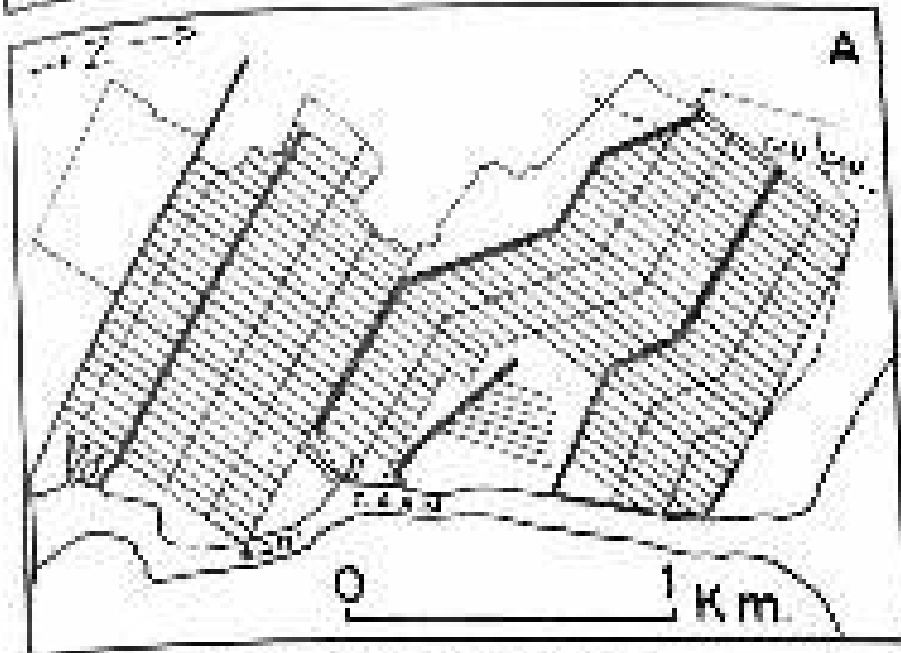
It will be apparent from this discussion that the agricultural landscape is undergoing a gradual change in terms of field size, field shape and the configuration of farm holdings. In the course of the last fifty years, land holding has moved from the communal to the individual owner. In this process, steppe marts and the character of the physical environment served to produce a self-sufficient farming economy based on a highly developed sense of differences in land quality, expressed through the practice of marcelllement.

Knowledge of modern agricultural methods has spread amongst the Arab farmers since 1951. Field extension work by government and other organisations such as the Food and Agricultural Organisation has augmented the impact of commercial urban pressure on the agrarian economy. Furthermore, opportunities for employment outside the agricultural sector have become more numerous since the beginning of intensive development of oil resources. The spread of commercial agriculture and increasing opportunities for urban employment have had an impact upon the nature of land holdings in Tripolitania, and it seems likely that the worst features of marcelllement will disappear in the future. Nonetheless, the dispersion of land holdings and the established effects of the marcelllement practice represent an obstacle against which the introduction of modern techniques of production will have to bear heavily.

GROUND PLAN

A - WADI CAAM PROJECT

B - OASIS GARDENS



- Waste land
- Wadi
- Field boundary
- Road
- Irrigation canal

NEWS OF ACADEMIC ACTIVITY

CONFERENCE :

'Libya in History'

From 18th March 1968, for eight days until 26th March, the first conference of the Faculty of Arts of this University was held in Benghazi: its theme was 'Libya in History'.

As the centre of historical studies and research in the country, the Faculty was the natural choice for such a conference. Libya has been the witness of so many eras of civilization, which enjoyed a brilliant history and left behind a large cultural and architectural heritage, that the subject for the Faculty's first conference was self-evident. Occupying a unique geographical position linking East and West, with a long Mediterranean coastline, and inserting into the African interior, Libya has played a significant and leading role in the history of the area.

It was consequently expected with confidence that a conference of the leading scholars specialising in Libyan studies, contributing the fruits of their most recent research, could not fail to throw new light on the country's long historical record. The results which will be published in two volumes in the near future have in every way justified the hopes of the University and the Faculty.

Programme of the Conference

SATURDAY, 10th MARCH, 1968

Inauguration

HR Mawla Abdalla Darou: Minister of Education
HR Abd-al Mawla Tugman : Rector, the University of Libya
Dr. Mukhtar Mawla Bani: Dean of the Faculty

First Session

1. C.B.M. McBurney, University of Cambridge :

Libya's Place in Pre-History

2. Written Contributions :

A. Fabrizio Mori, Rome :

Prehistoric Rock-Paintings in Fezzan

B. Tahar Hqit, Department of Antiquities, Tripoli

Libyan Cultural Relationships in Pre-History

Second Session

1. P.F. Gadhafi, University of Libya :

Problems of pre-Herodotus sources in Libyan History

2. M.K. Ezama, Ministry of Education, Libya :

Mutual cultural exchange between Libya, Egypt and Greece

SUNDAY, 11th MARCH, 1968

Third Session

1. E. Chamoux, Les Sables, Paris:

The Epigraph of Euphemos

2. L. Noddy, University of Libya :

Afterdinner III

Written Contribution :

1. Boardman, The Ashmolean Museum, University of Oxford :
Reflections on the Greek Pottery Trade with Teos.

Fourth Session :

1. J.B. Ward-Perkins, The British School at Rome :
Pre-Roman Elements in the Architecture of Roman Tripolitania
2. M. Abul-Abim, University of Ain-Shams, Cairo :
Libyans and Greeks in Ptolemaic Egypt
3. A. Sadawya, Department of Antiquities, Cyrenaica :
The Greek Settlement in Cyrenaica, with notes on Pottery
discovered there

MONDAY, 16th MARCH, 1968

Fifth Session :

1. Lady Owen Brogan, University of Cambridge :
First and Second Century Settlement in the Tripolitanian
Pre-Desert.
2. P. Romanelli, Accademia Nazionale dei Lincei, Rome :
Libya in the setting of North-African Archaeology.
3. M.P. Squarciapino, Department of Antiquities, Rome :
Reflections on the Sculptures of Lepcis Magna.

Written Contributions :

- A. R. Goodchild, University of London :
Roman Roads of Libya and their Milestones
- B. Ad. Viss, University of Perugia :
(i) The Knapia of Tripolitania
(ii) The Mausoleum of Sabratha.

Sixth Session :

1. J. Reynolds, University of Cambridge :
Inscriptions of Cyrenaica : Progress Report
2. S. Stronch, University of Rome :
Outline of the History of Cyrenaican Architecture
in the Greek Era
Written Contributions :
A.R. Qadisi, Department of Antiquities,
Tripolitania :
Libya in Seventh Times
D.K. Abu-Hamad, Department of Antiquities,
Tripolitania :
The Phoenicians in Libya

TUESDAY, 19th MARCH, 1968

Seventh Session :

1. L. Thompson, University of Ibadan, Nigeria
Roman and Native in the Tripolitanian Cities in
the Early Empire
2. L.P. Kirwan, British Institute of History &
Archaeology in East Africa :
Roman Expeditions to the Upper Nile and the
Chad-Barbar Region
3. C.M. Daniels, University of Newcastle upon Tyne :
The Garamantes of Fezzan
Written Contributions :
A. R. Giarisai, Paleontological Institute, Florence
Fezzanese Rock Paintings
H. M.S. Ayoub, Department of Antiquities, Fezzan
Jerna at its prime : III-450 A.D.
C.N.S. Ayoub :
The Campaign of Cornelius Balbus

Fourth Session :

1. A.H.M. Jones, University of Cambridge :
Frontier Defence in Byzantine Libya
2. C.J. Smith, University of Newcastle upon Tyne :
The Centaurs of Tripolitania and their Antecedents

WEDNESDAY, 20th MARCH, 1963

Fifth Session :

1. M. Ziadah, American University of Beirut :
The Libya of Al Hassan al-Wazzani and Marmar
2. A. Hamdan, American University in Cairo :
Libya in Fortified Times
3. P. Valla, Royal University of Malta :
The Relations between the Order of Malta and Tripoli

Written Contribution :

- Musta Sadruvya, Department of Antiquities, Benghazi :
Condition of Libya as described by Haj Abu Salim al-Akshi.

Sixth Session :

1. M. Elton, Minister of Education :
Some Aspects of Libyan History in the 19th Century
2. O. Ismail, University of Libya :
Conditions that led Ali al-Jaziri to occupy Tripoli.

THURSDAY, 21st MARCH, 1963

Seventh Session :

- Mr Duncan Cumming, London :

The Somalys in the First World War

Written Contributions :

G. Z. Qasbi, Ain Shams University, Cairo :

The Role of Egypt in the Libyan-Italian War.

Final Session :

Saturday and Friday, 22nd and 23rd March, 1968

Archaeological Tour to the Green Mountain

JOINT LIEFAX UNIVERSITY —

LONDON UNIVERSITY RESEARCH PROJECT

The Geography Department in the Faculty of Arts, University of Libya, and the School of Oriental and African Studies in the University of London agreed to carry out a joint research project to study development in Libya from the points of view of geography, economics, sociology and anthropology, particularly the development following the discovery of oil.

Implementation of the project is to follow the guide lines shown below, and work on the land use survey has already begun.

1. The survey covers Eastern, Western and Southern provinces of Libya (Cyrenaica, Tripolitania and the Fezzan). In particular, the survey includes samples of areas under the following heads:

- (i) ex EMTE and EMPS settlements ;
- (ii) new agricultural states established by the National Agricultural Settlement Authority ;
- (iii) small-scale private units ;
- (iv) private large-scale units.

2. Farm Questionnaires are undertaken in association with the land-use survey and aimed at providing information relevant to:

- II. Farm budgetary

- 2) domestic budgetary
- 3) tenurial conditions
- 4) land ownership conditions
- 5) social and economic problems of farmers in the categories outlined above

3. **Other Field Research.** This includes study of relevant factors of economic and social change in sectors other than the agricultural sector. In particular examination is made of demographic, agricultural labour, migration and other topics which are deemed necessary for the purpose of the survey.

4. **Organisation of the Survey.**

Areas covered by the field work are:

1. Jebel Akhdar and areas immediately adjacent.
2. Beqaa Plain and Bekaa zone
3. Litani-Hama zone.
4. Jebel Nefusa (Melk to 'Antizan frontier).
5. Jafara East (Tripoli — Zuhra)
6. Jafara West (Tripoli — Ghaz Khilaf)
7. Coast of Tyre.

Groups are constituted by representatives from:

- Staff of the University of Libya
- Students of the University of Libya
- Staff of the University of London
- Post-Graduate students of the University of London
- Research Associates of the University of London

The survey is receiving financial and material support from:

- University of Libya

- School of Oriental and African Studies, University of London
- British Petroleum Company.

The work is in co-operation with:—

- Libyan National Agricultural Settlement Authority
- Ministry of Agriculture, Libya
- Food and Agricultural Organisation of the United Nations.

The Libyan side of the project is directed by Dr. Mukhtar M. Bani and the London side by Dr. Keith McLaughlin and Professor Edith Penrose of the School of Oriental and African Studies. Studies is Supervisor of the project.

Field work began in February 1967. The second stage of the field work was carried out in summer 1967 and the third in February, 1968. The final stage of the field work will be in the summer of 1968. The data collected will be processed by computer in London University, and the final report of the project will be produced at the end of 1968.

A BRIEF NOTE ON THE JOINT RESEARCH-PROJECT:

"WASTAGE IN EDUCATION"

The Ministry of Education and the University of Libya have always felt the need for a careful study of the educational situation in Libya. There are nearly 300,000 students in Libyan primary and secondary schools and institutions of higher education, and large amounts of money are being increasingly invested in education as a vehicle for social and economic development. The immediate aim of this paper is to give a brief survey of the development of education in Libya since independence and to give an outline of a research project being undertaken jointly by the Ministry of Education and the Faculty of Arts.

When Libya achieved sovereignty in December, 1951, her economic position was not one to inspire confidence in her future. Within the field of economic development Libya was, as B. Higgins wrote, (1) "a special case from almost any point of view". A quotation from A. Lockwood's "Libya — building a desert Economy", sums up quite succinctly the educational situation in Libya prior to independence: "Not only had formal education been practically non-existent but any training at all had been unusual, the Italians having brought even their domestic servants from Sicily." (2)

In view of the first UNESCO mission to Libya, "Libya (had) only one major untapped resource: the latent skills of its people". (3) In this context the role of education and training became very clear. Education was seen as, "the core of both economic and social development in Libya. It is in the increase in efficiency through education and training that one must look for much of the initial increase in Libyan productivity."

The Libyan Government too, was well aware of the importance of education as the first speech from the throne to the first session of the new Parliament had shown. In his speech from the throne, His Majesty King Idris I stated, "My Government fully realizes that education is the only factor apt to make the nation an effective force keeping abreast with the procession of dignified life and modern civilization; it is the beacon which guides the people and enables them to realize their ideals and grasp the effective means of progress towards perfection."

The newly-established Libyan state pledged itself fully to provide free, universal, and compulsory education for all the children of Libya, and articles 28, 29 and 30 of the Constitution called for the expansion of educational facilities.

(1) B. Higgins, "Stereotypes in Libya" Paper — Cambridge 21-1-1954, Nov. 1954.

(2) A. Lockwood, "Libya — building a desert Economy".

(3) Report of the UNESCO Mission to Libya — 1956.

Great strides have been taken culminating in the establishment by a Royal Decree of the University of Libya in 1965. The purpose of this joint research project is to take stock of our educational achievements since independence especially in view of the changing economic and social situation. It proposes to do this by trying to assess and indicate the size and volume of wastage in education, starting with the primary level.

The joint-research committee was set up following a ministerial order that was issued on the 21st February 1968. The Committee includes representatives of the Ministry of Education and the Faculty of Arts under the chairmanship of the Dean of the Faculty of Arts.

The Committee has had a few meetings and made several visits to primary schools in the Tripoli and Benghazi areas. The Committee has also established a working relationship with the Educational and Psychological Research Centre at the University of Baghdad where a similar research project is being undertaken.

Public Lectures

- 1) Dr. Abdelrahman KADAWI: Reflections on Arab culture.
- 2) Dr. Nur Tashir: Some views concerning the nature of creativity in artistic and scientific works.
- 3) Dr. Mustafa Hamid Masad: mysticism, intuition, recognition of truth and type of conduct.
- 4) Dr. Mohammed Ali al-Kayseri: Why do we teach?
- 5) Dr. Galil Khayat: The professional code.
- 6) J. Weaver: English contributions to arabic studies.

Visiting Lecturers

- 1) Dr. Mohamed Al-Fatih Ibn Ashour: Religious Method in comparative studies of Religion.
- 2) Amin Bilinski, Dean of the Faculty of Arts in Ankara University: The Political, Social, and Administrative Situation in Ankara in the first centuries.
- 3) Mahmud Khayyat, Professor of the History of Islamic art in Ankara University: Constructions in Anatolia.
- 4) Abdel Aziz Al-Qasbi: Educational planning and economic development.

Abstracts

- 1 -

THUCYDIDES

by

Professor L. Nelsky

Thucydides, the Athenian, was the first historian to write a contemporary history, and to apply the scientific method to history. Endowed with the superior culture of Periclean Athens and equipped with the new spirit of enlightenment, Thucydides took upon himself to write the history of the Peloponnesian War (432-404 B.C.) in which he served as a general for a short time before he was banished in 424 by his countrymen and remained in exile for about twenty years, returning to Athens after the end of the war. His exile enabled him to collect material for his work, obtain the points of view of both sides of the belligerents, and scrutinize his information at leisure.

Thucydides did not think highly of his predecessors, because of their lack of the sense of discrimination, their readiness to accept ancient traditions and their propensity to "please the ear rather than to state the truth". His ideals of history are different. They are accuracy, objectivity and impartiality. He tells us: "I thought it proper to record the facts of the war, without from chance information nor from my own impression, but in accordance with the most accurate investigation possible of each part."

than not only in the situation of which I heard from others, but also in those in which I was present myself."

In contradistinction to Herodotus, Thucydides makes no allowance for the interference of Divine Providence in shaping the course of events. Men were the cause of the war and its result depended on the ability and integrity of the protagonists: leaders much rather than on their resources.

Thucydides' political insight reveals itself by his discrimination between the immediate and real causes of the Peloponnesian War. Having realized that the growth of Athenian power to such dimensions that frightened Sparta and her allies, Thucydides traced the growth of this power since the Persian Wars, and discussed the problems attending the rise and maintenance of political power. The same political insight appears in the description of the war itself illustrating the effects of the plague, successes and reverses during the course of the war, as well as the atrocities and moral disintegration attendant on war, broken treaties and injustice of the powerful to the weak.

To portray the psychological aspects of power and the underlying motives of policy, Thucydides included in his history speeches by statesmen, ambassadors and generals, warning the reader that the speeches symbolized not only the purport of what had actually been said, but also the arguments he himself had considered most appropriate in such occasion and speaker. Indeed, Thucydides' speeches are his highest literary effort and pregnant with deep reflections and analyses, but however much Thucydides' analysis and political insight are appreciated, there is no gainsaying that his resort to this method is questionable, not only because of its pernicious influence on many generations of later historians who imitated the strategy having his gifts or the ability to attain his

loyal standard in truthfulness and impartiality, but also because it will be for ever impossible to find out what was actually said on each occasion, or as to assess it independently.

If this is unforgivable, one may forgive Thucydides the very few instances in which he forsook his impartiality, as when he criticized Cleon mercilessly, or showed his unbounded admiration for Pericles and Athens. His views on certain topics may be open to question and his method of dating the events of the war is primitive. All this, however, does not detract from the greatness of his achievement, for his history is complete.

If critics are prone to single out as outstanding Thucydides' account of the causes of the Peloponnesian War, the speeches — particularly the funeral oration delivered by Pericles in honour of those who fell during the first year of the war — and his story of the Sicilian expedition, Thucydides' greatness must be judged by his conception of the history of the war as a whole, his critical insight and analysis, his scientific method and humanitarianism, which have earned him the admiration of all generations and placed him on a lofty pedestal, by almost, high above all the historians of the present world.

— 2 —

Views concerning the Nature of Originality in the Works of Artists and Scientists.

By Prof. Muriel Jaffe

The views of Lombroso, Galton, Sternschneider, Freud, Jung and Pontani concerning the nature of originality in the scientific and artistic works are briefly stated and critically evaluated in the light of modern physiology of the cerebral mechanisms. Since mental activity is an activity performed by the brain, it is subordinated to the laws of neurodynamics. On the other hand, cultural

creates special forms of behavior, modifies the activity of the mental functions and adds new turnings to the development of system of human behavior. This is the basic fact of which we are persuaded by every page of psychology of primitive man which studies cultural — psychological development in its pure, isolated form. In the process of historical development social man changes the ways and means of his behavior, transforming natural functions and conditions, elaborates and creates new forms of behavior — specifically cultured forms.

The behavior of a modern cultured adult is the result of two different processes of mental development: the process of biological evolution of animal species which gave rise to the species of homo sapiens and the process of historical development which has transformed primitive man into cultured man.

When Newton was once asked how he had managed to discover the law of gravitation, he said, "Because I kept thinking about it." The "lunar" Cosser, the great French naturalist, defined originality, on the basis of Newton foregoing words, as persistent attention.

When Newton thought of his theory of gravitation, the concrete aspects of his thought was not formal in his materials. They were familiar. His originality lay in the use to which those familiar aspects were put, he introducing an unfamiliar context.

The formation of creativity implies the organization by the individual of the forms of activity worked out by mankind in the course of its socio-historical development. Thus man's creativity depends not only on the activity of his brain, but above all level of historical development attained by mankind. Consequently,

creative work in art and science are the results of a process in which all aspects of mental life of man take part and also the skills which are required to realize a creative design and is acquired by training and social practices.

The educational conclusion is that all thinking is original in projection of combinations which have not been previously apprehended. The child of six who finds out what he can make by putting five books and five books together, is really a discoverer, even though everybody else in the world knows it. For one person's abilities are compared in quality with those of another is none of the teacher's business. It is irrelevant to his work. What is required is that every individual shall have opportunities to employ his own powers in activities that have meaning.

**BULLETIN OF THE FACULTY
OF ARTS**

**Bulletin of the
Faculty of Arts**

Issued annually

Deals with academic studies in the field of Humanities. All correspondence and subscriptions should be addressed to :

Dean of the Faculty of
Arts

Libya University
Benghazi-Libya

Price of each copy : 50
pennies = 10 shillings =
\$2.50. All rights of publica-
tion reserved by the Facul-
ty of Arts, University of
Libya, Benghazi.

Reproduction of any arti-
cle is subject to the written
permission of the Faculty
of Arts.

The Faculty of Arts wishes
to make it clear that opi-
nions expressed in articles
published in this Bulletin
are the personal views of
their authors.

UNIVERSITY OF LIBYA

**BULLETIN OF THE FACULTY
OF ARTS**

Associate editor :

Dr. 'Abduahmîn Badawi

Editor :

Dr. 'Ishâq Bura

Vol. II, 1968

TABLE OF CONTENTS

Articles in Languages other than Arabic

Editorial By Dr. Mukhtar Bura.....	7
1. Dr. Gerald H. Blake : The form and function of Miskhan's commercial writing	9
2. Dr. Mukhtar Bura : Soil analysis and its relation to land use in al-Mariy plain, Dymna	41
3. Prof. Francesco Gabrieli : Ricerche sugli di versi musulmani in Italia	71
4. Dr. K. Mc Leishan : Landed property and economic change in Tripolitania	85
News of Academic Activity - Conference: "Life in Egypt"	103
— Joint Libyan University - London University Research Project	104
— A brief note on the joint research project: "Workings in Education"	111
— Public lectures	113
Abstracts	114

Articles in Arabic

1	Dr Ibrahim Neshi : Thucydides	9
2	Dr. Hassan Awad : Urban centres in the oases of the Sahara: a study of a type of urban growth in arid zones.	26
3	Dr. Abdulmalum Badawi: Cynatic philosophy in arabic sources.	39
4	Abdallah Gannou : Sheikh Ahmad Zarrun, a mystic born in Misratah.	174
5	Uthman al-Hak: Libyan culture: Translations and Publications	173
6	Dr. Muhi Gaddar: Some views concerning the nature of creativity in artistic and scientific works	197
7	Dr. Abdurrahman IBRAHIM : Book review	270

EDITORIAL

The Faculty of Arts has great pleasure in introducing to readers workers and scientists interested in the humanities the second volume of the Bulletin of the Faculty of Arts. A long period has elapsed since the publication of the first volume, but we would like to stress that this delay was for reasons beyond the control of the Faculty.

We believe that a University should not only be a place where lectures are delivered, but also an institution which contributes to research and academic studies. This is particularly true now that improved communications and technological advances are bringing all parts of the World into closer contact with each other, and facilitating the exchange of knowledge and ideas.

Libya today is witnessing rapid social and economic growth, and parallel to this is the development in the sphere of education. This fact has inspired the Faculty to contribute in this sphere by opening the way for the publication of scientific research in an attempt to make available the work of scientists who devote most of their time to the study of Libya, by means of both publications and conferences.

The Faculty has begun to carry out many research projects, on both a national and an international scale, and this research deals with various aspects of Libyan environment, so that the social and economic development of the country may be built on a sound scientific basis. Therefore, I hope that this Bulletin will be a focal point for the study of Libyan affairs in particular.

and Islamic affairs in general. The Bulletin is issued annually at present, but we hope that in time it will be possible to issue more than one volume in a year.

We hope also that this Bulletin will be a cornerstone in the building of scientific research in the human life, and will thus contribute to the continuation of the cultural advance in Libya which has been inspired by H.M. King Idris I and which has continued throughout his reign. We hope that the publication of this Bulletin will be a regular event, in order that it may fulfil its duty in the diffusion and encouragement of scientific research.

Mukhtar Bura
Dean of the Faculty
of Arts

UNIVERSITY OF LIBYA

**BULLETIN OF THE FACULTY
OF ARTS**

Vol. II, 1968